وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة كربلاء

كلية العلوم الإسلامية

قسم اللغة العربية.

توقيعات الأئمة المعصومين عليهم السلام حتى نهاية القرن الثالث الهجري دراسة موضوعية فنية

رسالة تقدّم بها

محمد قاسم هاشم الحسيني

إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية- جامعة كربلاء
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في
لغة القرآن وآدابها

بإشراف
الأستاذ الدكتور
مسلم مالك بعير الأسدي

١٤٤٢هـ ٢٠٢١م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾

صدق الله العلى العظيم

الحجرات/٧

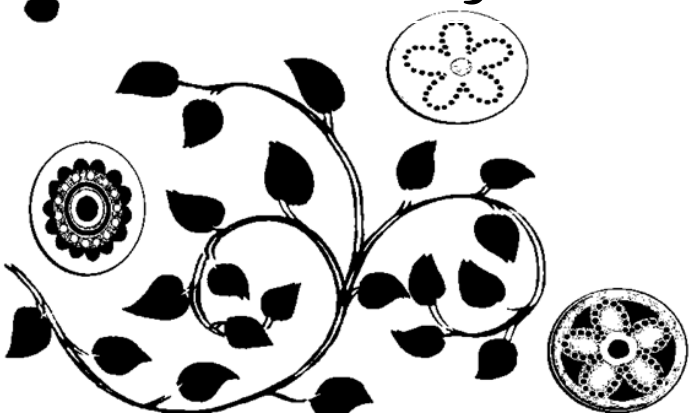

ترشيح الرسالة للطبع

نظرًا لانجاز مباحث (الرسالة) وفصولها، الموسومة بـ(توقيعات الأئمة المعصومين حتى نهاية القرن الثالث الهجري دراسة موضوعية فنية) لطالب الماجستير (محمد قاسم هاشم) فإنّي أرشحها للطبع.

التوقيع:

المشرف: ا.د. سالم مالك [illegible]

مكان العمل: جامعة كربلاء - العلوم الإسلامية

التأريخ: ١٠/٤/٢٠٢١

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس و أعضاء لجنة المناقشة بأننا اطلعنا على الرسالة الموسومة بـ (**توقيعات الأئمة المعصومين حتى نهاية القرن الثالث الهجري دراسة موضوعية فنية**) التي تقدم بها الطالب (**محمد قاسم هاشم الحسيني**) في محتواها وفيما له علاقة بها ونعتقد أنها جديرة بالقبول بتقدير (جيد جدا عالي) لنيل درجة الماجستير في لغة القرآن وآدابها.

التوقيع:

الاسم: أ.م.د محمد عبد الرسول السعدي

المنصب في اللجنة: عضوا

التأريخ:

التوقيع:

الاسم: أ.م.د راسم أحمد الجرياوي

المنصب في اللجنة: عضوا

التأريخ:

التوقيع:

الاسم: أ.د مسلم مالك الأسدي

المنصب في اللجنة: عضوا ومشرفا

التأريخ:

التوقيع:

الاسم: أ.د أمجد حميد الفاضل

المنصب في اللجنة: رئيسا

التأريخ:

صدقت في عمادة كلية العلوم الإسلامية

التوقيع:

أ.د صريا أريم كاظم

التأريخ: 2021/9/12

إقرار المشرف

أشهد أنَّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ (**توقيعات الأئمة المعصومين عليهم السلام حتى نهاية القرن الثالث الهجري دراسة موضوعية فنية**) التي قدّمها الطالب (**محمد قاسم هاشم الحسيني**) قد جرى بإشرافي في كلية العلوم الإسلامية بجامعة كربلاء ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في لغة القرآن وآدابها ..

التوقيع :

الاسم : أ.د مسلم مالك بعير الأسدي

التاريخ : ١٥ / ٤ / ٢٠٢١م

بناء على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة :

التوقيع :

الاسم : أ . م . د صفاء حسين لطيف المسعودي

رئيس قسم اللغة العربية

التاريخ : ١٥ / ٤ / ٢٠٢١م

الإهداء

- لسيد المخلوقات، وواسطة فيض الموجودات، حبيب قلوب العالمين أبي القاسم محمد (صلى الله عليه وآله).
- للشموس المنيرة، والأنجم الزاهرة، أعلام الدين، وقواعد العلم، حفظة القرآن أهل البيت (عليهم السلام).
- لمن غيبته الدهور، وما انفك اللظى عن حشاشته على مر العصور، أمل العالمين، ومراد المظلومين، إمام زماننا، الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف).
- إلى نبع الحنان، ومصدر الأمان، سراجيَّ الحياة، وبوتقة المدارة، أبي ذي القلب الكبير، وأمي ذات الطبع الحنون.
- لرفيقة الدرب، وشريكة التعب، زوجي.
- لمن أيقنت أنَّ الحبّ قد خُلق فيه، وإنّ السعادة في احتضانه وتقبيله، ولدي العزيز جعفر الصادق.

شكر وتقدير

- أتقدم بالشكر الجزيل الوافر لمشرفي المعطاء، الأستاذ الفاضل، الأستاذ الدكتور (أ.د مسلم مالك الأسدي)، لما بذله من جهد في متابعة مسيرة البحث التكاملية.
- لرئاسة قسم اللغة العربية المتمثلة برئيسها الأستاذ المساعد (أ.م.د صفاء حسين لطيف)، بوصفه الأخ المساند فعلا على طول خط الدراسة الجامعية، سواء في المرحلة الأولية، أو في مرحلة الدراسات العليا.
- لجميع أساتذتي الكرام الذين بذلوا جهودهم الكريمة، في إيصال المعلومات إلينا، وحرصهم الكبير على تقديمها بأفضل وجه ممكن.
- لعائلتي الكريمة، التي لطالما أمدتني بيد العطاء والعون والدعاء، أبي نور الحياة، أمي همسات السعادة، أخوتي حشاشة النفس، زوجي روح الطمأنينة، ولدي ضياء الأمل.

الملخص بالعربية

الحمد لله على نعمائه، وله الشكر على بلائه، والمنة على إعطائه، سبحان من كان كنزا خفيا، وسبحان من كان نورا أزليا.

إنّ تظافر جهود المعصومين عليهم السلام سواء على المعطى الثقافي، أم على الصعيد السياسي، قد جعلت منهم محط أطماع بعضهم، لا بفكرهم وزهدهم وثقافتهم، بل طمعا بمنصبهم التشريعي المقدس.

إنّ في توقيعات المعصومين عليهم السلام كمًا ثقافيًا هائلًا أرفد الساحة بمعطيات متنوعة، فبكل مفصل من مفاصل الحياة تجد أن لهم باعا طويلا؛ لذا اشتملت توقيعاتهم عليهم السلام على الفقه والسياسة والعقائد والتداوي والإعجاز وغرائب القضايا والأحكام، فضلا على التوجيهات الاجتماعية، التي ترسي بالأمة على بر الأمان، وترتقي بها سلما حضاريا ينقذها من مستنقعات الجهل والتخلف، وسيقف الباحث على جل الموضوعات المهمة التي ذُكرت في التوقيعات.

نظرًا لتوسع المادة قد قُسمت على بابين، حمل الأول الجانب الموضوعي، على حين اهتم الباب الثاني في الجانب الفني، ففي أول فصل من الجانب الموضوعي، تناول الباحث فيه التوقيعات الدينية، على حين اشتمل الفصل الآخر على توقيعات مختلفة من سياسية واجتماعية.

أما في الباب الثاني، فقد اهتم الأول بالألفاظ وتفرعاتها، وعالج الفصل الثاني قضايا الأسلوب المتنوعة، على حين اهتم الفصل الثالث بدراسة موضوعة الدلالة، وقد سبق هذين البابين تمهيد قد ذُكر فيه شيء من ماهية التوقيعات، كما وقد أردفا بخاتمة تحدث الباحث فيها عن جل ما توصل إليه عن طريق الدراسة، ثم قائمة للمصادر والمراجع.

المستخلص

حاول الباحث في الرسالة الوقوف على ماهية التوقيعات وخصائصها عند أهل البيت (عليهم السلام)، فعرض أكبر قدر ممكن من توقيعاتهم (عليهم السلام)، بعد أن جمع الكثير منها من أمات المصادر، ونظرًا لتشعب موضوعات التوقيعات، قد قسم الباحث رسالته على بابين، حمل الأول الجانب الموضوعي، على حين اهتم الباب الثاني في الجانب الفني، ففي أول فصل من الجانب الموضوعي، تناول الباحث فيه التوقيعات الدينية، على حين اشتمل الفصل الآخر على توقيعات مختلفة من سياسية واجتماعية.

أما في الباب الثاني، فقد اهتم الأول بالألفاظ وتفرعاتها، وعالج الفصل الثاني قضايا الأسلوب المتنوعة، على حين اهتم الفصل الثالث بدراسة موضوعة الدلالة، وقد سبق هذين البابين تمهيد قد ذُكر فيه شيء من ماهية التوقيعات، كما وقد أردفا بخاتمة تحدث الباحث فيها عن جل ما توصل إليه عن طريق الدراسة، ثم قائمة للمصادر والمراجع.

ثبت المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية الكريمة	**أ**
الاهداء	**ب**
الشكر والتقدير	**ج**
ثبت المحتويات	**د – و**
المقدمة	**٢ – ٥**
التمهيد: التوقيعات حدها، ودواعي استعمالها، وخصائصها	**٧ – ١٠**
المطلب الأول: التوقيعات لغة واصطلاحا	٧ – ٨
المطلب الثاني: دواعي استعمال التوقيعات	٨ – ٩
المطلب الثالث: خصائص التوقيعات	١٠
الباب الأول: الدراسة الموضوعية	**١٢ – ١٠٢**
توطئة الباب	١٢
الفصل الأول: العقيدة	**١٣ – ٦٣**
توطئة الفصل	١٣ – ١٤
المبحث الأول: التوحيد	١٤ – ٣٢
المبحث الثاني: النبوة	٣٣ – ٣٧

المبحث الثالث: الإمامة	٣٨ – ٥٤
المبحث الرابع: المعاد	٥٥ – ٦٣
الفصل الثاني: توقيعاتهم السياسية والاجتماعية.	**٦٥ – ١٠٢**
توطئة الفصل	٦٥
المبحث الأول: المواعظ	٦٦ – ٧٨
المبحث الثاني: المعاجز أو الاستشراف	٧٩ – ٨٧
المبحث الثالث: غرائب القضايا	٨٨ – ٩٦
المبحث الرابع: الغلو	٩٧ – ١٠٢
الباب الثاني: الدراسة الفنية.	**١٠٤ – ٢٠٣**
توطئة الباب	**١٠٤**
الفصل الأول: الألفاظ.	**١٠٥ – ١٣٩**
توطئة الفصل	١٠٥
المبحث الأول: الضمائر	١٠٦ – ١١٦
المبحث الثاني: الزمان	١١٧ – ١٢٦
المبحث الثالث: المكان	١٢٧ – ١٣٤
المبحث الرابع: الألفاظ الغريبة	١٣٥ – ١٣٩
الفصل الثاني: الأسلوب	**١٤١ – ١٧٣**

توطئة الفصل	١٤١ – ١٤٢
المبحث الأول: الاستفهام	١٤٢ – ١٤٨
المبحث الثاني: الأمر	١٤٩ – ١٦٠
المبحث الثالث: النهي	١٦١ – ١٦٧
المبحث الرابع: الشرط	١٦٨ – ١٧٣
الفصل الثالث: الدلالة	**١٧٥ – ٢٠٣**
المبحث الأول: التكرار	١٧٥ – ١٧٦
المبحث الثاني: السجع	١٧٧ – ١٨٠
المبحث الثالث: الجناس	١٨١ – ١٨٢
المبحث الرابع: المقابلة	١٨٣ – ١٨٦
المبحث الخامس: التمثيل	١٨٧ – ١٩١
المبحث السادس: الاستعارة	١٩٢ – ١٩٨
المبحث السابع: الكناية	١٩٩ – ٢٠٣
الخاتمة	**٢٠٥ – ٢٠٩**
قائمة المصادر والمراجع	**٢١١ – ٢٣٦**
الملخص بالأنجليزية	A – B

المقدمة

المقدمة:

بِسمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد للهِ على نعمائهِ، وله الشكر على بلائهِ، والمنة على إعطائه، سبحان من كان كنزا خفيا، وسبحان من كان نورا أزليا، وسبحان من كان وترا صمديا، وصلى الله على أشرف الموجودات، والمالك لدنيا المخلوقات، الحبيب المصفى، والنبي المجتبى، محمد(صلى الله عليه وآله)، وأفضل الصلاة على الأئمة الهداة القادة، والأمناء على الدستور الرصين، عِدله وآياته، نوره وبرهانه، حبل الله المتين، والركن القويم فيما تُرك فينا من الثقلين، و بعد؛

إنّ تضافر جهود المعصومين (عليهم السلام) سواء على المعطى الثقافي، أم على الصعيد السياسي، قد جعلت منهم محط أطماع بعض الناس، لا بفكرهم وزهدهم وثقافتهم، بل طمعا بمنصبهم التشريعي المقدس، فغالوا بهم وزجوهم في ساحة الإلوهية، على حين آثر على نفسه البعض الآخر، إلاّ أن يجعلهم مرمى لسهامه وانتقامه؛ ليرسم صورةً في أذهان الناس أنّه لا شيء مقدس يردع يد السلطة عن القتل والتشريد والتعذيب، فانكفأوا على ملاحقتهم وتقتيلهم، في الوقت الذي سار فيه المؤمنون على خطى الهدى والصواب، فأحبوهم من غير مغالاة، وبذلوا من أجلهم الغالي والنفيس من دون طلب المكافآت، فكان مذهبهم المداراة، وأفعالهم المحاكاة.

من هذا المنطلق، يتبين لنا أنّ أئمة الهدى قد كان موقفهم أرسى من الجبل الأشم، الذي لا يمكن احتواؤه عن طريق المماطلة والتسويف تارة، وبالتهديد والمناورة أخرى، فلطالما حاولت السلطات أن تدجن شخصياتهم أو أفكارهم، من خلال العزل او القتل أو السجن؛ لتمحو بزعمها خطا ثقافيا يتقاطع معها، قد بذلوا في تعبيده دمائهم وأرواحهم وأبناؤهم، فسُم من سُم منهم (عليهم السلام)، وشج رأس أبيهم علي بن أبي طالب (عليه السلام)، على حين قطع رأس فلذة كبد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، في الوقت الذي جرى على أولاده ما جرى من قتل أو سجن، أو فرض إقامة جبرية (عليهم صلوات الله

وسلامه)، حتى غيّب الله (سبحانه وتعالى) آخرهم؛ ليُظهره في وقت تتلاطم فيه الفتن كالأمواج، وتحتلك دياجير الظلم والاعوجاج، فما لنا إلاّ أن نقول: قد جرى حبر القلم دمعا على وجنات السطور، وفتح بابا سرمديا للحزن يختلج الصدور، وتناثر القلب رملا على من غيّبته الدهور.

إنّ في توقيعات المعصومين (عليهم السلام) كمًا ثقافيًا هائلًا أرفد الساحة الإيمانية بمعطيات متنوعة، فبكل مفصل من مفاصل الحياة تجد أنّ لهم باعا طويلا؛ لذا اشتملت توقيعاتهم (عليهم السلام) على الفقه والسياسة والعقائد والتداوي والإعجاز وغرائب القضايا والأحكام، فضلا على التوجيهات الاجتماعية، التي ترسو بالأمة على بر الأمان، وترتقي بها سلما حضاريا ينقذها من مستنقعات الجهل والتخلف، وسيقف الباحث على جل الموضوعات الهامة التي ذُكرت في التوقيعات.

إنّ توقيعات المعصومين (عليهم السلام) لم يتعرض لدراستها أيّ باحث، بل لم يتعرض لجمعها وتبويبها أحد، فمن هنا وجد الباحث بإشارة من الأستاذ الدكتور الفاضل (أ.د مسلم مالك الأسدي) أن يدرس توقيعاتهم (عليهم السلام)؛ لما فيها من تعاليم قيمة، وأساليب جميلة، وعبارات رصينة؛ ليُعطي بديلا ثقافيا عمّا يتداوله الباحثون من دراسة توقيعات بعض أعلام القرن الثالث الهجري، الذين أهملوا هذا الكم الوافر من ثقافة العترة الطاهرة.

ونظرا لتوسع نطاق البحث إذ إنّه قد اهتم بدراسة نتاج المعصومين على مدى ثلاثة قرون، بدءا بأمير المؤمنين ويعسوب الدين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وصولا للباقرين عليهما السلام اللذين شكلا ثورة معلوماتية عملاقة غيّرت مسارات التأريخ، وبددت مخططات السلطات، وانتهاءً بالإمام العسكري الصامت (عليه السلام)، والجدير بالذكر هنا أنّ الباحث لم يتعرض لتوقيعات الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ وذلك لوجود مُؤَلفٍ بهذا الصدد، ولوجود دراسة أكاديمية فيه، قد أكفى الباحث مؤونة البحث فيه، فبسبب هذا التوسع في المادة قد قُسمت على بابين، حمل الأول الجانب الموضوعي، على حين اهتم الباب الثاني في الجانب الفني، ففي أول فصل من الجانب

الموضوعي، تناول الباحث فيه التوقيعات الدينية، على حين اشتمل الفصل الآخر على توقيعات مختلفة من سياسية واجتماعية.

أما في الباب الثاني، فقد اهتم الأول بالألفاظ وتفرعاتها، وعالج الفصل الثاني قضايا الأسلوب المتنوعة، على حين اهتم الفصل الثالث بدراسة موضوعة الدلالة، وقد سبق هذين البابين تمهيد قد ذُكر فيه شيء من ماهية التوقيعات، كما وقد أردفا بخاتمة تحدث الباحث فيها عن جل ما توصل إليه عن طريق الدراسة، ثم قائمة للمصادر والمراجع.

من تفصيل الخطة يتضح أنّ منهج البحث المتبع في دراسة التوقيعات، مزيج من المنهج الموضوعي، والمنهج الفني.

لقد أفاد الباحث في رسالته من مصادر كثيرة و متنوعة، إذ كان على رأسها القرآن الكريم، ثم كتب الحديث والتأريخ والمعاجم والتراجم والتفسير، وكذلك الكتب النحوية والبلاغية والمجلات والرسائل.

لا يسعني في هذا المقام، وأنا على أبواب ختام البحث والدراسة، إلا أنّ أشكر الأستاذ المعطاء، والأخ المؤازر في الشدة والرخاء، الذي طالما أشار عليَّ بالرأي الناصح، في مسيرة البحث التكاملية؛ ليخرج بأبهى صورة، أستاذي وشيخي الأستاذ الدكتور (أ.د مسلم مالك الأسدي)، كما وأتقدم بالشكر لأساتذتي الكرام جميعا، اللذين بذلوا جهدا كبيرا في إيناع ثمرة العلم في نفوسنا، وإشعال جذوته لإنارة طريقنا، فالشكر موصول لهم جميعا بدءا من عمادة الكلية، وصولا لرئاسة القسم وكادره، وانتهاء بالكادر التدريسي، اللذين افتخر بهم فعلا، إذ إنّهم قد لازموني من الخطوات الأولى في الحياة الجامعية، ولا يسعني أن أنسى شكر الدكتور العزيز (عبد الإله العرداوي)؛ لإرشادي إلى بعض مصادر التوقيعات.

وأخيرا فإنّي أقدم بين يدي القارئ الكريم جهدي الذي بذلته طوال هذه الشهور، ولا أدّعي أنّه خال من النقص، وبريء من الخطأ، إلا أنّني لا أعده متواضعا؛ لكونه قد اهتم بدراسة أشرف نصوص بعد القرآن الكريم.

هذا ما تمكن عليه الباحث في هذه العجالة، راجيا من الله (عز وجل) أن يكون قد وفق فيما عمل، ونفع الآخرين بما حصل، كما ويرجو العبد المفتقر لله أن يكون قد وفق فيما عرض من وجهات نظر، مؤيدة أو مخالفة لما جاء في الروايات، كما يسأل الله (تعالى) أن يمده يد العون والمغفرة والحكمة والفهم إنه سميع عليم، والحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

التمهيد

التوقيعات حدها، ودواعي استعمالها، وخصائصها

- التوقيعات لغة واصطلاحا.
- دواعي استعمال التوقيعات.
- خصائص التوقيعات.

المطلب الأول: التوقيعات لغة واصطلاحا:

التوقيع لغة: ((والتَوْقيعُ: ما يوَقَّعُ في الكتاب... والتَوْقيعُ أيضاً: إقبالُ الصَيْقلِ على السيف بميقَعَتِهِ يحدِّده. وسكِّينٌ مُوَقَّعٌ، أي محدَّدٌ. ومِرْماةٌ مُوَقَّعَةٌ))[١]، مما يعني أنّ التوقيع يعني تحديد الشيء وإبرازه، ومعنى ما يُوقّع في الكتاب هو أنْ: ((يُجْمِلَ بَيْنَ تَضاعِيفِ سُطُورِهِ مَقَاصِدَ الحاجَةِ، ويَحْذِفَ الفُضُولَ))[٢]، بمعنى وصول الكاتب إلى ما يرمي إليه بأقصر المسالك، وأفضلها.

أما التوقيعات في الاصطلاح، فهي: ((عبارات موجزة بليغة، تعودّ ملوك الفرس ووزراؤهم أن يوقّعوا بها على ما يقدّم إليهم من تظلمات الأفراد في الرعية وشكاواهم، وحاكاهم خلفاء بنى العباس ووزراؤهم في هذا الصنيع، وكانت تشيع في الناس ويكتبها الكتّاب ويتحفظونها، وقد سموا الشكاوى والظلامات بالقصص لما تحكى من قصة الشاكي وظلامته، وسموها بالرقاع تشبيها لها برقاع الثياب. ودارت في الكتب الأدبية توقيعات كثيرة أُثرت لكل خليفة عباسي وكل وزير خطير))[٣]، فالتوقيعات إذًا هي: ((عبارات موجزة مركزة يعلق بها الخليفة أو الوالي على ما يرفع إليه من مخاطبات أو التماسات))[٤]، وهذه العبارات الموجزة، والجمل المتماسكة، كثيرا ما: ((كان يُذيل بها الخلفاء والوزراء، ما يرفع إليهم من رقاع، فكانوا يوقعون عليها بإمضائها أو بإهمالها ومن هنا جاءت كلمت [كذا] توقيع، وهي أن يكتب الشخص منا اسمه تحت الوثيقة أو تحت الرسالة أو ما إلى ذلك. ولكن التوقيعات في العصر العباسي لم تكن تقتصر على أن يكتب الخليفة أو الوزير اسمه أو يضع إمضاءه تحت الرسالة، وإنما يوقعها بمعنى يكتب تحتها عبارة أو جملة تُفيد موقفه مما جاء فيها. والتوقيعات بهذا

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١٣٠٣/٣.

(٢) تاج العروس: ٣٥٩/٢٢-٣٦٠.

(٣) تأريخ الأدب العربي: ٤٨٩/٣.

(٤) فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه: ٢٧٦.

النحو من تقاليد الفرس القدماء))[١]، مما تقدم يتضح لنا أنّ التوقيعات قد مرّت بسلسلة من النضوج والتطور، سواء أكان على مستوى الألفاظ، أم على مستوى الاستعمال والسياق، ففي الوهلة الأولى قد اقتصر مستعملوها على الاسم والإمضاء لا غير، بيد أنّ التطور والنضوج قد دعا لتكامل التوقيعات بأبهى صورة؛ لتتمظهر بهيأة العبارات الجميلة والقوية في الوقت ذاته.

قد أشارت النصوص المتقدمة آنفا أنّ التوقيعات بالمعنى المتطور، إنّما هي من نتاجات الفرس، قد انتقلت للعرب من طريق تخالط الثقافات، باتساع الرقعة الجغرافية، ودخول الأقوام

المطلب الثاني: دواع استعمال التوقيعات:

إنّ العربي بطبعه يميل للاختصار والإيجاز، ويمج الإسهاب والإطناب؛ لفضل الإيجاز، إذ ما كان: ((أشرف الكلام كلّه حسنا وأرفعه قدرا، وأعظمه من القلوب موقعا، وأقلّه على اللسان عملا: ما دل بعضه على كله، وكفى قليله عن كثيره، وشهد ظاهره على باطنه، وذلك أن تقلّ حروفه وتكثر معانيه؛ ومنه قولهم: ربّ إشارة أبلغ من لفظ. أليس أن الإشارة تبين ما لا يبينه الكلام، وتبلغ ما يقصر عنه اللسان؟ ولكنها إذا قامت مقام اللفظ وسدت مسدّ الكلام، كانت أبلغ؛ لخفة مؤنتها، وقلة محملها))[٢]، فكثير ما أوصى البلاغيون أن يجعل المرء كلامه في التوقيعات؛ لكونها: ((في القلوب أجود وفي المجالس أجول وبالأسماع أعلق وبالأفواه أعبق))[٣]؛ لما تحمله من اختصار في الكلام، وجمال في الألفاظ، وتناسق في العبارات، ولما تتجه إليه من: ((تحديد الهدف والقصد من أقصر طريق وبأسلوب بليغ استنادا إلى القاعدة التي تقول: "خير الكلام ما قل ودل"))[٤]

---

(١) الأدب المقارن: ٥٦٦.

(٢) العقد الفريد: ٢٣٧/٤.

(٣) البديع في نقد الشعر: ٢٩٦.

(٤) فنون التحرير الصحفي بين النظرية والتطبيق «المقال الصحفي»: ١٢٦.

ونظرا لأهمية التوقيعات وجمالياتها الأخاذة، قد جعل الخلفاء والوزراء والولاة والكتاب أقلاما خاصة بالتوقيعات، فسميت أقلام التوقيعات، وإنّما سميت بذلك؛ لأن: ((الخلفاء والوزراء كانت توقع به على ظهور القصص، ويقال فيه قلم التوقيعات على الجمع أيضا، وقد يقال فيه التوقيع والتوقيعات بحذف المضاف اليه)) [1].

أما التوقيعات عند أهل البيت (عليهم السلام) فقد شكلّت صورة فنية خاصة، اتسم بها نتاجهم، فهي ليست وليدة التأثر بالثقافة الخارجية المكتسبة عن طريق الانفتاح على الأقوام الأخرى، كما هو حال أغلب الحركات الفكرية التي نتجت في العصر العباسي، وكما أشارت لذلك النصوص المتقدمة، فنتاجهم هو ذاته من أمير البلاغة والبيان علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى مهدي الزمان(عجل الله تعالى فرجه الشريف)، والأسباب لاستعمالها هي ذاتها أيضا، فيرى الباحث أنّ أهم عنصرين وراء اهتمام المعصومون (عليهم السلام) بالتوقيعات، هما:

١- الرغبة في الاختصار وتكثيف المعنى.

٢- الرغبة في قصر الكتاب، وإبعادا للشبهة عن الناقل في زمان كثر فيه الرقباء والوشاة عليهم، (سلام الله عليهم)، وأصبح مريديهم تحت طائلة المشبوهين من مركز الحكم، سواء أكان ذلك في الخلافة الأموية، أم في العباسية.

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الأنشاء: ٣/١٠٤.

المطلب الثالث: خصائص التوقيعات:

إنّ بفعل ما امتلكته التوقيعات من تطور في المدلول والتطبيق، قد أصبحت لها خصائص تميزها عن غيرها من الفنون، إذ كان حجر الزاوية في هذه الخصائص، هو الاختصار والإيجار، مما جعل بعض الكّتاب يحوّل كتبه إلى كلمات قصار [١].

فضلا على الإيجاز، فإنها كانت تتضمن آياتً قرآنية، أو أحاديثً نبويةً شريفةً ،أو أمثالًا وعبرًا قصيرة؛ ليعطي مدلولها حجة دامغة، أو علة مقنعة، أو جوابًا شافيا يرتوي الظمآن منه.

ويتم تحرير التوقيعات وفقًا للخطوات الآتية [٢] :

١. استيعاب الموقف أو الموضوع والإحاطة به.
٢. رصد نقاط الاتفاق والاختلاف إذا كان التعليق يدور حول رأي آخر مطروح.
٣. عرض الموضوع المراد التعليق عليه بإيجاز وفي نقاط محددة.
٤. إيراد الرأي المراد طرحه حول الموضوع وعرضه بشكل متماسك ومتكامل مدعومًا بالأدلة والحجج.

---

(١) ينظر تأريخ الأدب العربي: ٥٥٨/٣

(٢) ينظر فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه: ٢٧٦.

الباب الأول: الدراسة الموضوعية

الفصل الأول: العقيدة

- توطئة الباب الأول
- توطئة الفصل الأول
- التوحيد.
- النبوة.
- الإمامة.
- المعاد.

توطئة:

إنّ توقيعات المعصومين (عليهم السلام) قد حملت في طياتها جل الموضوعات الفقهية والدينية والاجتماعية والسياسية، بمختلف منعطفاتها التاريخية، وما ذلك إلاّ من حرصهم الشديد على مقدرات الأمة الإسلامية جمعاء من غير النظر إلى صنوفهم، أو معتقداتهم، أو توجهاتهم السياسية و الدينية، فما سنلاحظه في هذا الباب إنّ الأئمة (عليهم السلام) لم يبخلوا على طواغيت زمانهم حتى، بالموعظة والنصح والإرشاد.

وقد عالج الجانب الموضوعي في توقيعاتهم الكثير من المسائل الهامة، والمفصلية في المجتمع، فقد أثاروا عن طريق توقيعاتهم (عليهم السلام)، أدق مسائل التوحيد، وأفضل صفات النبوة، وأخطر منعطفات الإمامة، وأعظم أهوال القيامة.

كما قد أشاروا إلى غرائب القضايا والأحكام، وقواعد المعيشة بسلام، وإلى أعقد المعاجز والاستشراف، والاهتمام بقوم، وببعضهم الاستخفاف، فشكلت توقيعاتهم (عليهم السلام) أرصن القواعد، وأمتن الأحكام، وأرسى القضايا.

سيحاول الباحث في هذا الباب الوقوف على جل الموضوعات التي وردت في توقيعاتهم عليهم السلام، من توحيد، ونبوة ، وإمامة، ومعاد، ومن غرائب القضايا، والمعاجز، والوعظ والإرشاد، وغيرها من الموضوعات الهامة، كلٌ في بابه.

توطئة:

إنّ العقيدة من أشرف العلوم إذ إنّه علم اهتم بالبحث عن معرفة الله (سبحانه وتعالى) [١]، وكذلك عن الجزئيات الأخرى، كالنبوة والإمامة والمعاد، من هنا اكتسب هذا العلم شرف ما بعده شرف، ورفعة لا يضاهيها رفعة.

وإنّ موضوع العقيدة هو لب الدين الإسلامي وأساسه، فلا بد للإنسان من عقيدة راسخة واضحة المضامين؛ يسير على منهاجها، فإنّ الالتزام بعقيدة محددة: ((هو الأساس اللازم ليرسم الإنسان خطة معينة يسير عليها في حياته ، وكلما كان الأساس قويما رصينا ، كانت الخطة المبتنية عليه والمرسومة حسبه موصلة ، شاملة موثوقة))[٢].

وقد أوجب العقل والنقل معرفة هذه العقيدة وتتبع مضامينها، إذ إنّ احتمال: ((وجود المبدأ والمعاد يوجب البحث والسعي لتحصيل المعرفة الدينية ، فما دام الإنسان يحتمل أن لهذا العالم خالقا عليما حكيما ، وأن الموت ليس نهاية لحياة الإنسان ، وأن لخالقه هدفا من خلقه إياه ، وأنه قد وضع له دستورا إن هو لم يطبقه وقع في الشقاء الأبدي ، فإن فطرته توجب عليه أن يهتم بهذا الاحتمال مهما كان ضعيفا ، لكون المحتمل أمرا عظيما وخطيرا جدا ، وتدفعه لأن يبحث عن حقيقة الأمر ولا يهدأ ولا يستقر حتى يصل إلى نتيجة قطعية حاسمة ، نفيا أو إثباتا))[٣]، إنّ اهتمام الأئمة (عليهم السلام) بنشر مبادئ العقيدة الإسلامية وحيثياتها، ناتج عن العلم الوفير القطعي الذي يتمتعون به (عليهم السلام)، فلا يمكن لأحد غيرهم أنْ يوجد معاني دقيقة، وتعريفات رصينة، تمنع العقول من التشتت، وتجمع القلوب على التثبت، فليس في الخلق أحد يعرف الله (عز وجل) حق معرفته غيرهم، فضلا على أنّهم الوحيدون في امتلاك العلم القطعي في جميع الجزئيات والمعارف.

---

(١) ينظر: مقدمة في أصول الدين: ١٢.

(٢) عجالة المعرفة في أصول الدين: ١٦.

(٣) مقدمة في أصول الدين: ٧.

من هنا قد حفلت توقيعاتهم (عليهم السلام) بذكر التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد، وقد وردت هذه التوقيعات في نتاجاتهم على مستوى رفيع من اللغة، والأسلوب والدقة والوضوح، كما أنّها تتمتع بوفرة من الحقائق الثابتة، والتعاليم المتينة، وسيذكر الباحث في هذا الفصل شذرات مما ذُكر في توقيعاتهم (عليهم السلام) في خصائص العقيدة الإسلامية، كلٌ في مبحث مستقل.

المبحث الأول: التوحيد/

إنّ هذه المسألة تضافر القول فيها في مواضع عديدة وفي أزمان كثيرة، فبعد إنْ ثبّط (عليه الصلاة والسلام) فكر قريش المتعدد، وقضى على شركهم، ونشرَ دين التوحيد في أرض العرب، سرعان ما عاد العرب أنفسهم فكرة التعدد، فغالوا في بعض الشخصيات العظيمة وسحبوها إلى الإلوهية، وبعد أنْ امتزج فكرهم بفكر الأمم الأخرى الوثنية سايروهم في بعض المواضع، وقلّدوهم في التعددية الإلهية.

من هنا حرص الأئمة الأطهار (عليهم السلام) على توضيح صفات الحق تعالى للناس؛ لئلا يذهبوا شططا في دينهم، فقد ورد عن المعصومين (عليهم السلام) النهي عن وصف الله (سبحانه وتعالى) بغير ما وصف به نفسه، وهذا ما نجده في معرض جواب الإمام الكاظم (عليه السلام) لمن سأله عن كيفية وصف الله (سبحانه وتعالى) التي يتحقق بها الدين السليم، إذ قال: ((**فهمت رحمك الله ، واعلم رحمك الله أن الله أجل وأعلى وأعظم من أن يبلغ كنه صفته، فصفوه بما وصف به نفسه وكفوا عما سوى ذلك**)) [١] ، أجلَّ: بمعنى ((عظُم وقوي)) [٢]، وأعلى: بمعنى أنه تعالى ترفع عن وصف المخلوقين، أما معنى أعظم: فهو الكبر والفخامة والشيء المهول [٣]، وهذه الصفات الثلاث المتقدمة، جميعها تدل على العظمة والتعالي، والذات الإلهية المقدسة التي لا يمكن أن تدركها

---

(١) بحار الأنوار الجامعة لأخبار الأئمة الأطهار: ٢٦٦/٣، مكاتيب الأئمة:٣٦١/٤.

(٢) ينظر: المعجم الوسيط: ١٣١/١.

(٣) ينظر: المصدر السابق نفسه: ٦١٠/٢.

الاوهام فضلا عن الأبصار؛ فالذي يُدرك بالأوهام لربما تدركه الحواس، فهو (سبحانه وتعالى) منزه عن أنْ تدركه الأوهام حتى.

مما تقدم يتضح لنا أنه (سبحانه وتعالى) لا يمكن لأحد أن يحده بحد أو يصفه بوصف، فهو المتعال على من سواه، وهو المتكبر القادر المسيّر للأمور كلها.

وما ورد في هذا المضمار عن الإمام الهادي (عليه السلام) في جوابه لمن سأل عن الجسم والصورة، إذ إنّ موضوع الجسم والصورة داخل في صلب التوحيد، كما أشار له الإمام (عليه السلام): **((سبحان من لا يحد ، ولا يوصف ، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم))** [١]

وهنا يتجلى لنا أنّ كنه الله (تعالى) لا يمكن لأحد أنّ يحيط به، ولو كان معصوما، فإذا ما شككنا من أنّ المعصوم (عليه السلام) له القدرة على معرفة كنهه (سبحانه وتعالى)، سرعان ما تطالعنا الآية القرآنية المباركة التي تتحدث عن تجلي الله (سبحانه وتعالى) للجبل الذي صار هباء، عندما طلب النبي موسى (عليه السلام) من الله (تبارك وتعالى) أنّ ينظر إليه، فهو لا يحد ولا يوصف ولا يمكن أنّ يمثل بشيء، أو يكون كمثله شيء.

وكذلك كثير من أدعية المعصومين (عليهم السلام) من أنَّ لا أحد يحيط بكنه الله (سبحانه وتعالى)، إذ إنّ مجرد السؤال عن جوهرية الله (جل وعلا) يخرج المرء من السنة ويصبح زنديقا، بحد قول الإمام (عليه السلام) [٢]

مما ورد من صفات الله (سبحانه وتعالى) على لسان المعصومين (عليهم السلام) ما جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) في جوابه لمن سأل عن معنى الله (سبحانه وتعالى)، إذ قال : **((استولى على ما دق وجل))** [٣]، إن ما يشي به السؤال، هو أنّ السائل أراد معرفة اسم الله (تعالى)، إذ إنّه أراد

---

(١) نور البراهين أو أنيس الوحيد في شرح التوحيد: ٢٥٧/١، مكاتيب الأئمة: ١٨/٦

(٢) بحار الأنوار الجامعة لأخبار الأئمة الأطهار: ٢٩٢/٣.

(٣) مكاتيب الأئمة: ٢٣/٤-٢٤، الوافي: ٧٤/١.

معرفة معنى الله(سبحانه)، بيد أنَّ الجواب الذي أطلقه الإمام الصادق (عليه السلام) متعلق بصفاته تعالى، والمستفاد منه أنَّ السؤال يمكن أن ينصرف إلى معنيين:

الأول: قد يكون السائل يعي أنّ الاسم غير الذات الإلهية، فيكون سؤاله دقيقا، ويكون جواب الإمام (عليه السلام)، على ما أراد عينا.

الآخر: من المحتمل أن يكون السائل من الذين لا يعرفون الله (سبحانه وتعالى)، فأجابه الإمام بجواب يشير فيه إلى ملك الله (تعالى) المطلق، الذي لا يعزب عنه لا صغير ولا كبير من الأمور.

إنَّ الاستيلاء على كل الأشياء من الأمور الملازمة لمعنى الإلوهية، إذ إنّ حق الإلوهية الاستيلاء على كل الأشياء صغيرها وكبيرها [١]، وإنَّ من أعظم الصفات الكمالية المتعلقة بالذات الإلهية؛ هي الاستيلاء على الأشياء كلها دقيقها وجليلها، عظيمها وحقيرها؛ لأن صفة الاستيلاء مستلزمة لجميع الصفات الكمالية [٢]، والاستيلاء هو مناط العبودية الحق لكل شيء [٣] ، وهو ما يفسر كونه تعالى (مالك يوم الدين)، إذ إنّ من تكون خواتيم الأمور بيده، لا بد أن تكون مقاديرها ومسببتها بيده أيضا.

ومن الصفات التي وصف المعصومون بها الله (سبحانه وتعالى)، ما جاء عن الإمام الكاظم (عليه السلام) في جوابه لطاهر بن حاتم بن ما هويه [٤] حينما سأله عن معرفة الخالق التي لا تجزئ عنها أي معرفة سواها، إذ قال: ((**ليس كمثله شيء ولم يزل سميعا وعليما وبصيرا ، وهو الفعال لما يريد**)) [٥] تطالعنا في هذا التوقيع مجموعة من الصفات التي تتعلق بالذات الإلهية المقدسة، ولعلها

---

(١) ينظر: المحاسن: ١/هامش ٢٣٨.

(٢) ينظر: شرح أصول الكافي: ٦/٤.

(٣) ينظر: الحاشية على أصول الكافي: شرح ٣٨٨.

(٤) طاهر بن حاتم بن ماهويه القزويني أخو فارس بن حاتم ، كان صحيحا ثم خلط ، فهرست مصنفي الشيعة (رجال النجاشي): ٢٠٨، وقد صرح البعض بأنه مغال ملعون كذاب، ينظر: الأبواب (رجال الطوسي): ٣٥٩، وبالنظر لوجود مدة استقامة قد أخذ البعض من رواياته مشيرا إلى إنها كانت في حالة استقامته كما في، الكافي: ٨٦/١.

(٥) التوحيد: الشيخ الصدوق: ٢٨٤، مكاتيب الأئمة: ٣٥٦/٤.

لب الصفات الذاتية والكمالية؛ لما ورد في السؤال من أنَّ المعرفة بهذه الصفات لا تجزئ أي معرفة أخرى عنها، وأول هذه الصفات هي: نفي المثلية بالله (سبحانه وتعالى) من أيّ شيء، فهو لا يلمس بالأخماس ولا يدرك بالحواس [١]، وإنّه (سبحانه وتعالى) لا جسم ولا صورة، إذ ورد عن الإمام الهادي (عليه السلام) في نفي الجسم والصورة عنه تعالى: ((**سبحان من ليس كمثله شيء لا جسم ولا صورة**)) [٢]، وإنّ استعمال لفظة (كمثله) هو استعمال دقيق للغاية.

ومعرفة حقيقة (ليس كمثله شيء) قد عدّها الشارع المقدس رأس المعرفة، بنَصّ قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((جاء أعرابي إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : يا رسول الله علمني من غرائب العلم قال " ما صنعت في رأس العلم حتى تسأل عن غرائبه ؟ " قال الرجل : ما رأس العلم يا رسول الله ؟ قال : " معرفة الله حق معرفته " قال الأعرابي : ما معرفته حق معرفته ؟ قال " تعرفه بلا مثال ولا شبه ولا ند وأنه واحد أحد ظاهر باطن أول آخر لا كفو له ولا نظير له فذلك حق معرفته ")) [٣] .

إن كلمة (ليس كمثله شيء) قد أصبحت قاعدة يُرد بها المتشابه من الآيات التي يُستشف من السياق الخارجي لها معنى التشبيه والجسمانية لله (سبحانه وتعالى)، فحينما يقول الحق تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا**﴾ [الفتح/ ١٠] فيُرد معنى التشبيه الذي توهمه ضعاف العقول بأن الله (عز وجل) له يد بموجب هذه الآية؛ لأنّ الأسوياء لا يتوهمون ذلك مطلقا.

إن السمع والبصر والعلم من الصفات الكمالية الملازمة للذات الإلهية، فهنَّ متحققات من دون واسطة، كما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((عن أبان بن عثمان الأحمر ، قال : قلت

---

(١) ينظر: الفوائد الملية لشرح الرسالة النفلية: ١٧٠.

(٢) الكافي: ١٠٤/١، مكاتيب الأئمة: ١٦/٦.

(٣) الوافي: هامش ١/ ٣٤٣.

للصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) : أخبرني عن الله تبارك وتعالى ، لم يزل سميعا بصيرا عيما قادرا ؟ قال : نعم . فقلت له : فإن رجلا ينتحل موالاتكم أهل البيت يقول : إن الله تبارك وتعالى لم يزل سميعا بسمع ، وبصيرا ببصر ، وعليما بعلم ، وقادرا بقدرة . قال : فغضب (عليه السلام) ، ثم قال : من قال ذلك ودان به فهو مشرك ، وليس من ولايتنا على شيء ، إن الله تبارك وتعالى ذاتٌ علامة سميعة بصيرة قادرة)) [١]، ومما يؤكد أنّ هذه الصفات هي ملازمة للذات الإلهية، هو أنّ افتعال واسطة لهذه الصفات، تكون هذه الواسطة والعياذ بالله شريكا لله (سبحانه وتعالى)، ويصبح المرء بذلك مشركا، فضلا على خروجه من ولاية المعصومين (عليهم السلام)، ومعلوم ما لولايتهم من آثار في الدنيا والآخرة، وهو مبحث واسع لا مجال لذكره هنا.

إنّ أكثر صفات الحق (سبحانه وتعالى) التي وردت في التوقيع قد جاءت على صيغة المبالغة، مما يعني أنّ لا نفاد لسمعه أو لبصره أو لعلمه، وإنّ علم الله (سبحانه وتعالى) لا منتهً له، ولا نفاد، وهذا ما أكده الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) بقوله: ((**لا تقولن منتهى علمه ، فإنه ليس لعلمه منتهى . ولكن قل : منتهى رضاه**)) [٢].

إنّ علم الله (سبحانه وتعالى) لا يزداد ولا ينقص، ولا يتغير ولا يستجد له شيء بعد إحداث أمرا ما، فهو علم محيط بكل الأشياء، وهو ذاته بكل الأزمنة، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ومن الموارد التي ورد فيها التوقيع في توحيد ذات الله (سبحانه وتعالى) ما ورد عن الإمام الهادي (عليه السلام) في معرض جوابه لأيوب بن نوح [٣]، عندما سأله عن علم الله (تعالى) بخلق الأشياء، أيتغير بعد خلقها،

---

(١) الأمالي: ٧٠٨.

(٢) تحف العقول عن آل الرسول: ٤٠٨، مكاتيب الأئمة: ٣٥٦/٤.

(٣) أيوب بن نوح بن دراج النخعي، أبو الحسين، كان وكيلا لأبي الحسن وأبي محمد عليهما السلام، عظيم المنزلة عندهما ، مأمونا ، وكان شديد الورع ، كثير العبادة ، ثقة في رواياته ، وأبوه نوح بن دراج كان قاضيا بالكوفة ، وكان صحيح الاعتقاد ، وأخوه جميل بن دراج، نقد الرجال –التفرشي– ٢٥٩/١، وما جاء في كتاب الغيبة

أو أنه هو ذاته قبل الخلق وبعده؟ إذ قال: ((**لم يزل الله عالما بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء**)) [١]

إنّ الله (سبحانه وتعالى) حيث كان ولا شيء كائن، كان عليما قديرا لا يخفى عليه شيء، ثم أنّه (سبحانه وتعالى) أراد أنّ يخلق الخلق، فخَلَقَ الله (سبحانه وتعالى) العوالم الثلاثة، عالم النور، وهو عالم تتمظهر فيه جميع المخلوقات بمظهر نوراني، وإنْ كان من المخلوقين هو كافر أو مشرك؛ بسبب وجود مسة نورانية تتمثل بالخلق الإلهي، وعالم الخزائن، هو عالم يحوي الأشياء جميعها، فإذا أراد الله شيء قال له وهو في عالم الخزائن كن فيكون، وعالم الوجود أو التنزيل، هو عالم التمظهرات الخارجية على أرض الواقع، وإن الله (سبحانه وتعالى) عالم بجميع حيثيات هذه العوالم، وبما سيحصل لاحقا أو في المستقبل.

وإنّ موضوع علم الله (سبحانه وتعالى) من المواضيع المعمقة التي لا تحويها هذه الصفحات، فكثير من الإشكالات والشبهات تُطرح في هذا الموضوع، كما قيل من إنّ علم الله (سبحانه وتعالى) إن كان أزليا، مما يعني أنّ هناك أزلي غيرَ الله (تعالى)، ومن ثمَّ سيكون له حتما شريك، أو أن يكون علمه حادثا، فما الحالة التي كان بها سابقا؟ ويرى الباحث أنَّ علم الله (سبحانه) من صفاته الذاتية التي لم ولن تتغير، وليس من صفاته الفعلية كالرضا مثلا؛ ولذا نهى الإمام (عليه السلام) عن قول: منتهى علمه، بل يقال منتهى رضاه.

من المسائل الهامة المتعلقة بالتوحيد هي مسألة الأزلية، بمعنى هل أنّ الله (سبحانه وتعالى) هو الأزلي الوحيد أم أنّ هناك مخلوقات أخرى كالقرآن والزمن وأفعال العباد هي أزلية أيضا؟ ومن ثمَّ أما

للطوسي فيه مدح كبير لهذه الشخصية العظيمة إذ ورد: ((كنت عند أبي الحسن العسكري (عليه السلام) بصريا إذ دخل أيوب بن نوح ووقف قدامه فأمره بشيء ، ثم انصرف ، والتفت إلي أبو الحسن (عليه السلام) وقال : يا عمرو إن أحببت أن تنظر إلى رجل من أهل الجنة فانظر إلى هذا)) ،الغيبة: ٣٤٩.

(١) التوحيد: ١٤٥-١٤٦، مكاتيب الأئمة: ١٤/٦.

أنّ يكون ثمة شريكا لله (جل وعلا) في الأزل، وبهذا تنتفي الوحدانية، وهو محال، أو أنّ الأشياء الأخرى مخلوقة جميعها، بما فيها القرآن الكريم، ومن ثمَّ –من منطلق القاعدة المنطقية– كل مخلوق حادث، وكل حادث متغير [١] سيكون القرآن الذي هو كلام الله (عز وجل) متغير لا يمكن الاتكاء عليه، ومن ثمَّ ستقسم المخلوقات إلى أزلية وغير أزلية، وهكذا دواليك تبقى دوامة الحيرة مستمرة/ وإن هذه الأفكار الضالة هي تمخضات العقول المريضة التي رفل برحابها الخوارج [٢].

نجد الإمام الرضا (عليه السلام) قد عالج هذه الإشكاليات في جوابه لحمدان بن سليمان [٣] حينما سأله عن أفعال العباد أمخلوقة هي أم لا؟، إذ قال: ((**أفعال العباد مقدرة في علم الله قبل خلق العباد بألفي عام**)) [٤] ، إن أفعال العباد مخلوقة خلقا تقديريا، لا خلقا تكوينيا، وهذا هو اعتقاد الشيعة الإمامية [٥]، و: ((معنى خلق التقدير أن الله عالم بمقاديرها)) [٦] أما الخلق التكويني: فهو المتمثل بعالم الوجود، المتحقق مصداقه على أرض الواقع.

---

(١) ينظر: شرح المقاصد في علم الكلام: ٣٩/١.

(٢) الخوارج هم كل من خرج على إمام زمانه الحق، وأول من خرج على إمام زمانه –وهو علي بن أبي طالب– هم جماعة من الخوارج، منهم: الأشعث بن قيس الكندي، ومسعر بن فدكي التميمي، وزيد بن حصين الطائي، وهم على فرق متعددة: المحكمة، والأزارقة، والنجدات، والبيهسية، والعجاردة، والثعالبة، والإباضية، والصفرية، والباقون فروعهم ، ينظر: الملل والنحل: ١١٤/١–١١٥.

(٣) حمدان بن سليمان بن عميرة النيسابوري المعروف بالتاجر : ذكره الشيخ تارة هكذا في رجاله في أصحاب الهادي (عليه السلام) . وثانية في باب أصحاب الرضا (عليه السلام) قائلا " : حمدان بن سليمان النيشابوري ... وقال النجاشي : حمدان بن سليمان أبو سعيد النيشابوري ثقة من وجوه أصحابنا ، مستدركات علم رجال الحديث: ٢٦٤/٣.

(٤) عيون اخبار الرضا (ع): ١٢٤/١.موسوعة مكاتيب الأئمة: ١٧٠/١، مكاتيب الأئمة: ٣٠/٥.

(٥) ينظر: الاعتقادات في دين الإمامية: ٢٨.

(٦) اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء عليها السلام: ٣٥٩.

ولربما يطرح السؤال الآتي: ما الفرق من أن تكون أفعال العباد مخلوقة خلقا تكوينيا، أو أن تكون مخلوقة خلقا تقديريا؟ إنّ بين الخلق التكويني للأفعال وبين الخلق التقديري لها بون شاسع جدا؛ لأن أفعال العباد إذا كانت مخلوقة خلقا تكوينيا، فيستلزم من الله (جل وعلا) الظلم والعياذ بالله؛ لأننا حينها سنكون مجبورين على أفعالنا، سواء الصحيحة والخيرة منها أم الخاطئة والشريرة، ومن ثمَّ إن عاقب الله (سبحانه وتعالى) أحدا على أفعاله الشريرة، كان ظلما منه تعالى؛ لأنه خلق له هذا الفعل، وأما إن أثاب أحدا على أعماله الخيرة، لم يكن للعبد فضيلة في ذلك على سواه؛ لأن أفعاله الخيرة قد خلقها الله (تعالى) له، وهذا محال؛ لأنه مذهب فاسد.

أما إذ كانت أفعال العباد مخلوقة خلقا تقديريا؛ بمعنى أن مقاديرها ثابتة في علم الله (تعالى)، لا يستلزم منه الظلم مطلقا؛ لأن حينها يكون العبد قد اهدي النجدين، إما شاكرا وأما كفورا، ومن ثمَّ لا تكون الأفعال مستندة أليه (سبحانه وتعالى) [١]، وهي حقيقة قد أكدها الإمام الهادي (عليه السلام) بقوله: ((لو كان خالقا لها لما تبرأ منها ، وقد قال سبحانه ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥٓ﴾[٢] ولم يرد البراءة من خلق ذواتهم وإنما تبرأ من شركهم وقبائحهم)) [٣].

نجد في التوقيع المتقدم توقيتا لخلق الأفعال في قول الإمام (عليه السلام): (بألفي عام) فلِمَ هذا التوقيت؟ وهل أنّ الألفي عام من سني الأرض أم من سني السماء؟ وكيف كانت أفعال العباد آنذاك، أهي متمثلة بالأرواح أم بالأجسام؟، مجموعة من الأسئلة في الإجابة عليها تفتح آفاقا على علوم جديدة يمكن من خلالها الاطلاع على معرفة جمة، أما ما يتعلق بطرق تحصيل الإجابة، فهي محصورة بالمعصومين فقط؛ فلا يمكن لأحد أنّ يستشرف على ما وقع من أحداث آنذاك؛ فهي واقعة قبل خلق الخلق. ولربّما يثار السؤال الآتي: إنّ المعصومين (عليهم السلام) هم بشر مثلنا كما نصّ عليه القرآن

---

(١) ينظر: حياة الإمام الرضا: ١٩٤/١.

(٢) التوبة: ٣.

(٣) مجموعة رسائل: ٢٩٥/١.

الكريم، فكيف يمكنهم أن يحيطوا بمعرفة جميع ما جرى قبل خلق الخلق بألفي عام؟ قد أكدت الرواية الشريفة على أنّ الأشباح التي رآها آدم (عليه السلام) على العرش قبل خلقه بآلاف السنين، هي أشباح رسول الله (صلى الله عليه وآله) والإمام علي وفاطمة الزهراء والحسن والحسين (عليهم سلام الله وصلواته)، كما سيأتي الحديث عنها في مبحث الإمامة.

أشارت الروايات إلى أنّ الله (سبحانه وتعالى) قد آخى بين الأرواح قبل الخلق بألفي عام [١] وإن هذه المؤاخاة التي حصلت في عالم الأظلة؛ بمعنى العالم النوراني المجرد، ستأتي أُكلها حين تنضج ثمارها في قيام القائم من آل محمد (صلوات الله وسلامه عليهم)، فيرث الأخ الذي تآخى في عالم الأظلة ولا يرث الأخ من الولادة [٢]، مما يعني إن ما حصل في عالم الأظلة من مؤاخاة، قد اكتملت عن طريقه حقيقة الإيمان لدى البعض من الخلق إذ يُمكّنه ذلك حينها من الارتباط بشخص آخر مكتمل حقيقة الإيمان ارتباطا أخويا، يتيح له أن يكون من أنصار الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ لذا فإن أرواح البعض لم يكن لها حضورا في ذلك الموقف؛ لأنها مقدرة في علم الله (سبحانه) أنها من أهل النار [٣] .

قد تعددت لفظة (ألفي عام) في الروايات، منها ما يتعلق بحج الملائكة قبل آدم بألفي عام [٤] بل أنّ خلق الكعبة قد حصل قبل دحو الأرض بألفي عام [٥]، ومنها أيضا إنَّ اسماء أصحاب الكساء الخمس قد كُتبت على باب الجنة قبل خلق السماوات بألفي عام [٦] فلعل أنَّ هذا التوقيت دال على

---

(١) ينظر: الهداية: ٣٤٣.
(٢) ينظر: الوافي: ٩٥٦/٢٥، ينظر: الينابيع الفقهية: ٢٥/٢٢.
(٣) ينظر: بصائر الدرجات: ١٠٧.
(٤) ينظر: مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام: ٣٠١/٢.
(٥) ينظر: الحدائق الناظرة في أحكام العترة الطاهرة: ٣٩٠/١٧.
(٦) كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء: ٨٨/١.

كثرة السنين المتهالكة في الزمن، وليس توقيتا عينيا، وإذا ما كان توقيتا عينيا، فهذا يعني: إنّ هناك سرا لا يعلمه إلا الله في هذا التوقيت؛ لذا خُص فيه أغلب المخلوقات التي يتحقق بها النصر الإلهي.

لم تصرح الروايات بكون هذه السنين هي من سني الأرض أم من سني السماء، إلا أن الراجح –كما يرى الباحث– إنها من سني السماء؛ لأن أغلب الأحداث التي وقعت آنذاك، هي أحداث سماوية قد حصلت قبل خلق الخلق، فلما أراد الله (سبحانه وتعالى) خلق الخلق قال: ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ [البقرة/ ٣٠] فبعد الجعل، وخلق آدم (عليه السلام) قد بدأت سنين الدنيا.

إنّ روح التوحيد هو رفض العبودية لغير الله (سبحانه وتعالى)، فقد يقع الشرك في الله نفسه (سبحانه وتعالى)، إذ إنّ الاسم (الله) هو غير المسمى، كما أشار لذلك الإمام محمد الجواد (عليه السلام) في نهيه عمن يعبد الاسم، فـ: ((**إنّ من عبد الاسم دون المسمى بالأسماء أشرك وكفر و جحد ولم يعبد شيئا بل اعبد الله الواحد الاحد الصمد المسمى بهذه الأسماء دون الأسماء إن الأسماء صفات وصف بها نفسه**))[١] إنّ جميع الاسماء المستعملة تدل على المسمى دلالة تحديدية إشارية، بمعنى إنَّ من نطلق عليه اسم علي مثلا، فإنّنا نشير إلى شخص شغل حيزًا من المكان، قد حُدد بالإشارة إليه، فكيف يمكن أن نطلق على الله (سبحانه وتعالى) اسما يشير إليه، وهو ليس كمثله شيء فلا يُحد بمكان؟.

وحتى لفظ الجلالة (الله) هو ليس اسما علما له، وإنما يدل على جميع الصفات الكمالية، كما ورد في مفتاح الفلاح : ((لفظة الله الجامع لجميع صفات الكمال أعني الصفات الثبوتية)) [٢]، ويرى البعض أنَّ لفظ الجلالة إنَّما اختص بحضرته تعالى؛ لأنه لم يسم أيّ أحد بهذا الاسم على عكس الأسماء الأخرى المسمى بها تعالى، إذ ورد في مشرق الشمسين: ((ذهب جماعة إلى أنَّ لفظ الجلالة في الأصل وصف لكن لما لم يطلق على غيره جل شأنه أصلا لا في الجاهلية ولا في الإسلام وصار

---

(١)الكافي: ٨٧/١، مكاتيب الأئمة: ٣١٠/٥.

(٢) مفتاح الفلاح في عمل اليوم والليلة من الواجبات والمستحبات والآداب: ٩٢.

له تعالى كالعلم أجرى مجراه وليس في الحقيقة علما واستدلوا على بطلان القول بالعلمية بوجوه منها أن معنى الاشتقاق هو كون أحد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب هذا حاصل بينه وبين الأصول المذكورة قبيل هذا ومنها أنَّه لو كان علما أفاد ظاهر قوله تعالى " وهو الله في السماوات " معنى صحيحا لإشعاره حينئذ بالمكانية تعالى الله عنها علوا كبيرا بخلاف ما لو كان وصفا بمعنى المعبود بالحق))[١]

فإنّ أسماء الله الحسنى هي أسماء له، وليست أسمائه، فعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: ((الله غاية من غياه ، والمغيي غير الغاية ، ... فالذاكر لله غير الله ، والله غير أسمائه وكل شيء وقع عليه اسم شيء سواه فهو مخلوق ، الا ترى إلى قوله : العزة لله ، العظمة لله ، وقال : ﴿ **وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا**﴾ [٢] وقال : ﴿ **قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ** ﴾ [٣] فالأسماء مضافة إليه وهو التوحيد الخاص)) [٤] ، إذًا إنّ الله (سبحانه وتعالى) هو ذات لا يمكن أن يدرك كنهها أحد من الخلق، تُعرف هذه الذات بهذه الأسماء المضافة لها.

والبعض عدَّ هذه الأسماء صفات لله (سبحانه وتعالى) [٥] والبعض الآخر عدّها أفعاله الحسنة [٦]، على حين نجد صاحب تفسير الميزان قد عدّ الأسماء المتعلقة بالذات الإلهية جميعها مرتبطة بالكون كل على حدة، إذ قال: ((وإنما المراد بالاسم في أمثال هذه الموارد هو المحكي عنه بالاسم اللفظي وهو الذات مأخوذا بصفة من صفاته ووجه من وجوهه ...إنه لا شك أن أسماء الله تعالى الحسنى وسائط لظهور الكون بأعيانه وحدوث حوادثه التي لا تحصى ، فإنا لا نشك في أن الله

---

(١)مشرق الشمسين وأكسير السعادتين (الملقب بمجمع النورين ومطلع النيرين): ٣٩٥-٣٩٦.

(٢) سورة الاعراف/ ١٨٠

(٣) سورة الإسراء/ ١١٠

(٤) ينظر: تفسير نور الثقلين: ٢/ ١٠٤.

(٥) ينظر: التبيان: ٥/ ٤٠

(٦) ينظر: الإنصاف في ما تضمنه الكشاف من الاعتزال: ١٣٢/٢

سبحانه خلق خلقه لأنه خالق جواد مبدئ مثلا لا لأنه منتقم شديد البطش ، وأنه إنما يرزق من يرزق لأنه رازق معط مثلا لا لأنه قابض مانع ، وأنه إنما يفيض الحياة للأحياء لأنه الحي المحيي لا لأنه مميت معيد ، والآيات القرآنية أصدق شاهد على هذه الحقيقة ، فإنا نرى المعارف المبينة في متون الآيات معللة بالأسماء المناسبة لمعانيها في ذيلها فربما اختتمت الآية لبيان ما تضمه من المعنى باسم ، وربما اختتمت باسمين يفيدان بمجموعهما المعنى المذكور فيها .ومن هنا يظهر أن الواحد منا لو رزق علم الأسماء وعلم الروابط التي بينها وبين الأشياء وما تقضيه أسماؤه تعالى مفردة ومؤلفة علم النظام الكوني بما جرى وبما يجرى عليه)) [١]، ومن هنا إن أطلقنا اسم الرازق على الله أردنا به الرزق المادي أو المعنوي، أو إذا أطلقنا اسم الحي على الله (سبحانه وتعالى) أردنا به الحياة لا الممات، وهكذا دواليك.

وما يوضح كون الاسماء مضافة لله سبحانه توضيحا لا يدع للجهل فيها مجالا ما ورد في تفسير القرآن الكريم: ((عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملا إلاّ بمعرفتنا)) [٢]، ومن ثمَّ يكون معنى قوله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا**﴾ [الأعراف/ ١٨٠]، أن ندعوا الله عز وجل بأهل البيت (عليهم السلام)؛ لأنهم هم أسماؤه الحسنى، وهم الدليل إليه، إذ إنّهم ثبتوا على زحاليفها في الزمن الأول.

قد أشار الإمام الجواد (عليه السلام) بقوله: **(بل اعبد الله الواحد الأحد الصمد)** لثلاث صفات قد تفرد بها الله (سبحانه وتعالى)، فلا يوصف أحد بها غيره، وهذه الصفات هي: الأحدية والواحدية والصمدية. وسنحاول أنّ نسلط الضوء على كل صفة من هذه الصفات بشكل موجز:

---

(١) تفسير الميزان:٦/٢٥٤

(٢) تفسير القرآن الكريم–عبد الله شبر–: ١/ ٧٦.

الأولى: الأحدية وهي: ((عدم قبول القسمة بأنحائها))[١]، مما يعني أنّ الأحد ليس من جنس الأرقام؛ لأن جميع الأرقام المعروفة سواء أكانت زوجية أم فردية تقبل القسمة، وإن كان ببقاء الباقي فيها حين القسمة، أما أنّ أحديته تعالى لا تطالها عمليات الأرقام من جميع الجهات، والمراد بالأحدية: ((الأحد الجامع لجميع صفات الجلال أعني الصفات السلبية إذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن التركيب الذهني والخارجي والتعدد وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة ولوازمهما كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة)) [٢]، إنّ الصفات السلبية هي من صفات الجلال؛ لأنها صفات تنزيهية [٣]، والصفات السلبية ليس كما يُفهم من ظاهر اللفظ أنَّ لله (سبحانه وتعالى) صفات نقص والعياذ بالله، وإنما تعني النفي، نحو نفي الجسمية، ونحو القدم والبقاء [٤]، وتنزيهه تعالى عن النقص والعجز والجهل والتركيب والاحتياج والمكان [٥]، وككونه تعالى: ((ليس بجسم ولا بعرض))[٦]، فمعنى الأحدية أنّها جامعة لهذه الصفات التنزيهية عنه تعالى جميعها، فيتقرر حينها تفرده (سبحانه وتعالى) عن كل ما تحتمله الأوهام؛ لأنه ليس كمثله شيء.

وأما قوله: (الواحد الحقيقي) فهو تعبير المناطقة، وهو ما يُقصد به الجزئي الحقيقي: الذي يمتنع صدقه على أكثر من واحد[٧]، وبهذا تكون الذات الإلهية منزهة عن التركيب الذهني والمصداق الخارجي؛ لأن الفهم الأول يستلزم منه أن الله (سبحانه وتعالى) يمكن ان تدركه الاذهان أما بالأوهام أو بالحقيقة، وهو فهم باطل؛ لما تقرر من عجز الأوهام عن إدراكه تعالى فضلا على إدراكه بالحقيقة.

---

(١) مشرق الشمسين وأكسير السعادتين (الملقب بمجمع النورين ومطلع النيرين): ٣٩٥.
(٢) مفتاح الفلاح في عمل اليوم والليلة من الواجبات والمستحبات والآداب: ٩٢-٩٣.
(٣) ينظر: المقتصر في شرح المختصر: ١٨.
(٤) ينظر: إعانة الطالبين: ٤/٣٥٥.
(٥) ينظر: الكافي: ١/هامش ٧٢.
(٦) شرح نهج البلاغة -البحراني-: ١/١٠٨.
(٧) ينظر: المنطق: ١/٦٨.

وأما الفهم الثاني فيستلزم منه أنّ لله تمثيلا وتشبيها وجسما متحققا مصداقه في الخارج، ومن ثمَّ ستنهدم قاعدة (ليس كمثله شيء) وهو محال.

إذًا إنّ الأحدية تشمل الصفات الجلالية جميعها، وبالوقت ذاته تؤكد على أنّ لا وجود لأي أحد يتصف بهذه الصفة المختصة به تعالى دون غيره من الخلق، وإنْ تعالت مقاماتهم كالأنبياء والأئمة (عليهم السلام).

مما يعني أنّ الأحدية هي عين الذات، والذات هي عين الأحدية؛ إذ كان الله ولا شيء كائن، فالأحدية هي الوجود الحقيقي لواجب الوجود وهو الله (سبحانه وتعالى)؛ لأن الموجودات الأخرى جميعها ممكنة الوجود؛ بمعنى أن الموجودات الأخرى متجزئة، لا يمكن لها أن تتمظهر إلا من خلال المكان فهي محتاجة إلى الحيز، ومن ثمَّ فإنّ صفة الفقر ملازمة لها في جميع الأشياء، وملتصقة بها، على عكس الذات الإلهية المتفردة بالكمال من جميع الجهات، من هنا استحال على الله (سبحانه وتعالى) أن يشاركه أحد في الأحدية.

وإنّ الصفات الكامنة في الأحدية هي غيب الغيوب –كما عُبر عنها بالنص الآنف ذكره–؛ بمعنى أن لا أحد يمكنه أنّ يتخيل كنه الأحدية، ومن ثمَّ يتضح معنى عدم إدراك الأوهام له جليا؛ لأن الأحدية هي التجلي الأول للذات الإلهية المقدسة، ولو اقتصرت الذات الإلهية على الأحدية، لما كان لوجود الموجودات فائدة، فبما أنّ لله (سبحانه وتعالى) صفة الواحدية أيضا، تلطف الله (سبحانه وتعالى) بنا، إذ تجلى لنا بالحضرة الواحدية المتمثلة بالنسب الأسمائية التي أمرنا أن ندعوه بها، وإلى هذا أشار صاحب تفسير مقتنيات الدرر بقوله: ((والأحد اسم لمن لا يشاركه شيء في ذاته كما أنّ الواحد اسم لمن لا يشاركه شيء في صفاته يعني إنّ الأحد هو الذات وحدها من غير اعتبار كثرة فيها فأثبت له الأحديّة الَّتي هي الغنى والفرديّة عن كلّ ما عداه وذلك من حيث عينه وذاته من غير اعتبار أمر آخر، والواحد هو الذات مع اعتبار كثرة الصفات وهي الحضرة الأسمائيّة ولذا قال: « إِنَّ إِلهَكُمْ لَواحِدٌ

» ولم يقل : لأحد لأنّ الواحديّة من أسماء التقييد فبين الواحديّة وبين الخلق ارتباط من حيث الإلهيّة والمألوهيّة بخلاف الأحديّة إذ لا يصحّ ارتباطها بشيء))[١]

الثانية: الواحدية وهي: ((نفي الشريك فإنما يستفاد من آخرها أعني قوله جل وعلا " ولم يكن له كفوا أحد " وبالنظر إلى ذلك سميت سورة التوحيد)) [٢] والواحدي يعني: ((مبالغة الواحد كالأحدي للأحد والمبالغة في واحدية الذات إشارة إلى الواحدية من جميع الجهات وعدم التكثر في الذات بوجه من الوجوه فلا يصح عليه المشاركة لخلقه بجهة من الجهات الذاتية ولا الصفات الحقيقية التي مرجعها إلى الذات فهو بائن من خلقه وهو سبحانه بذلك وصف نفسه في كتابه الكريم فإحاطته سبحانه بكل طائفة ليست إحاطة بجهة الذات بل إحاطة بالإشراف والاطلاع فعلمه محيط بالكل وكل شيء معلوم له وقدرته محيطة بالكل وكل شيء مقدور له لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بالإحاطة والعلم وليس إحاطته سبحانه بكل شيء بالذات لأن الأماكن محدودة فإذا كان إحاطته بالذات فان كانت بالدخول في الأمكنة لزم كونه محاطا بالمكان كالمتمكن وإن كانت بالانطباق على المكان لزم كونه محيطا بالمتمكن كالمكان))[٣]، إذًا إنّ الواحدية التي هي من صفات الله (سبحانه وتعالى)، والتي هي بوتقة الإذن الإلهية لمشاركة الخلق ببعض الأمور كالصلاة على محمد وآله (صلى الله عليه وآله)، دالة أيضا على عدم التكثر والمشاركة المطلقة؛ لأنها نابعة من الذات الإلهية المقدسة، وكما عرفت سابقا من أنّ الذات الإلهية بائنة عن الخلق بكل الوجوه والاحتمالات- لا أعني بالبائنة المعزولة عن خلقه، والعياذ بالله؛ إذ إنّه تعالى اقترب من الخلق من غير ملاصقة، وابتعد عنهم من غير مزايلة، وإنّما أعني: أن لا أحد يشاركه في هذه الصفات، وهذه الذات المقدسة-، فبها قد أحاط الله (سبحانه وتعالى) بكل الأشياء، فالواحدية هي: ((منشأ الصفات

---

(١) تفسير مقتنيات الدرر: ٢٥٨/١٢.

(٢) مشرق الشمسين وأكسير السعادتين (الملقب بمجمع النورين ومطلع النيرين): ٣٩٥.

(٣) الوافي: ١/هامش ٤٠١.

الذاتيّة من العلم والحياة والقدرة وغيرها ،وتلك الحضرة هي الواسطة بين سماء الأحديّة والإطلاق وبين أرض الكثرة والتقييد))[١]

وإنّ الواحدية هي الأخرى ليس معناها الواحد الذي: ((هو العدد المعروف ، بل صفة الواحدية التي لا حدوث ولا تغاير ولا اختلاف فيها ، لأنّ تلك الاختلافات هي صفة ما هو محصورٌ بالظرف الزماني والمكاني . أمّا الخالق الواحد فهو خالق الزمان والمكان ، فكلامهُ يحملُ صفةً من صفاته وهي عدم الاختلاف ، وبذلك يفترق عن كلام المخلوقين))[٢]

وإنّ الحضرة الواحدية هي الرفيق الأعلى الذي تلتحق به الروح حين يتوفاها الله (سبحانه وتعالى) [٣]، والمعبر عنها أيضا بعالم الملكوت، ولها مظاهر تتمثل بالإلهام الحاصل للأولياء والأوصياء (صلوت الله وسلامه عليهم)، وكذلك بالحديث القدسي وما شاكل ذلك من الأخبار مخصوص بحضرتها [٤].

مما تقدم يتضح لنا دقة المائز بين الأحدية والواحدية، سواء من ناحية المعنى والاشتقاق أم من ناحية الاستعمال، فالأول كما ورد عن صاحب رياض السالكين، وسنذكرها على هيئة مقارنة كما في الجدول الآتي: [٥]

الأحدية في الاشتقاق والمعنى	الواحدية في الاشتقاق والمعنى
١-**الأحد أصله وحد ، صفة مشبّهة منه كحسن ، أبدلت الواو همزة شذوذا.**	١- والواحد : اسم فاعل من وحد يحد وحدا من باب وعد . أي انفرد
٢- **الفرد الذي لا يتجزّى ، ولا يقبل**	٢- الفرد الذي لم يزل وحده ، ولم يكن

---

(١) تفسير المحيط الأعظم والبحر الخظم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم: هامش ٣/ ٤٨٨.

(٢) النظام القرآني: ١١.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير: ١٣٥/٢.

(٤) ينظر: تفسير المحيط الأعظم والبحر الخظم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم: ١/هامش ٣٣٨.

(٥) ينظر: رياض السالكين في شرح صحيفة الساجدين: ١٩٢/٥-١٩٣.

الانقسام.	معه آخر.
٣- والأحد : هو المتفرّد بالمعنى.	٣- الواحد : هو المنفرد بالذات في عدم المثل.
٤- المراد بالأحد : نفي الشريك عنه في ذاته وصفاته.	٤- المراد بالواحد: نفي التركيب والأجزاء الخارجيّة والذهنيّة عنه تعالى.
٥- الأحديّة : لتفرّد الذات.	٥- الواحديّة: لنفي المشاركة في الصفات

يتضح لنا مما تقدم عدم انفكاك الأحدية عن الواحدية؛ وقد اطلق عليه (تعالى) اللفظين وكأنهما اسم واحد، من هنا قد يفرق بينهما في الاستعمال من وجوه، كما في الجدول التالي [١] :

الأحدية في الاستعمال	الواحدية في الاستعمال
١- الأحد: يختصّ بوصف الله تعالى نحو : « قُل هُو الله أحدٌ ».	١- الواحد: يستعمل وصفا مطلقا.
٢- الأحد لا يطلق إلا على من يعقل .	٢- الواحد: أعمّ موردا ، لأنّه يطلق على من يعقل وغيره.
٣- الأحد لا يجوز أن يجعل له ثان فلو قلت : فلان لا يقاومه واحد جاز أن يقاومه اثنان فأكثر ، ولو قلت : لا يقاومه أحد لم يجز أن يقاومه اثنان ولا أكثر فهو أبلغ	٣- الواحد يجوز أن يجعل له ثان ، لأنّه لا يستوعب جنسه.
٤- ممتنع عن الدخول في الحساب	٤-يدخل الحساب والضرب والعدد

(١) ينظر: الفروق اللغوية: ٥٦٥.

والضرب والقسمة.	والقسمة.
٥- **الأحد يستوي فيه المذكّر والمؤنّث ، قال الله تعالى : « لَستُنَّ كأحدٍ مِن النِّساء »، ولا يجوز كواحد من النساء بل كواحدة**	٥- الواحد يؤنّث بالتاء.
٦- **يصلح الأحد للإفراد والجمع ولهذا وصف بالجمع في قوله تعالى : « مِنْ أحدٍ عنهُ حاجزينَ »**	٦- الواحد لا يصلح للإفراد والجمع.
٧- **والأحد له جمع من لفظه ، وهو أحدون وآحاد .**	٧- الواحد لا جمع له من لفظه ، فلا يقال : واحدون.

نجد في بعض الفروق المتقدمة أنّه قد حصل خلط بين معنى الواحدية التي هي صفة للذات الإلهية، وبين الواحد الذي هو أحد الأعداد، ويبدو أنّ هذا الخلط ليس وليد الساعة، وإنما له جذور في السابق؛ لذا نجد أمير المؤمنين (عليه السلام) قد أطلق قاعدة للتفريق بينهما بقوله: ((ليس لك من العدد إلَّا الوحدانية ، والمراد : أنه ليس بداخل في العدد ، بل له تعالى هذا الوصف بمعنى آخر. ولعل ذكر العدد لفائدة أنه إذا وصف تعالى بكونه أحدا ربما يتوهم منه أن أحديته عددية يلزمها ما يلزم الوحدة العددية . فقوله (عليه السلام) يدل على أنه ليس له إلَّا الوحدانية المغايرة لوحدة العدد ، المشاركة لها في الاسم .

ويحتمل أنّ يكون في التعبير بالوحدانية دون الواحدية إشارة إلى أنّ العدد هنا ليس العدد الذي له الواحدية ، بل الذي له الواحدنيّة [١] ، فيكون مسمّى بالعدد مجازا ، والمعنى : إذا عدّت الموجودات كنت أنت المتفرد بالوحدانية من بينها))[٢]، وبهذا تنتفي الشكوك والشبهات حول هذه المسميات.

الثالثة: الصمدية وهي: ((السيد المصمود إليه في الحوائج ، أي المقصود إليه من صمد إليه ، أي قصد ، فهو فعل بمعنى مفعول)) [٣] ومعنى الصمد: ((الغني الذي يحتاج إليه كل شيء وهذا دليل على أنه أحدي الذات إذ لو كان له جزء لكان مفتقر إلى غيره فلم يكن غنيا وقد فرض غنيا هذا خلف وكل واحد فرداني لا شريك له إذ لو كان له شريك في معنى ذاته لكان مركبا عن ما به يمتاز وما به يشترك فيكون مركبا ولو كان له شريك في ملكه لم يكن غنيا يفتقر إليه غيره فصمديته دليل أحديته وأحديته دليل فردانيته في ذاته وملكه))[٤]، مما تقدم يتضح لنا الترتيب التسلسلي للصفات، فصورة الواحدية منعكسة من الأحدية التي هي ملازمة للذات الإلهية، تليها الصمدية التي تشرح معنى الأحدية بوضوح، فهو تعالى مقصد الموجودات الممكنة جميعا؛ لأنها مفتقرة في ذاتها لكل شيء، فلا يعقل أنّ من يسد فقرها، تكون ذاته متجزئة ومن ثمَّ يكون هو الآخر محتاجا لمن يسد نقصه، وتعالى الله (سبحانه) عن ذلك علوا كبيرا.

المبحث الثاني: النبوة/

إنَّ النبوة من المرتكزات الأساسية بعد توحيد الذات الإلهية، وهي من واجبات لطف الله (سبحانه وتعالى) بخلقه، فكيف يمكن أن يحقق العبد ما يريده الله (عز وجل) منه على وجه الكمال من دونهم؟!، بل كيف يعرف ما يريده الله (تعالى) منه إن لم يبعثهم الله (سبحانه وتعالى)؟!، فالنبوة إذًا

---

(١) هكذا في المصدر، ولعل المراد: الوحدانية.

(٢) الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية: ٣٨١/١.

(٣) رياض السالكين في شرح صحيفة الساجدين: ١٩٣/٥.

(٤) أسرار الآيات: ٣٣.

هي سفارة ربانية قد بعثهم الله (تعالى) ليرتقوا بالأمة من قعر الجهالة، ومستنقع الضلالة، إلى نور الهداية، ومصباح الدراية، ولما كانت النبوة محط اهتمام كثير من العلماء، فتناولوها من جوانب عدة، كالمتكلمين والعقائديين وغيرهم؛ لم نتعرض هنا لذكر تفاصيلها، إنّما سنقتصر على ما لدينا من تواقيع في الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله)، كالتواقيع المتحدثة عن فضله (صلى الله عليه وآله)، وعن ميراثه الذي تناقل بين أولاده المعصومين باهتمام بالغ، وحرص كبير، فما سنذكره من فضائله في هذه الوريقات، ما هو إلاّ غيض من فيض من كرامات الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، فعن الإمام العسكري (عليه السلام) في جوابه لمن سأله عن كيفية عبادة الله (سبحانه وتعالى) من دون أن يراه العبد؟ وهل أن المعصومين كرسول الله (صلى الله عليه وآله) مثلا يستطيعون رؤيته؟: ((**يا أبا يوسف جلّ سيدي ومولاي والمنعم علي وعلى آبائي أن يُرى ... إنّ الله تبارك وتعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحب**))[1]، إنّ صدر التوقيع المتقدم يتعلق بصفات الحق تعالى، من أنّه لا يُرى، إذ لا يمكن لأحد رؤيته وإن كان معصوما، بل وإن كان سيد الكونين ذاته، وهذا المعنى قد تكلم به الباحث طويلا في مبحث التوحيد آنفا، بيد أنّ القلوب الطاهرة والنقية يريها الله (عز وجل) من نور عظمته كما يحب، وتختلف مقدار الرؤيا من معصوم لآخر؛ لذا أصبح بعض الأنبياء من أولي العزم؛ لما تمثل من قوة اليقين وثباته في قلوبهم، وكان رسولنا الاعظم محمد (صلى الله عليه وآله)، أول من أقر بالعبودية لله (سبحانه وتعالى) سابقا البشر جميعهم بذلك، بل جميع الأنبياء، فصار سيدهم وسيد الكونين جميعا، فإنّ الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) حين بلغ سدرة المنتهى، واطلع على عالم النورانية، لم يطأ أحدٌ هذا العالم قبله، ولن يطأه أحدٌ بعده، وهذا ما تشير له الروايات المتواترة، فعن الإمام الرضا (عليه السلام): ((قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لما أسري بي إلى

([1]) التوحيد: ١٠٨، مكاتيب الأئمة: ٢٥٦/٦.

السماء بلغ بي جبرئيل مكانا لم يطأه جبرئيل قط ، فكشف لي فأراني الله (عز وجل) من نور عظمته ما أحب))[١].

وقد توهم البعض أنّ الوقت الذي تمكن به رسول الله (صلى الله عليه وآله) من رؤية نور عظمة الله (سبحانه وتعالى) في الإسراء والمعرج، قد خلق الله (تعالى) له –في ذلك الوقت– إدراكا علميا غير مسبوق من ذي قبل، فتمكن بوساطة هذا الإدراك العلمي من الرؤية [٢]، وهو قول لا ينسجم وشخص الرسول الأعظم الذي قاب قوسين أو أدنى، فهو شخصية كاملة، لم يعتريها النقص قط، وإلا كيف يمكن أن نتوقع أن اسم الرسول الأعظم قد كُتب على العرش قبل خلق آدم بآلاف السنين، كما جاء في مجمع البيان: ((إن آدم رأى مكتوبا على العرش أسماء معظمة مكرمة، فسأل عنها، فقيل له، هذه الأسماء أجل الخلق منزلة عند الله تعالى، والأسماء: محمد، وعلي، والحسن، والحسين [٣]))[٤]، فهل كانت حقيقة الإيمان لديه (صلى الله عليه وآله) غير كاملة آنذاك، وعلى الرغم من ذلك قد كتب الله اسمه على عرشه؟ لأن نور العظمة لا يُرى إلا باكتمال الإيمان، كما ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام): ((دخل عليه رجل من الخوارج فقال له : يا أبا جعفر أي شيء تعبد ؟ قال : الله ، قال : رأيته ؟ قال : لم تره العيون بمشاهدة العيان ، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان لا يعرف بالقياس ، ولا يدرك بالحواس ، ولا يشبه بالناس ، موصوف بالآيات ، معروف بالعلامات ، لا يجور في حكمه ، ذلك الله لا إله إلا هو . قال : فخرج الرجل وهو يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالته))[٥]، وبهذا يكون (صلى الله عليه وآله) كاملا، واليقين ثابت في صدره؛ فلذا قد كُتب اسمه على العرش، كما أنه أراه من نور العظمة ما أحب الله له، وما أحب الرسول ذاته، وإلا ما كان قلب الرسول الأعظم ليكون مشكاة لولا

---

(١) التوحيد: ١٠٨.

(٢) ينظر: شرح أصول الكافي: ١٦٣/٣.

(٣) لم يذكر المصدر اسم السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، ولا أعلم ما السبب وراء ذلك.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٧٥/١.

(٥) التوحيد: ١٠٨.

كمال حقيقة الإيمان فيه، وهذا ما ورد عن الإمام العسكري في جوابه لمن سأله عن معنى المشكاة، إذ قال (عليه السلام): ((**المشكاة قلب محمد**))[١](صلى الله عليه وآله)، وربما يثار السؤال الآتي، إنه لِمَ خُص معنى المشكاة بقلب الرسول الأعظم من دون سائر جوانحه؟

إنّ المشكاة قد مُثل بها نور الله (سبحانه وتعالى)، كما في الآية الشريفة: ﴿ **ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ** ﴾ [النور/٣٦]، ومعلوم من أنَّ الله (سبحانه وتعالى) لا تأخذه سنة ولا نوم، هذا من جانب، أما من جانب آخر، فقد ورد في الأثر أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) تنام عينه ولا ينام قلبه [٢]، ومن ثمَّ فأنّ الله (سبحانه وتعالى) لا ينتابه النوم، وكذلك قلب رسوله، مما يعني أنّه في حالة استيقاظ وتنبه مستمرين، من دون غفلة أو انقطاع ولو لبرهة، وإنما كان قلب الرسول (صلى الله عليه وآله) على هذه الحالة؛ لانتظاره المستمر وترقبه، لهبوط الوحي عليه بتعاليم السماء في أي لحظة من اللحظات، وسيأتي الحديث مفصلا في مبحث الإمامة عن القلب والفؤاد، وما هي أهميتهما.

وعندما نقول: إنّ النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله) سيد الكونين، نقولها بمليء الفم؛ لأن الروايات قد أكدت هذا المعنى بأكثر من طريق، منها ما ورد عن الإمام العسكري (عليه السلام): ((محمد بن الريان ، عن العسكري (عليه السلام) : جعلت فداك روي لنا : أن ليس لرسول الله من الدنيا إلا الخمس ، فجاء الجواب : " **إن الدنيا وما عليها لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)**))[٣]، يبين الإمام العسكري (عليه السلام) أنّ مالكية الدنيا وكل ما تحمله من خلق هو لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، فما ورد عن الإمام: ((أبي جعفر (عليه السلام) قال : قال رسول الله صلى الله

---

(١) عيون المعجزات: ١٢٤، مكاتيب الأئمة: ٣٠٣/٦.

(٢) ينظر: روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: ٢٣٨/١٣.

(٣) عوائد الإيام: ١١٧،الولاية الإلهية الإسلامية (الحكومة الإسلامية زمن الحضور وزمن الغيبة): ٣٠١/١، مكاتيب الأئمة: ٤٣/٦.

عليه وآله وسلم خلق الله آدم وأقطعه الدنيا قطيعة ، فما كان لآدم (عليه السلام) فلرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو للأئمة من آل محمد عليهم السلام))[١]، ومن ثمَّ فإنّ كل ما على وجه هذه البسيطة هو تحت ملكهم، وبتصرفهم (عليهم السلام)، فلا يحق لأحد أنّ يتصرف فيها بهواه، من دون أنَّ يجعل الله عليه رقيبا، وإلا فإنّه خارج من عبق الإمامة، كما ورد في الحديث الشريف: ((الدنيا وما فيها لله ولرسوله (صلى الله عليه وآله) ولنا ، فمن غلب على شيء منها فليتق الله وليؤد حق الله وليبر إخوانه فإن لم يفعل ذلك فالله ورسوله (صلى الله عليه وآله) ونحن برآء منه))[٢]، وللمالك حق التصرف بما يملك، وهم (عليهم السلام) على رأسهم الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، يبيحون لشيعتهم، أو لمن يشاؤون، التصرف بما يملكون، كما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((أما علمت أن الدنيا و الآخرة للإمام ؟ يضعها حيث يشاء ، ويدفعها إلى من يشاء ، جائز له ذلك من الله))[٣]؛ لذا كان شيعتهم الخلص يأتون لهم ليأخذوا منهم إذن التصرف في ما يكسبونه؛ ليحصلوا بذلك على بركة الاستعمال في الدنيا والآخرة [٤].

بعدما تقدم الكلام عن فضائل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، نسلط الضوء على بعض ما جاء في ذكر سلاحه، فقد طُرحت على الأئمة المعصومين (عليهم السلام) الكثير من الأسئلة حول تواجد سلاح رسول الله (صلى الله عليه وآله) عندهم، من ذلك ما ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام) في معرض جوابه لمن سأله عن مكان سلاح رسول الله (صلى الله عليه وآله)، إذ قال: ((**هو عندي**))[٥] .

وقد وردت أحاديث كثيرة عن أهمية سلاح رسول الله وخطره؛ لذلك كان عندهم بمنزلة التابوت في بني إسرائيل، ومعلوم ما مدى أهمية التابوت في بني إسرائيل، إذ كان فيه توراة موسى (عليه

---

(١) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: ٣/١٤٠.
(٢) الحدائق الناظرة في أحكام العترة الطاهرة: ١٢/٤٣٦.
(٣) عوائد الأيام: ١١٨.
(٤) ينظر: التعليقة على المكاسب: ٢/١٨١.
(٥) بصائر الدرجات: ٢٠٥، مكاتيب الأئمة:٥/٤٣.

السلام) ، وإنجيل عيسى (عليه السلام) [١]، فإذا كان التابوت الذي ألقي النبي موسى فيه في اليم، ووضع فيه توراته وإنجيل عيسى (عليه السلام)، له هذه الأهمية المادية والمعنوية، فما بالك بسلاح رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهو بيد أأمن الناس وأحفظهم؟!، وكيف لا يكونون كذلك وقد أُمنوا على الرسالة السماوية الخالدة؟!.

فضلا على ما تقدم من ذكر أهمية سلاحه (صلى الله عليه وآله)، فأن له بعد آخر غير ما ذُكر سابقا، إذ إنّه يعد أحد العلامات الثلاث على إمامة أي إمام من الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، إذ ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((هو أولى الناس بالذي قبله ، وهو وصيه ، وعنده سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصيته ، وذلك عندي لا أنازع فيه))[٢] وهو ذاته سيخرج بيد الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) بين الركن والمقام [٣] ، فمما تقدم يتضح لنا أنّ سلاح رسول الله (صلى الله عليه وآله) تكون قيمته أكثر من قيمة التابوت.

المبحث الثالث: الإمامة/

الإمامة بمفهوم أهل البيت (عليهم السلام) هي: ((أس الاسلام النامي وفرعه السامي بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وتوفير الفئ والصدقات وامضاء الحدود والاحكام ومنع الثغور والأطراف والامام يحل حلال الله ويحرم حرام الله ويقيم حدود الله ويذب عن دين الله ويدعو إلى

---

(١) ينظر: التشريف بالمنن في التعريف بالفتن (الملاحم والفتن): ١٤٢.

(٢) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: ١٩٠.

(٣) ينظر: الأصول الستة عشر: ٧٩.

سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة الامام كالشمس الطالعة للعالم وهي بالأفق بحيث لا تنالها الأيدي والابصار))[١]

إنّ مبحث الإمامة من المباحث التي عُني بها الكثيرين، وهي من المسائل التي حصل فيها التنازع بشدة، فمنهم من جعلها بالشورى كجماعة، أبي بكر وعمر، ومنهم من جعلها بالوراثة، كمعاوية ومن حذا حذوه، أما البعض فيرون إنّ الإمامة لا تتحقق إلا بالنص، فالإمامة بنظر المسلمين: ((فرض واجب على الأمة لأجل إقامة الإمام ، ينصب لهم القضاة والأمناء ، ويضبط ثغورهم ، ويغزي جيوشهم ، ويقسم الفيء بينهم ، وينتصف لمظلومهم من ظالمهم)) [٢]، وأما الإمامية فيرون أن: ((ليس في الإسلام أمر أهم من تعيين الإمام ، وإن الإمام لطف من الله يجب نصبه تحصيلا للغرض)) [٣]

إنّ مسألة الإمامة من الأمور البديهية لكل ذي لب؛ فالرسالة التي أنزلها الله (سبحانه وتعالى) للبشرية قد أنزل معها الرسول الذي يبلغ تعاليمها للناس، ويشرح لهم ما أُشكل فهمه عليهم، فكيف نتوقع أنّ يلتحق الرسول بالرفيق الأعلى من دون أن يترك حفظة لهذه الرسالة السماوية الخالدة، وقيمين عليها؟.

هذا في ما يتعلق بوجود الشارح لها بعد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، أما من جانب ماهية هذا الشخص الذي سيكون شارحا للرسالة الخالدة، فلا يُتوقع أن يقوم أحدا بهذا العبء اعتباطا، بل يجب أن يتحلى بمجموعة من الصفات الكمالية التي تتحقق بها العصمة من الخطأ؛ ليكون حافظا أمينا، وشارحا مبينا، فمن منطلق قوله تعالى: ﴿ **أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۡۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا** ﴾ [النساء/ ٤٩]، فما يزكي الأنفس إلا الله؛ لأنه هو أعلم بـ: ﴿**خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ** ﴾ [غافر/ ١٩]، فاستلزم أنّ يكون هو سبحانه من يختار الإمام الذي سيحافظ على

---

(١) عيون أخبار الرضا (ع): ١٩٧/١.

(٢) ينظر: دلائل الإمامة : ١٦.

(٣) ينظر: المصدر السابق نفسه : ١٦.

الرسالة السماوية بحذافيرها، وما يكون هذا إلا عن طريق النصّ السماوي الذي ينص به على الشخص المختار أو المصطفى، والذي يكون عن طريق النبي الخاتم، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

إذًا إنَّ الإمامة لا تكون إلا بالنصّ من الله (سبحانه وتعالى)، بواسطة النبي (صلى الله عليه وآله)، والأئمة (عليهم السلام) من بعد النبي كل إمام يُعرّف الناس بالإمام الذي بعده، والذي يكون واجب الطاعة عليهم، من ذلك ما ورد عن الإمام الكاظم (عليه السلام) في تعيين الإمام الذي بعده للناس : ((**عهدي إلى أكبر ولدي أن يفعل كذا وأن يفعل كذا ، وفلان لا تنله شيئا حتى ألقاك أو يقضي الله علي الموت**))[١] ، فالملاحظ أنّ الإمام الكاظم (عليه السلام) قد عيّن الإمام الذي بعده، قبل وفاته؛ لئلا تلتبس الأمور على الموالين. والملاحظ أيضا في هذا التوقيع أنَّ الإمام الكاظم (عليه السلام) لم يصرّح باسم الإمام الرضا (عليه السلام)، أما للخوف عليه من السلطة التي كانت تتربص بهم الدوائر آنذاك، أو أنَّ هذه المسألة داخلة في المكر الإلهي الذي به تزل أقدام من لم يحذره؛ لما قد اشتهر آنذاك من ظهور الفرق الكثيرة، كفرقة الواقفة [٢]، التي لم تتبع إمام زمانها، مما يعني أنّ الشيعة آنذاك والموالين قد غُربلوا بشدة؛ ليحيى من حيي عن بينة، ويتفاضل من انتصر على الشك يقينه.

من ذلك أيضا ما ورد عن الإمام الهادي (عليه السلام) حينما سأله شيعتهم كيف يعملون بعد استشهاد والده الإمام الجواد: ((**الامر لي ما دمت حيا ، فإذا نزلت بي مقادير الله عز وجل آتاكم الله الخلف مني وأنى لكم بالخلف بعد الخلف**))[٣]، يشير الإمام الهادي (عليه السلام) إلى مسألة الغيبة، بقوله: (وأنى لكم بالخلف بعد الخلف؟) فإنّ الأئمة (عليهم السلام) الذين سبقوه قد كانوا مشار لهم

---

(١) الكافي: ٣١٢/١-٣١٣، الغيبة:٣٦-٣٧.، مكاتيب الأئمة: ٣٦٨/٤.

(٢) هم من وقفوا على إمامة الإمام الكاظم (عليه السلام)، وعينوا ابنه اسماعيل إماما لهم، ومن بعده أبنه محمد بن إسماعيل؛ ولذا قد أطلق عليهم لقب الإسماعيلية أو الواقفة، ينظر: الملل والنحل: ١٦٧/١-١٦٨.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة : ٣٨٢، مكاتيب الأئمة: ٤٦/٦.

بالبنان، ومعروفون عند العامة والخاصة ولو ضمنا لا تصريحا، أما بالنسبة للإمام المهدي (عليه السلام)، فتكون له غيبتان، يحتجب بالأولى عن البعض، وبالأخرى عن الكل، فلا يحق لهم تسميته، ولا يرون شخصه، كما قال الإمام الهادي (عليه السلام): ((الخلف من بعدي ابني الحسن ، فكيف لكم بالخلف بعد الخلف ، قلت : ولم جعلت فداك ؟ قال : لأنكم لا ترون شخصه ولا يحل لكم تسميته ولا ذكره باسمه ، قلت – كيف نذكره ؟ قال : قولوا : الحجة من آل محمد – صلى الله عليه وآله –)) [١]، والبعض جعل عدم الرؤية، وعدم تسميته، مختصة بزمن الغيبة الصغرى؛ لأجل التقية، فما ورد في شرح أصول الكافي: ((لعلّ المراد نفي الرؤية عن جماعة أو كلّما أرادوا أو في زمان الغيبة أو كناية عن غيبته .. . قوله (ولا يحل لكم ذكره باسمه) دلّ على أنه لا يجوز تسميته باسمه مطلقاً ولا يبعد تخصيصه بالغيبة الصغرى أو بمحل الخوف والتقية كما يشعر به بعض الروايات الآتية وربما يشعر به لفظ« لكم» ويؤيده وقوع التصريح باسمه في بعض الأدعية المأثورة، والاحتياط أمر آخر)) [٢]، لربّما أنّ اختصاص عدم التسمية مختصا بزمان الغيبة الصغرى فعلا؛ لما ورد في الحديث من المخاطبة لهم عينا، بيد أنَّ النص يُمكن أن يُحمل أيضا أنّه خطابا موجها للجميع من خلال هؤلاء.

وأما ما يتعلق بالرؤية، فإنّه (صلوات الله وسلامه عليه) لم يُرى إلى الآن، إلا من أتاح له الإمام شرف الرؤيا، فتحدث له مكاشفة يتمكن من خلالها رؤيته لبعض الوقت لا غير.

لا بد لهؤلاء القادة الذين حرص كل إمام منهم على التصريح بالإمام الذي بعده وتعريفه للناس، من فضائل يمتازون بها عن غيرهم من سائر بني البشر، فما ورد من فضائل الأئمة (عليهم السلام)، ما جاء عن الإمام العسكري (عليه السلام) في جوابه لمن سأله عن معنى قول الرسول: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، إذ قال: ((**أراد بذلك ان يجعله علما يعرف به حزب الله عند الفرقة**))[٣]، وهذا ونظائره

---

(١) مدينة المعاجز : ٥٠٩/٧.

(٢) شرح أصول الكافي : ٢٢٥/٦.

(٣) كشف الغمة في معرفة الأئمة: ٢١٩/٣، مكاتيب الأئمة: ٢٨١/٦

مما فعله الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) للإمام علي (عليه السلام)، شبيه بما حدث مع النبي سليمان (عليه السلام) والذي عنده علم من الكتاب من الإيتاء بعرش بلقيس قبل أن يرتد طرف النبي سليمان (عليه السلام)؛ فالنبي سليمان (عليه السلام) قد كان قادرا على الإيتاء به بنفسه، فقد سُخرت له الرياح والجن والإنس والسحاب، وقد عُلِّم منطق الطير والحشرات وغيرها من المؤهلات التي تمكنه من الإتيان بالعرش بنفسه، ولربما بأقل من الوقت الذي جاء به الذي عنده علم من الكتاب، بيد أنّ ما فعله النبي سليمان (عليه السلام)، أراد من خلاله أنّ يبين لقومه من هو الوصي بعده ؛ بسبب ما يمتلكه من مؤهلات تمكنه من أنّ يكون وصيا له بعد موته، والقائم على تسيس الأمور بعده، فهو الذي يجب أنّ يُتبع، وهو الذي يجب أنَّ يرجع إليه في الامور الفقهية وغيرها.

والمراد من قوله (عليه السلام): (يُعرف به حزب الله عند الفرقة)، هو أنّ الإمام علي (عليه السلام) قد مثّل ضابطة حقٍ لا يحيد عنها إلا الفاسق، وإلا ما معنى قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعمار بن ياسر: ((سيكون في أُمّتي بعدي هنات واختلاف ، يا عمّار ، تقتلك الفئة الباغية ، وأنت مع الحقّ ، والحقّ معك ، إن سلك الناس كلَّهم وادياً وسلك عليّ (عليه السلام) وادياً ، فاسلك وادياً سلكه عليّ (عليه السلام) ، وخلّ الناس طرّاً))[١].

أما ما جاء في فضائل أولاده الطاهرين (عليهم السلام)، ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في جوابه لمن سأله عن فضلهم، إذ قال: ((**إن الكواكب جعلت أمانا لأهل السماء، فإذا ذهبت نجوم السماء جاء أهل السماء ما كانوا يوعدون، وقال رسول الله: جعل أهل بيتي امانا لأمتي، فإذا ذهب أهل بيتي، جاء أمتي ما كانوا يوعدون**))[٢] إنّ الله (سبحانه وتعالى): ((جعل النجوم أمانا لأهل السماء فلا تزال السماء قائمة ما قامت النجوم فإذا انتشرت النجوم تفطرت السماء ، وان الله جعل أهل بيتي أمانا لأهل الأرض فلا ينزل بهم عذاب عام ما كان أهل بيتي فيهم فإذا قبض أهل بيتي نزل

---

(١) كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء: ٩٠/١.

(٢) مكاتيب الأئمة: ٨٥/٤-٨٦.

العذاب)) [١]، ولربّما أنّ علاقة النجوم بالأمان لأهل السماء، تحتاج إلى شرح وتبيين، بيد أنّ الروايات لم تتعرض لذكرها، أما لعدم وصولها إلينا، أو أنّ السائل آنذاك اكتفى بالقدر الظاهري الذي بينه الإمام (عليه السلام) له، فاستغنى عن معرفة دقائق الحديث.

إنّ في توقيع الإمام (عليه السلام) المتقدم ذكره آنفا نجد أهل عالمين مختلفين: هم أهل السماء، وأهل الأرض المعبر عنهم بـ(أمتي)، وهذان الصنفان مرهون بقاؤهما أو عدم نزول العذاب والزوال بهما، بوجود الحجة الذي يعتبر واسطة الفيض الإلهي، ولربّما أنّ الكواكب التي ارتبط بها عدم مجيء أهل السماء ما يوعدون ما دامت باقية، لا يقصد بها هذه الكواكب المعروفة، وإنْ كان لها سبب فيزيائي في بقائهم كما ورد في سؤال عقائدي عن حديث النجوم: ((أهل السماء المقصود به كل من يسكن تلك العوالم فيشمل الملائكة والانس والجن الذين عند ربهم يرزقون ولم توضح الروايات كيف تكون النجوم أمانا لأهل السماء لكن الذي نستطيع احتماله وهو ينسجم مع العلم الحديث ان للنجوم جاذبية تربط الكواكب التابعة لها وتمنعها من التفرق عنها كما هو الحال بين الشمس والكواكب المحيطة بها ومنها الأرض فجاذبية الشمس تكون مانعة من ابتعاد الأرض عن الشمس وكذلك الحال للكواكب التي يسكن بها اهل السماء فإنّ نجوم تلك الكواكب او شموسها تكون لها جاذبية تربط الكواكب بها لذا ورد في تكملة هذا الحديث ((ان النجوم امان لأهل السماء فاذا ذهبت ذهبوا)) فيمكن أنْ يكون هذا الحديث اشارة إلى تلك القوة الرابطة للنجوم للاماكن التي يسكن بها اهل السماء)) [٢]، فكما ترى أنّ تأويل هذا التوقيع قد انساق وراء العلم الحديث ونظرياته، بيد أنّ هناك سببا آخر جعل الأئمة المعصومين (عليهم السلام) يقرنون بالكواكب، مما يعني أنّ بالإضافة لكونهم سببا في بقاء تماسك هذا الكون، وعصمته من الانهيار والزوال، هم سبب أيضا في نزول الرحمة الإلهية المانعة من نزول العذاب –كما سيأتي الحديث عنها–، ومن ثمَّ فأنّه بغياب الأئمة (عليهم السلام) سوف تسيخ

---

(١) روضة الواعظين: ٢٧٤.

(٢) الشبكة المعلوماتية العالمية: www.aqaed.com، جواب سؤال عقائدي حول حقيقة حديث النجوم.

الأرض بأهلها، وهو معنً قد أكدته الروايات بكثرة، إذ ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) نقلا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ما نصّه: ((إني واثني عشر من ولدي وأنت يا علي زر الأرض يعني أوتادها جبالها بنا أوتَدَ اللَّه تعالى الأرض أن تسيخ بأهلها فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدي . ساخت الأرض بأهلها ولم ينظروا))[١].

وما يعضد ما ذهبنا إليه ما ورد عن الإمام الهادي (عليه السلام) في معرض جوابه لعلي بن مهزيار [٢] عن الفرج: ((**إذا غاب صاحبكم عن دار الظالمين فتوقعوا الفرج**))[٣]، وبسند آخر عنه (عليه السلام) في جوابه لأيوب بن نوح: ((**إذا رفع علمكم من بين أظهركم فتوقعوا الفرج من تحت أقدامكم**))[٤]، فبظهوره (صلوات الله وسلامه) عليه تُخرج الأرض خيراتها، وتُنزل السماء بركاتها، ويعم الخير في أرجاء المعمورة بأسرها، وهذا ما اتفق عليه أهل الإسلام قاطبة، لأن العالم جميعه ينتظر المنقذ، وهذا المنقذ مختلف من قوم لآخر حسب ما تملي عليهم عقيدتهم، وهو مبحث يطول شرحه لا مجال لذكره هنا.

نلاحظ في التوقيعين المتقدمين أعلاه أنّ توقع الفرج مناط بغياب الإمام المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) عن ديار الظالمين، فما الارتباط بين غيابه (عجل الله تعالى فرجه) عن دار الظالمين وبين فرجه؟ إنّ الأئمة جميعهم (عليهم السلام) هم واسطة الفيض الإلهي، والرحمة الربانية، فهم خلفاء الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، طينتهم منسجمة بطينته، فهم نور واحد له ظهورات متعددة

---

(١) الوافي: ٣١١/٢، ينظر: الفوائد الطوسية: ١٣٦، ينظر: الأصول الستة عشر: ١٦، ينظر: خاتمة المستدرك: ٥٣/١، ينظر: الاستنصار في النص على الأئمة الأطهار: ٨، ينظر: الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين: ٣٥٢، ينظر: معالم المدرستين: ٢٦٥/٣، ينظر: آيات الغدير: ١٢١.

(٢) الأهوازي ، الذورقي ، الشيعي (أبو الحسن) فقيه ، مفسر ، مشارك في بعض العلوم ،معجم المؤلفين: ٢٤٧/٧.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة : ٣٨٠، مكاتيب الأئمة: ٥٥/٦.

(٤) بحار الأنوار الجامعة لأخبار الأئمة الأطهار : ١٥٩/٥١، مكاتيب الأئمة: ٥٧/٦.

كما ورد في الحديث الشريف: ((أولنا محمد أوسطنا محمد آخرنا محمد كلنا محمد))[1]، ومعلوم أنّ الله (سبحانه وتعالى) لم يعذب أحدا وإن كان كافرا بحضوره (صلى الله عليه وآله)، كما أشارت لهذا الآية القرآنية الشريفة: ﴿ **وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾ [الأنفال/ ٣٣]، إذ إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو الرحمة الإلهية بذاته، فهو النبي الذي ينادي دوما أمتي أمتي، حتى أنّ الله (سبحانه وتعالى) لم ينزل عذابه بكافر بوجود شخص الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) كما أشار الشطر الأول من الآية الكريمة؛ احتراما لذات رسول الله الرحيمة.

وما يؤكد ما ذهبنا إليه هو ما أشار له الشطر الآخر من الآية المباركة، إذ إنّ استغفارهم يمنع عنهم العذاب، مما يؤكد إنّ الرحمة تتنزل عليهم حين الاستغفار، ومن ثمَّ ستكون غياب الرحمة عنهم سببا في نزول العذاب بساحتهم، أما بسبب انقطاعهم عن الاستغفار، أو بسبب غياب المعصوم عنهم.

وما أشار له الإمام الهادي (عليه السلام) في توقيعه من أنّ الفرج متوقع بعد غياب الإمام عن دار الظالمين، فالذي أراد الإشارة إليه هو أنّ القوم فضلا على غياب إمام زمانهم، قد انقطعوا عن الاستغفار أيضا، بدليل قوله: (الظالمين)، فلا نتوقع من ظالم للناس أن لا يظلم نفسه هو الآخر بانقطاعه عن الاستغفار، ومن ثمَّ يكون سببا في هلاكهم، ونزول العذاب والنقمة عليهم، المتمثلة بحجة الله في أرضه، وسيفه القاطع، وإلا ما معنى أنّ ظهور الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه) يتحقق بعدما تملئ الأرض ظلما وجورا.

وبهذا يتضح جليا ارتباط أمان أهل السماء بالنجوم والكواكب، وارتباط أمان اهل الأرض بالأئمة (عليهم السلام) والاستغفار، فمن هذا المنطلق نجد الإمام الرضا (عليه السلام) قد اجاب عمن سأله

([1]) المختصر: ٢٧٧.

عن قوله تعالى: ((﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾[١] **قال : إنما عنى بذلك الأئمة بهم عقد الله ايمانكم**))[٢]

ولكل إمام من هؤلاء المعصومين (عليهم السلام) فضائل تقدمه على المعصوم الآخر، وهذا شبيه بما حكته الآية المباركة عن الرسل في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة/ ٢٥٣]، وكذلك في قوله تعالى عن الأنبياء: ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [الإسراء/ ٥٥]، فما ورد في هذا الباب ما جاء عن الإمام الهادي (عليه السلام) في معرض جوابه لمن سأله عن زيارة الإمام الحسين (عليه السلام)، وزيارة الجوادين ببغداد (عليهما السلام)، إذ قال: ((**أبو عبد الله عليه السلام المقدم ، وهذا أجمع وأعظم ثوابا**))[٣]، فأشار الإمام الهادي (عليه السلام) إلى فضل الإمام الحسين (عليه السلام) على سائر الأئمة (عليهم السلام)، بقوله: (المقدم)، أما الجزء الآخر من التوقيع يشير إلى أهمية زيارة أبي عبد الله (عليه السلام) على غيره من الأئمة الآخرين، فما السر في ذلك؟

قد أشارت بعض المصادر إلى كون هذه الزيارة الجامعة للأئمة (عليهم السلام) تكون أجمع ثوابا وأعظم، ولكن بتقديم الإمام الحسين (عليه السلام)، إذ ورد في ملاذ الأخيار: ((قيل : إنّ المراد أنّ زيارة أبي عبد الله (عليه السلام) أولى بالتقديم ، ثم إنْ أضيف إلى زيارته زيارة أبي الحسن وأبي جعفر عليهما السلام كان أجمع وأعظم أجرا ، أو المراد أنّ زيارتهما أجمع من زيارته وحدها ، لأنّ الاعتقاد بإمامتهما يستلزم الاعتقاد بإمامته دون العكس ، فكان زيارتهما تشمل زيارته وأعظم أجرا لاشتمالهما عليها ، ولما مر في باب زيارته [كذا] الرضا (عليه السلام) أنّ زيارته مختصة بالخواص .

---

(١) النساء: ٣٣.

(٢) تفسير العياشي: ٢٤٠/١، مكاتيب الأئمة: ٥٥/٥

(٣) المقنعة: ٤٨٢-٤٨٣، مكاتيب الأئمة:١٩٦/٦.

أقول : ويحتمل أيضا أن يكون المراد أن زيارة أبي عبد الله (عليه السلام) أفضل من زيارة كل من المعصومين عليهما السلام ومجموع زيارتهما ، لاشتمالها على زيارة معصومين أجمع وأعظم أجرا ، والله يعلم))[١]

وفي هذا الباب أيضا ما ورد عن الإمام العسكري (عليه السلام) في معرض جوابه عن كيفية قضاء الإمام المنتظر (عليه السلام): ((**سألت عن القائم إذا قام يقضي بين الناس بعلمه كقضاء داود ولا يسأل البينة**))[٢]، مما يعني أنّ عصر المدارة والعمل بحسب الأمور الظاهرية، والنواميس الطبيعية، قد انتهى أوانه؛ لأن المعصومين (عليهم السلام) الذين سبقوه قد كانت أغلب أحكامهم مستندة إلى الدليل والشاهد والبينة، وهذا ما تقتضيه النواميس الطبيعية، بيد أنّ الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه) سيعمل على تطبيق مشروع السماء بحذافيره، فهو عمل سماوي خالص، بعد إن كانت الامور مسيرة وفق المشروع الإنساني طيلة غيابه (عليه السلام)، فلا يستطيع أحد بعدها أن يقول: إنّ جماعة من الناس يستطيعون تطبيق العدالة المطلقة، وسلب الجور والظلم من بني البشر؛ لأن الفرصة قد أتيحت لهم وقت غياب الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف؛ ليطبقوا ما تنتجه تجاربهم جميعا وما ستنتجه في المستقبل على أرض الواقع.

بعدما تقدم الكلام في فضائلهم (عليهم السلام)، نشرع بذكر صفاتهم وأمرهم وحديثهم، من ذلك ما ورد عن الإمام العسكري (عليه السلام) في صفة الأئمة (عليهم السلام) حين نومهم، إذ قال: ((**حال الأئمة (عليهم السلام) في المنام حالهم في اليقظة ، لا يغير النوم منهم شيئا**))[٣]، ما الذي يحدث للإنسان حين النوم؟ النوم هو موت مؤقت، تتفلت فيه الروح من الزمان والمكان، كما أشارت له الآية المباركة: ﴿ **ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَا**﴾ [الزمر/٤٢]؛ ولذا تستطيع الروح

---

(١) ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار: ٢٥٣.

(٢) الخرائج والجرائح: ١/٤٣١-٤٣٢، مكاتيب الأئمة: ٦/٢٧٤.

(٣) الثاقب في المناقب: ٥٧١، مكاتيب الأئمة: ٦/٢٨١.

حين إذًا أن ترى في المنام ما لا يمكنها أن تطاله في اليقظة، إذًا هي حالة من الغياب عن الوعي، تغيب عن الإنسان حينها كثير من الأمور والأحداث، فلا يحيط علمه بها، وحين ينام الإنسان يتوقف قلبه عن العمل كمسيطر على تدفق المعلومات من الحواس إلى الدماغ، فهو البوتقة التي يمكن من خلالها أنّ ترتبط معلومات الحواس بمترجمات الدماغ، وهذا ما أشار له الحديث الشريف من أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) تنام عينه ولا ينام قلبه [١] وهي أحد العلامات العشر للمعصومين (عليهم السلام) [٢].

القلب هو مرجع السمع والبصر والفؤاد، وإن جميع هذه الحواس يُسأل عنها الإنسان يوم القيامة، كما ورد في الآية المباركة: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾ [الإسراء/٣٦]، أما الفؤاد فيمكن أن يكون هو الذاكرة؛ لكونه يفرغ ويُملئ كما في خبر أم موسى (عليهما السلام) الذي حكته الآية المباركة: ﴿ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[القصص/١٠]، والآية تدل بوضوح على مرجعية الفؤاد للقلب؛ لأن استقرار الفؤاد مناط بالربط على القلب ، ومن ثمَّ فإنّ نوم القلب سيسبب غياب المسؤول عن الفؤاد الذي هو الذاكرة، فلا يخزن فيها من الأمور شيئا، فضلا على احتمال أن تفرغ من المعلومات التي كانت فيها ولو وقتيا بعد الاستيقاظ.

إنّ أجساد المعصومين (عليهم السلام) وأرواحهم وأجسامهم مختلفة عن باقي الأجسام والأرواح؛ ولذا كانت أجسادهم في الأجساد وأرواحهم في الأرواح وقبورهم في القبور كما ورد في الزيارة الناحية المقدسة.

مما تقدم يتضح لنا أنّ صفاتهم (عليهم السلام) وإن كانت بها جنبة بشرية من حيث الأكل والشرب والمشي في الأسواق، إلا أنّ ثمة مائز يفصل أجسادهم عن بقية الأجساد وهو الوحي، كما ورد

---

(١) ينظر: : روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: ٢٣٨/١٣.

(٢) ينظر: أصول الكافي: ٣٨٨/١.

في الآية القرآنية المباركة: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾ [فصلت/٦]؛ ولذا قد كان أمرهم وحديثهم صعب مستصعب لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان كما أشار له الإمام الصادق (عليه السلام) [١]، بيد أنّ المعنى المقصود ليس ما هو مستفاد من السياق الخارجي للحديث، إذ إنّ السياق الخارجي يوحي بأنّ أمر الأئمة (عليهم السلام) لا يحتمله حتى هؤلاء الثلاثة، ومن ثمَّ ما فائدة وجودهم إذًا، وهم لا يحتمل أمرهم أحد، فالمراد من هذا الحديث نجده عند الإمام العسكري (عليه السلام) في جوابه لمن سأله عن معنى الحديث المتقدم، إذ قال: ((**أن الملك لا يحتمله حتى يخرجه إلى ملك غيره والنبي لا يحتمله حتى يخرجه إلى نبي غيره والمؤمن لا يحتمله حتى يخرجه إلى مؤمن غيره فهذا معنى قول جدي عليه السلام**))[٢]، وبهذا لا تكون دائرة الحجية مقصورة على فئة معينة من الناس؛ فينتفي التكليف عن الباقي.

والجدير بالذكر هنا، إنّما طبق الباحث الآية المتحدثة عن تَميز المعصومين (عليهم السلام) بالوحي؛ أي الأنبياء (عليهم السلام)، لا لكون الأئمة (عليهم السلام) يوحى لهم، بمعنى الوحي المبلغ بتعاليم الله (عز وجل)، بل أنّ الباحث يرى أنّه بما أنّ للمعصومين (عليهم السلام) أحداث إعجازية، وأخرى تُنبأ عما سيحصل في المستقبل، من هنا يرى الباحث أنّ للأئمة (عليهم السلام) حالات من الاطلاع على الغيب، فكما هو معلوم من أنّ صور الوحي مختلفة ومتنوعة، بل إنّ من أوحى الله (سبحانه وتعالى) لهم، هم على مراتب متباينة، بل من صنوف متباينة، فإنّه (عز وجل) قد أوحى لأم موسى (عليهما السلام) مثلا، كما أوحى للنحل أيضا، ومن المؤكد أنّ في الصورتين المتقدمتين وغيرهما، طرقا متنوعة، وأساليب مختلفة للإيحاء، لا يسمح المقام بالبحث عنها والاستدلال عليها.

---

(١) الأنوار الساطعة في شرح زيارة الجامعة: ٣٩٠/٤.

(٢) الكافي: ٤٠١/١-٤٠٢، مكاتيب الأئمة: ٢٨٢/٦.

من هذا المنطلق نجد رد الإمام الصادق (عليه السلام) على من سأله أنّ يعلمه من علومهم، إذ قال: ((**أما بعد، فإن حديثنا حديث هيوب ذعور، فأن كنت ترى أنك تحتمله، فاكتب لنا والسلام**)) [١]، الهيوب في اللغة كصبور يأتي للمبالغة، ومعنها الأمر المخيف، أو الرجل المخيف، أو المكان المخيف؛ ولذا قيل: الإيمان هيوب؛ أي يُهاب أهله، ويأتي بمعنى التوقير أيضا [٢] . أما الذعور، فيعني الأمر المدهش، أو الأمر المخوف[٣]، ومن ثمَّ تتضح لنا قوة التشديد على تخويف السائل من حديثهم ،ومن ثمَّ فإن رأى نفسه أهلا ليحتمل هذا الحديث، لا يبخلون عنه (صلوات الله وسلامه عليهم).

ولربما يطرح السؤال التالي: لم يُخوف المعصوم من يسأله عن التزود من علومهم، ومعرفة حديثهم؟ إنّ في الجواب على هذا السؤال يحتمل أمرين، الأول: إن السائل من أهل الشام، ومعلوم ما كانت الشام عليه آنذاك من أنها حاضرة متبعة للروم، بغاضة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهما السلام)، بفعل ما حاكه معاوية من الأكاذيب والتضليل، حتى بلغ بهم الأمر أن يستغربوا من أنّ الإمام علي بن أبي طالب كان يصلي حينما فضخ ابن ملجم لعنة الله عليه هامته في المحراب، فلربّما أنّ الإمام (صلوات الله وسلامه عليه)، لم يطلعه على حديثهم، بل خوّفه منه؛ لأن أغلب حديثهم (عليهم السلام) في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهما السلام)، التي لا يحتملها الناس، بل يستعظمونها [٤].

---

(١) مكاتيب الأئمة:٤/٨٧-٨٨.

(٢) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: ٤/٤٠٩.

(٣) ينظر: المصدر السابق نفسه: ١١/٣٧١.

(٤) ينظر: الأنوار الساطعة في شرح زيارة الجامعة: ١/٢٤١.

أما الأمر الآخر، فلربّما أنّ الإمام (عليه السلام) لم يطلعه على العلوم والأحاديث؛ لما ستكون عليه من حجة دامغة بعد السؤال عنها، ومعرفة تفاصيلها، فحاشاه الإمام (عليه السلام) ذلك، كتقدير له عن أيام خدمته عندهم.

ولعل الاحتمال الأول هو الأقرب للواقع لما سنجده من تعاملهم مع بعض الشيعة الخلص، إذ مُكن البعض من رؤية الإمام الحجة المنتظر بعد ولادته، على الرغم من وجود الخطر المحدق بهم جميعا على وجه العموم، وبالإمام الحجة المنتظر على وجه الخصوص، وهذا ما نجده في توقيع الإمام العسكري (عليه السلام): ((**ولد لنا مولود فليكن عندك مستورا وعن جميع الناس مكتوما ، فإنا لم نظهر عليه إلا الأقرب لقرابته والولي لولايته أحببنا إعلامك ليسرك الله به ، مثل ما سرنا به ، والسلام**)) [١]، إنّ المولود الذي ولد للإمام العسكري (عليه السلام) لم يطّلع عليه أحد إلا الأقرب والولي، ما يدل على التخوف الشديد على حياته، فأشار هذا التوقيع إلى وجوب كتمان أمره [٢]، أشار التوقيع أيضا بكل وضوح لأهمية كتمان أمر الولادة حتى على أهل بيت الشخص الذي أرسل له الإمام توقيعه، وما يشير له التوقيع أيضا إنّ من أُرسل له التوقيع كان على درجة من الثقة مكنته من أن يرسل له الإمام بنفسه يخبره عن ولادة الإمام المنتظر، فهو من الأشخاص الذين يمكن للمرء ان يستودع عنده سرا، وأي سر ذاك هو أخطر من خبر ولادته (عليه السلام)، فيتضح بذلك اتضاحا جليا لا يدع للشك مجالا من إن هذا الشخص هو من الثقات.

مما تقدم يتضح لنا مقام المعصومين (عليهم السلام) السامي، وصفاتهم الرفيعة، وأمرهم المهيب، وحديثهم الرهيب، بيد أنّ تكالب الساسة وطلاب العاجلة، ما فتأت مسيرتهم في ترهل على مدى الأزمان منذ غابره إلى قيام يوم دين، غير ممسكين عن غيهم، ولا معتبرين بسالف أقوام اندرست سيرتهم، فانبروا إلى ما مكنتهم طاقاتهم من فعله، من الطعن فيهم، وإثارة الشكوك حولهم، ومحاولاتهم

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٣٣-٤٣٤، مكاتيب الأئمة: ٦/٢٧٠.

(٢) ينظر: رجال تركوا بصمات على قسمات التأريخ: ٢٥٥.

في أن يكسروا في المجتمع شوكتهم، إلا أنّ الله (سبحانه وتعالى) يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون، وتآمر على ذلك المنافقون، وعاضدهم على فعله الذين لا يعلمون، فستطالعنا ثلاث توقيعات في هذا المبحث، تُنشب الحزن في النفوس، ويُلطم من أجلها على الرؤوس، ألا وهي مسألة الشك في إمامة بعض الأئمة (عليهم السلام)، فيدفعونهم عن مقامهم، منصبين فيها من هم دونهم.

لا بد للشك من مرحلة ينقطع بها، فيتحول إلى اليقين، فالشك ممدوح ما لم يتحول إلى مرض، فيصبح حينها تشاكك، كما أشار لذلك الإمام الكاظم (عليه السلام) في جوابه لمن سأله الآية والدليل والبرهان، إذ قال: ((**إنما الشك ما لم يأت اليقين فإذا جاء اليقين لم يجز الشك إن اللّه تعالى يقول ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴾[1] قال نزلت في الشكاك**))[2]، فماذا بعد الحق إلا الظلال المبين، فمن أتاه اليقين وأبصره بعينه، وسمعه بأذنه، ولم يؤمن به، دلّ ذلك على تراكم الرين على قلبه، فلم يعد يجد للحق مكانا فيه.

إنّ أكثر إمام أُوذي بمسألة الشك هو الإمام العسكري (صلوات الله وسلامه عليه)، وهذا ما نجده في جوابه لمن سأله عن وصي أبيه، إذ ورد الجواب: ((**قد فهمت ما ذكرتم ، وإن كنتم إلى هذا الوقت في شكّ ، فإنّها المصيبة العظمى ، أنا وصيّه وصاحبكم بعده (عليه السلام) بمشافهة من الماضي ، أشهد اللّه تعالى وملائكته وأولياءه على ذلك . فإن شككتم بعد ما رأيتم خطّي ، وسمعتم مخاطبتي فقد أخطأتم حظّ أنفسكم ، وغلطتم الطريق**))[3]، إنّ ما نلمحه من التوقيع يشير إلى أنّ السائل لم يرد حقيقة معرفة الوصي بعد الإمام الهادي (عليه السلام)، بدليل قول الإمام العسكري (عليه السلام): (وإن كنتم إلى هذا الوقت في شك)، وما يدل عليه أيضا، أنّ ثمة أمور قد حصلت في هذه المدة

---

(١) الأعراف: ١٠٢.

(٢) الوافي: ٢٣١/٤، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ١٨٣/١١، مجلة تراثنا:٢٩٤/٣٣، مكاتيب الأئمة: ٣٦٢/٤.

(٣) موسوعة الإمام العسكري (عليه السلام): ٤٣٨/٣، مكاتيب الأئمة: ٢٦٣/٦-٢٦٤.

الزمنية تؤيد إنّ الإمام العسكري (عليه السلام) هو الإمام المفترض الطاعة بعد أبيه، والدليل على هذا هو قول الإمام العسكري (عليه السلام): (بعد إن رأيتم خطي، وسمعتم مخاطبتي)؛ مما يدل على أنّ الإمام صلوات الله وسلامه عليه قد أراهم من معجزاته التي لا يمكن لأحد إنكارها، وإلا ما معنى قوله: وسمعتم مخاطبتي، وهم قد كتبوا له ليسألوه، لا سألوه مشافهةً.

هذا من جانب، أما من جانب آخر فإنّ خط الإمام (عليه السلام) حتمًا فيه ما يميزه عن سائر الخطوط الأخرى، إذ عُد خطه (عليه السلام) برهانا على إمامته، فما الذي في هذا الخط جعله دليلا وبرهان على أمر عظيم كالإمامة؟.

قد كثرت في عصر الإمام العسكري (عليه السلام) القلوب المريضة، والنفوس الضعيفة، فيرسلون له (عليه السلام) يطلبون الدليل والبرهان على إمامته، ويُعطونَ ما يُريدون من البراهين والحجج، ثم ينكروها، وهذا اما مرده الانصياع لأوامر السلطة آنذاك، فيبغون بذلك رضاها، و جزيل عطائها، أو أنهم قد استيقنتها أنفسهم وجحدوا بها، وما مصير هؤلاء إلا إلى النار كما أشار لذلك الإمام العسكري (عليه السلام) إذ قال: ((**من سأل آية أو برهانا فأعطي ما سأل ، ثم رجع عمن طلب منه الآية عذب ضعف العذاب . ومن صبر أعطي التأييد من الله . والناس مجبولون على حيلة إيثار الكتب المنشرة . نسأل الله السداد ، فإنما هو التسليم أو العطب ولله عاقبة الأمور**))[1] ، فالملاحظ أنّ في الحديث صنفين واقعين على طرفي النقيض، فالسائل عن الدليل قسمان: قسم يرتد بعد ما اطّلع على الدليل والآية، فيُعذَب ضعف عذاب الذي أنكر ولايتهم (عليهم السلام)، من دون أن يطلع على البرهان؛ لأنه حينها ستكون الحجة دامغة عليه.

وآخر يؤمن ويصبر، فيعطى له التأييد من الله (سبحانه وتعالى) على ذلك، فينجو به من مضلات الفتن.

---

(1) تحف العقول عن آل الرسول: ٤٨٦، مكاتيب الأئمة: ٦/٢٦٤-٢٦٥.

يشير الإمام (عليه السلام) إلى مسألة التمحيص التي سيسقط خلالها كثير من المحبين على وجه الخصوص، ومن الناس على وجه العموم، بقوله: (حيلة الكتب المنشرة)، مما يدلّ بوضوح على عمل سلطوي خبيث، وشبكة مخادعة مضللة، يُبث من خلالها الأكاذيب والتضليلات، وهي مسألة لا مكان للانحياد فيها، فأما أن يسلم الشخص وينجو، وأما أن يعطب، وينتهي أمره.

ومما يدلّ على أنّ هناك من يؤجج فاغرة صدور القوم، هو العمل على زجهم في انقسامات وإشكالات لا تتيح لهم صفو الخاطر، ومن ثمَّ سيبقون في دوامة الشك، والتنصل عن الحقيقة و عدم الإيمان بها، مما يمكن السلطة من تصيد خبر ولادة الإمام المنتظر (عليه السلام)، فيعمدون إلى قتله والتخلص منه فور ورود خبره، وإنّ هذه المسألة قد آذت الإمام العسكري (عليه السلام) بشدة، وهذا ما نلمحه من توقيعه الذي خرج لبعض رجاله، إذ جاء فيه: ((**ما مني أحد من آبائي عليهم السلام بما منيت به من شك هذه العصابة في ، فإن كان هذا الامر أمرا اعتقدتموه ودنتم به إلى وقت ثم ينقطع فللشك موضع ، وإن كان متصلا ما اتصلت أمور الله عز وجل فما معنى هذا الشك ؟ !**))[1]، فما يؤكد ما ذهبنا إليه من إنّ هذا العمل هو من مخططات السلطة، هو قول الإمام العسكري (عليه السلام)، بأنّ ما تعيشونه من شك ناتج عن الجهل بالحقيقة، أو أنّ الأمور ملتبسة عليكم، فللشك موضع ينتهي عنده بظهور اليقين، وأما إنْ كان هو اعتقاد بعدم إمامته، والإصرار على عدم قبول أي برهانٍ أو دليل، فهم في هذه الحالة إذًا مقرين بعدم إمامته (عليه السلام)، فما معنى هذا الشك؟، وما هذا إلا تدجين سلطوي للحقائق؛ لتطال الضبابية وعدم الاستقرار المجتمع برمته، فلا يفكر أحد منهم بخطورة الموقف المهدد لبقاء الإمام العسكري (عليه السلام)، فضلا على بقاء ولده الحجة المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، ومن ثمَّ سيمرر مشروعهم البائس الذي كان يرجون له البقاء، وتحققه على أرض الواقع، إلا أنّ الله (سبحانه وتعالى) ما شاء فعل، وقد فضح الإمام العسكري (عليه السلام)

([1]) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٢٢، مكاتيب الائمة: ٢٦٥/٦.

هذا المشروع على رؤوس الأشهاد بقوله: **((زعموا أنهم يريدون قتلي ليقطعوا نسلي وقد كذب الله قولهم والحمد لله))**[١]

المبحث الرابع: المعاد:

إنّ المعاد من الأمور الغيبية التي حين يؤمن بها الشخص يكون في سرب المتقين بحد قول الآية المباركة: ﴿**ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ**﴾[البقرة/٣] وإنّ الإيمان بالمعاد

(١) بحار الأنوار الجامعة لأخبار الأئمة الأطهار: ٥١/١٦٠-١٦٠، مكاتيب الأئمة: ٦/٢٧١.

مقدم على إيتاء الزكاة وإقامة الصلاة؛ مما يعني أنّ الإيمان بالغيب الذي يكون مندرجا تحته المعاد هو الركن الأساس في العبادة؛ إذ إنّ من يخشى المعاد ويؤمن به، ستكون أعماله وفق هذا المنظور، فيزجر نفسه عن المعاصي، ويجبرها على الطاعة، فلا تنساق وراء مغريات الحياة، وفتن الدنيا، ولطالما أكد القرآن الكريم وجود المعاد وحقيقته في أكثر من موضع.

ولم يرد المعاد في توقيعات المعصومين (عليهم السلام) كمفهوم له تعريفه الخاص، إلا إشارة إلى جزئية من جزئيات المعاد، من ذلك ما ورد عن الإمام علي (عليه السلام) في جوابه لمسائل أرسلها ملك الروم لمعاوية بن أبي سفيان، إذ أرسل الاخير هذه المسائل إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) مستغيثا به لحلها، والحديث طويل نأخذ منه موضع الشاهد، إذ ورد في جواب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) على مسألة المكان الذي ستأوي أرواح المسلمين له، والمكان الذي تأوي إليه أرواح المشركين، إذ قال: ((**تأوي أرواح المسلمين عينا في الجنة تسمى سلمى ، وتأوي أرواح المشركين في جب في النار تسمى برهوت**))[1]، لقد استفاضت المصادر بذكر أوصاف هذه العين التي تأوي إليها أرواح المسلمين بعد الموت، من ذلك ما ورد عن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) في وصف هذه العين حينما سُأل عن مصدر ماء الفرات، إذ قال: ((إن لله جنة خلقها الله في المغرب وماء فراتكم يخرج منها وإليها تخرج أرواح المؤمنين من حفرهم عند كل مساء فتسقط على ثمارها وتأكل منها وتتنعم فيها وتتلاقى وتتعارف فإذا طلع الفجر هاجت من الجنة فكانت في الهواء فيما بين السماء والأرض ، تطير ذاهبة وجائية وتعهد حفرها إذا طلعت الشمس وتتلاقى في الهواء وتتعارف)) [2] ، فالملاحظ في هذا الحديث، أنّه قد وصفت هذه العين بأوصاف لا تدركها العقول، وهو كله نعيم قد خلقه الله (سبحانه وتعالى) للمؤمنين، وما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) أيضا في تحديد موقع عين سلمى، وهو حديث طويل فمن شاء فليأخذه من مضانه؛ لما فيه

---

(١) الغارات، ١٨٧-١٨٩.

(٢) الكافي: ٣/٢٤٧

من استرقاق للقلب، إذ يصبح أسير مشاعر التوق إلى ذلك النعيم الخالد، إلا أنّ ما نستشفه من الحديث، هو إنّ الوادي الذي تجتمع فيه أرواح المؤمنين عند نزولها من السماوات، وهو وادٍ بظهر الكوفة، إذًا أن العين التي تسمى سلمى هي عين لتلاقي أرواح المؤمنين حينما يُؤذن لهم بالنزول من الجنان[١].

وما ورد عنه (عليه السلام) في هذا المضمار أيضا، ما جاء عنه من وصف ما أعد الله (سبحانه وتعالى) لشيعتهم من أنهار وعيون من لبن وماء وخمر، وما وضع على النهر من حور تسقي المؤمنين بأكوابها، وهو حديث طويل نأخذ منه موضع الشاهد، إذ جاء في الحديث: ((فقال لي حوض ما بين بصرى إلى صنعاء أتحب ان تراه قلت نعم جعلت فداك قال فاخذ بيدي وأخرجني إلى ظهر المدينة... هذه العيون التي ذكرها الله في كتابه انهار في الجنة عين من ماء وعين من لبن و عين من خمر... فقلت له جعلت فداك ما رأيت كاليوم قط ولا كنت أرى إنّ الامر هكذا فقال لي هذا أقل ما أعده الله لشيعتنا إنّ المؤمن إذا توفى صارت روحه إلى هذا النهر ورغب في رياضه وشربت من شرابه وإنّ عدونا إذا توفى صارت روحه إلى وادى برهوت فأخلدت في عذابه وأطعمت من زقومه وأسقيت من حميمه فاستعيذوا بالله من ذلك الوادي)) [٢] ، لم يذكر الحديث صراحة اسم (وادي سلمى)، بيد أن ما نستشفه من الحديث، أن المتكلم عنه هو الوادي ذاته، بدليل الشطر الآخر من الحديث المتعلق بالمكان الذي ستأوي له أرواح أعداء آل محمد (صلى الله عليه وعلى آله).

أما برهوت فهي: ((بئر عميقة بحضر موت لا يستطاع النزول إلى قعرها)) [٣] ، ويقع هذا الوادي الذي فيه البئر: ((وراء اليمن واديا يقال له وادي برهوت لا يجاوز ذلك الوادي إلا الحيات السود

---

(١) ينظر: الأصول الستة عشر: ٤٣-٤٤.

(٢) بصائر الدرجات: ٤٢٣-٤٢٤.

(٣) كشاف القناع عن متن الإقناع: ٣٢/١.

والبوم من الطير ، في ذلك الوادي بئر يقال لها برهوت يغدى ويراح إليها بأرواح المشركين... في حديث علي (عليه السلام) شر بئر في الأرض برهوت)) [١] ((ترده هام الكفّار بالليل)) [٢] .

وكما أنّ لله (سبحانه وتعالى) عينا في المغرب قد وضعها للمؤمنين، فإنّ له: ((نارا في المشرق خلقها ليسكنها أرواح الكفار ويأكلون من زقومها ويشربون من حميمها ليلهم، فإذا طلع الفجر هاجت إلى واد باليمين يقال له : برهوت أشد حرا من نيران الدنيا كانوا فيها يتلاقون ويتعارفون فإذا كان المساء عادوا إلى النار ، فهم كذلك إلى يوم القيامة))[٣]، إنّ الحديثين المتقدمين قد ذُكر فيهما أنّ أرواح المشركين تأوي ليلا لهذه البئر، مما يدل على أنّ المشركين في حالة عذاب مستمر في الحر ليلهم مع نهارهم، وما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) أن ليس كل الأرواح التي كتب عليها العذاب تأوي إلى هذه البئر، وهذا ما نجده في وصفه لحال الكفار: ((أبدان ملعونة تحت الثرى في بقاع النار و أرواح خبيثة ملعونة تجرى بوادي برهوت في بئر الكبريت في مركبات الخبيثات الملعونات تؤدى ذلك الفزع والأهوال إلى الأبدان الملعونة الخبيثة تحت الثرى في بقاع النار فهي بمنزلة النائم إذا رأى الأهوال فلا تزال تلك الأبدان فزعة زعرة وتلك الأرواح معذبة بأنواع العذاب في أنواع المركبات المسخوطات الملعونات المصفدات مسجونات فيها لا ترى روحا ولا راحة إلى مبعث قائمنا فيحشرها الله من تلك المركبات فترد في الأبدان وذلك عند النشرات فيضرب أعناقهم ثم تصير إلى النار ابد الابدين ودهر الداهرين)) [٤].

فالملاحظ في الحديث الشريف أنّ الأرواح الخبيثة هي التي تأوي إلى هذه البئر، والأبدان التي كانت فيها هذه الأرواح معذبة في بقاع النار تحت الثرى؛ أي في القبر، فإن المستفاد من كل هذه

---

(١) ينظر: الوافي: ٣٦٢/٢٦

(٢) هداية الأمة إلى أحكام الأئمة: ٢١٤/٨.

(٣) الكافي: ٢٤٧/٣

(٤) الأصول الستة عشر: ٤٣-٤٤.

الأحاديث المتقدمة هو: ((اختصاص الورود في الدنيا على وادي برهوت بأرواح الكفار وورود أبدانهم يوم القيمة على النار)) [١].

مما تقدم يتضح لنا وصف النعيم الذي تقيم فيه أرواح المسلمين ، ووصف الجحيم الذي تُدك فيه أرواح المشركين، إلا أنّ في النصوص المتقدمة إشارة إلى موضوع الرجعة، وهو من المواضيع المهمة في العقيدة الاثني عشرية، إلا أنّها ليست من ضروريات المذهب كالمعاد.

والرجعة: ((بمعني رجوع الحجج الإلهية ورجوع الأئمة الطاهرين ورجوع ثلة من المؤمنين وغيرهم إلى الدنيا بعد قيام دولة المهدي . وقد فسرها البعض برجوع دولة الحق لا رجوع الأموات إلى الدنيا وهو تفسير شاذ لا يقول به مشهور الامامية .))[٢] ولا يرجع بعد قيام الإمام المنتظر (عليه السلام) إلا من محض الكفر محضا، ومن محض الإيمان محضا [٣]، فالذي محض الكفر محضا سيقتل بسيف العدالة الإلهية المطلقة، ذاهبا بذلك إلى قعر الجحيم، فهو خالد فيها، وأما الذي محض الإيمان محضا فسيشهد تحقق العدالة الإلهية، وانتصار المظلوم على الظالم، وربما يكون عونا في تحقيق العدالة، من خلال انتصار جيش الإمام (عليه السلام).

إنّ مسألة الرجعة من المسائل التي نوقشت من ناحية الإمكان والوقوع، ومن ناحية معنى الرجعة نفسها، فأثيرت الجدليات من هنا ومن هناك حول الرجعة، إلا أنّ الكم الهائل من الروايات الذي يربو على الخمسمائة رواية في هذا المضمار [٤] يكفي ليشكل دليلا يُتكئ عليه في إثبات الرجعة.

ومما تقدم يتضح لنا أنّ المعاد له تمظهران، الأول في عالم الدنيا، وإن لم يشهده الناس، والآخر يوم القيامة وهو العالم الأخروي الذي يحصد الإنسان فيها نتاج عمله الصالح أو الطالح، ومما ورد في

---

(١) الفوائد الطوسية: ٣٢.

(٢) الرجعة في أحاديث الفريقين: ٤.

(٣) ينظر: المصدر السابق نفسه: ٤.

(٤) ينظر: الرجعة في أحاديث الفريقين: ٢.

هذا الباب، ما جاء في معرض جواب الإمام أبي الحسن الرضا (عليه السلام) لمن سأله عن الواقفة، وما هو حالهم، إذ قال: ((**الواقف عاند من الحق، ومقيم على السيئة، إن مات بها، كانت جهنم مأواه وبئس المصير**))[١]، الواقفية قد مرّ ذكرهم في مبحث التوحيد، بيد أنّ في هذا التوقيع وصف لحالهم في الدنيا، وما ستؤول له حالهم بعد الموت، فأول صفة من صفاتهم أنهم عاندون من الحق.

العاند في اللغة بمعى: ((طغى وعتا ، وجاوز قدره))[٢]، ومنه المعاندة، وهو أنّ: ((يعرف [الرجل] الشيء ويأبى أن يقبله أو يقر به))[٣]، ويأتي أيضا بمعى خروج الدم من الجسد بشدة [٤]، و بمعنى عدم الانقطاع والتوقف [٥]، ويأتي أيضا بمعنى المائل عن الشيء [٦]، إذًا مما تقدم يتضح لنا إمكان اجتماع كل المعاني المتقدمة بالواقفية، فهم يعرفون حقا أنّ الإمامة لم تقف عند الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)؛ لما قد أكد عليه الإمام الكاظم (عليه السلام) قبل وفاته، من أن الإمامة بعده لولده الرضا (عليه السلام)، بيد أنهم غير منفكين عن المعاندة وعدم تقبل الواقع، ولقد ذكر الباحث أسباب نشوء الواقفية، إذ إنَّ السبب الرئيسي وراء نهوض هذه الظاهرة، هو الطمع والجشع والاستيلاء على أموال الغير، والتصرف بها من غير حق لهم فيها، فمن البديهي إذًا أن يبقوا مندكين في قعر الجهالة، مائلين عن الحق، لا يقرون به، وهو ما أكده الإمام الرضا (عليه السلام) بقوله: (مقيم على السيئة).

أما الشطر الآخر من التوقيع، فقد بيّن (عليه السلام) مصير الواقفية بعد الموت بقوله: (كانت مأواه جهنم وبئس المصير)، المأوى هو مسكن الشخص ومرجعه إليه سواء أكان ليلا أم نهارا [٧]

---

(١) مكاتيب الأئمة: ٢٦٨/٥، النحلة الواقفية: ٦٣.

(٢) العين: ٤٢/٢.

(٣) المصدر السابق نفسه: ٤٢/٢.

(٤) ينظر: غريب الحديث: ٢٣٤/٤.

(٥) ينظر: الصحاح: ٥١٣/٢.

(٦) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١٥٣/٤.

(٧) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: ١١٥/٣٧.

وكذلك المثوى فهو المسكن والمنزل [١]. وجهنم تعني بعيدة القعر [٢] ، مما يدلّ على أنّ الذي لم يقر بإمامة بقية الأئمة الذين جاءوا بعد الإمام الكاظم (عليه السلام)، مسكنه ومستقره في قعر جهنم خالدا فيها، وإنما لم يشمل هذا الصنف في موضوع الرجعة؛ لأنهم لم يكفروا بالله الواحد الأحد، فهم مقرين بألوهيته، فضلا على اعتقادهم ببعض الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، وكما تقرر في ما تقدم من أنّ من محض الكفر محضا، وكذلك الإيمان، سيرجع بعد ظهور الإمام المنتظر (عليه السلام)، ما سيشكل بعد مماتهم معادا مؤقتا، ولعل هذا ما يفسر ما ورد في الأثر من : ((أن من مات فقد قامت قيامته))[٣]، فهي قيامة مؤقتة– إن صح التعبير– لما سيؤول إليه مصيره من تنعمه بنعيم الجنان، أو عذابه بأليم النيران، وهو في قبره.

وإنّما لم يدخل هذا الصنف في الرجعة، لما قال عنه الإمام الرضا (عليه السلام) من أنّ مأواه جهنم، مما يدل على أنه خالد في النار، لا حاجة لأن يقطع عنقه بسيف الإمام المنتظر (عليه السلام).

ومن المؤكد أنّ جهنم ليست هي النار ذاتها، وإنّما هي قسم من أقسام النار، كما صرحت الروايات بأسماء متعددة للنار، منها ما تقدم ذكره في التوقيع المتحدث عن وادي برهوت، ومنها جهنم، بل حتى جهنم هي الأخرى لها أقسام، كشفير جهنم، ويعني جانب جهنم [٤]، فالذي في وادي برهوت قد تقدم أليم عذابه، فما بالك بعذاب من في النار، ولتبيين جانب من أهوال النار ولهيبها وزفيرها، نقتصر على الآيات القرآنية الواردة في هذا المضمار، منها:

---

(١) ينظر: المصدر السابق نفسه: ٣٧: ٣٠٦.

(٢) ينظر: القاموس المحيط: ١٠٩٠.

(٣) الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة: ٤٤٣/٧.

(٤) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: ٢١٠/١٢.

١- ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة/٢٤].

٢- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء/٥٦].

٣- ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف/٢٩].

٤- ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [الأنبياء/٣٩].

٥- ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾ [الحج/١٩].

٦- ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ [السجدة/٢٠].

٧- ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر/٣٦].

يتضح لنا مما تقدم من الآيات أنّ للنار وقودا خاص، ألا وهو الناس والحجارة، وأنّ أهل النار كلما احترقت جلودهم بدّلهم الله جلودا غيرها؛ ليبقوا مخلدين في النار، فلا يقضى عليهم وينتهي بذلك عذابهم، ولا يخفف عنهم نارها وألمها؛ لكي لا يجدوا راحة ولو في بعض الوقت، فالنار لا تنفك عن وجوههم، ولا عن ظهورهم، فهي نار أحاط بنائها الظالمين، فإذا ما استغاث أحدهم بماء ليطفأ ما يجد من حرارتها، أغاثوه بسائل معدني منصهر، يشوي وجهه، وما يمر به من أحشاء، فضلا على ثيابه التي قُطعت له من النار، والماء المتناهي الحرارة يصب فوق رأسه، وهم في هذه الحال كلما أرادوا الفرار منها، والخروج من أليم عذابها، يردون إليها فهم فيها خالدون.

إنّ لهذه النار المهولة، وصفاتها المرعبة، أصناف من الناس يردونها مكبكبين على وجههم فيها، فمنهم من تقدم ذكره في الآيات القرآنية التي ذكرنها قبل قليل، ومنهم من نجده في توقيع الإمام الرضا (عليه السلام) في جوابه لمن سأله عن إيمان أبي طالب (عليه السلام)، إذ قال: ((**بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فمن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى انك ان لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار**))[١]، وبسند آخر قد عده-السائل- الإمام الرضا (عليه السلام) من الذين يشاقون الرسول بعد الإيمان، إذ قال: ((**﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾**[٢] **الآية ، وبعدها إنك إن لم تقر بإيمان أبى طالب كان مصيرك إلى النار**))[٣] بل إنّ من يشك في إيمان أبي طالب (عليه السلام)، يكون مصيره إلى النار كما ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام) في معرض جوابه لمن سأله عن الحديث القائل بعذاب أبي طالب (عليه السلام) في النار، إذ قال: ((**بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإنك إن شككت في إيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار**))[٤].

ومن الحقيقة بمكان أنّه قد أُلّف الكثير من المصنفات في إيمان أبي طالب (عليه السلام)، وقد أُثيرت الكثير من الجدليات حول هذه المسألة، بيد أنّ العلماء والمؤلفين قد انبروا للرد على هذه الإشكاليات، وطرح الأدلة على طاولة النقاش، كاسرين بذلك شوكة المضلين، إلا أننا نكتفي بالقول عن إيمان أبي طالب (عليه السلام)، أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهما السلام) ولده، وأنّه قد كفل سيد الكونين رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فإذا ما عقلنا معنى أنّ علي بن أبي طالب (عليهما السلام) هو لده، أيقنا العلة وراء هذه الخزعبلات من إن أبي طالب من أهل النار؛ لأنهم في الحقيقة

---

(١) كنز الفوائد للكراجي: ٨٠، مكاتيب الأئمة: ٢٩٧/٥.

(٢) النساء: ١١٥.

(٣) شرح نهج البلاغة -أبي الحديد المعتزلي-:٦٨/١٤، مكاتيب الأئمة: ٢٩٧/٥.

(٤) إيمان أبي طالب:٨١-٨٢، مكاتيب الأئمة: ٢٩٦/٥.

يريدون أن يحطوا من شأن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بذلك، وهيهات هيهات أن يستطيع أحد نيل ذلك.

الباب الأول: الدراسة الموضوعية.

الفصل الثاني: توقيعاتهم السياسية والاجتماعية

- المواعظ.
- المعاجز.
- غرائب القضايا.
- الغلو.

توطئة:

لقد حفلت توقيعات المعصومين (عليهم السلام) بجملة من المواضيع المختلفة ، كالسياسية والاجتماعية، والطبية، وغيرها الكثير، مما يدل بوضوح على عمق تأثير المعصومين (عليهم السلام) بجميع معطيات الحياة، ومفاصلها، فلم يقتصر عملهم على الجانب الفقهي، والديني، وإنّما شمل جميع متطلبات الحياة، مما يخدم البشرية، ويرتقي بهم سلم الحياة الأفضل دنيويا، والأكثر نجاة أخرويا.

من هنا سيتعرض الباحث لذكر جملة من المواضيع المختلفة، التي أثارها المعصومون (عليهم السلام)، منها المواعظ، فذكروا الكثير من أجمل قواعد العيش بطمأنينة، وقرب من الله (سبحانه وتعالى)، ومنها أيضا المعاجز، فكثيرا ما استعملوها (عليهم السلام) لإنقاذ شيعتهم من الخطر المحدق بهم، كما قد استعملوها في جانب إظهار ارتباطهم بالغيب، وأنّهم (عليهم السلام) مسددين من الخالق (جلّ ذكره).

من جانب آخر، فقد وردت في توقيعاتهم الكثير من القضايا، التي خفى مضمونها على عقولنا، فعُدت من غريب أحكامهم، والبعض لم يحتمل عقله هذه القضايا، فشذ عن جادة الصواب، وابتعد عن أفعال ذوي الألباب، فغالوا في أئمتهم، حتى سحبوهم لمقام الألوهية، والعياذ بالله؛ لذا قد عالج المبحث الأخير من هذا الفصل بعض قضايا الغلاة، وتطرق لذكر بعض أخبارهم.

المبحث الأول: المواعظ:

الموعظة في اللغة هي: ((تذكيرُك إيّاه الخيرَ ونحوَه ممّا يرقُّ له قلبُهُ))[١]، وتذكيره بالعواقب [٢]، وتأتي أيضا بمعنى التخويف [٣]، فالموعظة إذًا هي تليين القلب لتقبل الترغيب أو الترهيب.

ولم يفترق المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، إذ ورد في التعريفات إنّ الموعظة: ((تُلين القلوب القاسية، وتُدْمِع العيون الجامدة، وتُصْلِح الأعمال الفاسدة))[٤].

والموعظة هي أحد أساسيات الدعوة إلى سبيل الله (سبحانه وتعالى)، إذ ورد في الآية الشريفة قوله تعالى: ﴿ **ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ** ﴾ [النحل/١٢٥]، مما يشير إلى اللطف واللين بالموعظة، وعدم التشهير بالشخص الذي يراد موعظته، من ذلك، إنْ وعظت أحدا بمفرده، فهو نصح، وإنْ وعظته أمام الآخرين فهو جرح.

إنّ في الموعظة حياة لأولي الألباب، يتعقلون مضامينها، ويسيرون على تعاليمها، فيأخذون من أحسنها، وينصاعون لأوامرها؛ لذا قد مُلئ القرآن الكريم بالمواعظ الحسنة، كما وضع الله (سبحانه وتعالى) لنبيه موسى (عليه السلام) في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا، وفي الحقيقة أنّ الكلام في مواعظ القرآن الكريم كثير، ومن ثمَّ سنتشرف بنقل ما ورد عن عِدل القرآن الكريم، ألا وهم المعصومون (عليهم السلام)، من ذلك ما ورد عن الإمام الحسين (عليه السلام) في وعظه لرجل سأله أن يعظه بحرفين، إذ قال: ((**من حاول أمرا بمعصية الله كان أفوت لما يرجو وأسرع لمجيئ ما**

---

(١) العين: ٢/٢٢٨.

(٢) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٣/١١٨١.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٦/١٢٦.

(٤) التعريفات: ٢٣٦.

يحذر)) [١] يشير النصّ إلى أنّ الشخص المقصود في التوقيع، هو على درجة من الإيمان تُمكنه من العيش بين الأمل والخوف، إذ إنّه يرجو ثواب الله (تعالى) وجناته، ويحذر من عذابه وأليم نيرانه؛ لأنّ من خاف شيئا حذره، ومن حذر شيئا تركه [٢]، فإذا ما حاول أن يقوم بفعل عمل ما، وهذا العمل يستوجب معصية الله (سبحانه وتعالى)، سيكون سببا في فوات أمله في الجنة ونعيمها، وسببا في تعجيل مجيء ما يحذر من النار وأليم عذابها.

أو أنّ المقصود من الكلام هو أفوت لما طلب، فلا يناله، وأسرع لمجيئ ما يحذر من الموت، فتنتهي آماله، مثلا: ((من طلب رضا المخلوق بمعصية الخالق يفوت رضاه ومدحه ويجد غضبه وذمه بخلاف من حاول رضاه تعالى بمعصية الخلق فإنّه تعالى يجعله مادحاً له ...وهذا من جوامع الكلام في الزجر عن المنهيات والترغيب في الخيرات))[٣] .

ومعنى قول السائل: –بحرفين– أي: ((بجملتين ، وما ذكره (عليه السلام) مع العطف في حكم جملتين ويحتمل أن يكون الحرفان كناية عن الاختصار في الكلام ، " من حاول " اي رام وقصد)) [٤]، فكما ترى أنّ الكلام على الرغم من قصره، مليء بالمواعظ البليغة؛ لما فيه من أمر جامع لكل أنواع الزجر والنهي عن الموبقات، فمن راقب الله (عز وجل) في حركاته وسكناته، ولم يقصد أي أمر فيه معصية لله (سبحانه وتعالى)، كانت الجنة في انتظاره، والرحمة الإلهية نازلة بساحته، وهذا ما يفسر قوله (عليه السلام) في جوابه لمن سأله عن خير الدنيا والآخرة، إذ قال: ((**فإن من طلب رضا الله بسخط الناس كفاه الله أمور الناس ، ومن طلب رضا الناس بسخط الله ، وكله الله إلى الناس**

---

(١) الكافي : ٣٧٣/٢، مكاتيب الأئمة: ١٥٣/٣.

(٢) ينظر: تحف العقول عن آل الرسول: ٢٥٠.

(٣) ينظر: شرح أصول الكافي: ٣٧/١٠.

(٤) بحار الأنوار الجامعة لأخبار الأئمة الأطهار: ٢٩٣/٧٠.

والسلام))[١]، فقد أطلق الإمام الحسين (عليه السلام) أجمل معادلة للعيش بسعادة، واطمئنان على أمور الدنيا والآخرة، وذلك من خلال ألّا يعير الشخص أدنى اهتمام لطاعة المخلوق، وتمشية أموره ما دامت في سخط الله (تعالى) ومعصيته، وبذلك يهتم الله (سبحانه وتعالى) في تمشية أمور هذا العبد في الدنيا، ومضاعفة حسناته في الآخرة، فيسكنه عن طريقها فسيح جناته، وأفاد هذا التوقيع أمرين:

((١ – أن تشخص نظرك إلى رضا الله في كل ما تقدم إليه .

٢ – أن يكون رضوان الله محور حركتك الأخلاقية بين الناس ، ومنتهى وصولك إلى الجنة))[٢] فطلب رضا الله (سبحانه وتعالى) أعلى شيء يحظى به العبد في دنياه وآخرته، ويؤيده قول الله (عز وجل) : ﴿**وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ**﴾ [التوبة / ٧٢] . فأنظر كيف جعل الله رضوانه أكبر من الجنة ونعيمها والخلود في مساكنها الطيبة .

هذا مقام رضا الله (تعالى) وقطعاً لا يحظى به إلا من قدم رضا الله (سبحانه وتعالى) على رضا غيره من المخلوقات ، هذا في الآخرة وأما في الدنيا فإن طالب رضا الله (عز وجل) المُقدِّم له على رضا خلقه يكفيه الله (جل وعلا) بمشيئته شر الناس من خلقه، وإذا كفاه الله (سبحانه) شرهم فقد حظي بخير الدنيا والآخرة معاً [٣]، وذلك لما فيه من التخلص من مشاكل الناس، وأقوالهم، فيلتفت العبد حينها للانشغال بأوامر الله (سبحانه وتعالى)، ويُصْبِر نفسه على عدم الانسياق وراء الشهوات التي حرّمها الله (جل وعلا).

---

(١) حياة الإمام الحسين: ١٦٣/١.

(٢) من أخلاق الإمام الحسين (عليه السلام) دروس في السلوك والتربية وقيم الحياة الطيبة: ١٢٣.

(٣) ينظر: الشفاء الروحي: ٩٢.

مما تقدم يتضح لنا عمق القاعدة المعيشية التي أطلقها الإمام الحسين (عليه السلام) إلى المجتمع، ولو طُبِقت هذه القاعدة وأصنافها من القواعد الأخر في المجتمع، لسارت البشرية بانتظام وطمأنينة.

ومن هذه القواعد أيضا ما جاء عن الإمام الجواد (عليه السلام) في موعظته لرجل طلبَ منه أن يوصيه، بَيْدَ أنّه (عليه السلام) اشترط عليه قبل إعطائه النصح، أن يتقبل ما يُسمِعه الإمام (عليه السلام) من النصح، والملاحظ في الحديث أنَّه (عليه السلام) قد أكد عليه شفهيا من خلال تبادل المكاتبات بينهما، فما الذي يُؤكد التزام هذا الشخص بما نصحه الإمام الجواد (عليه السلام) به؟، مما يؤكد أنّ الإمام الجواد (عليه السلام) أراد من خلال تشديده على السائل بأن يتقبل ما يسمع، أنّ يؤكد على أهمية ما سيقوله له من النصح، وما له من تأثير كبير على استقامة الموازين التي سيؤدي الالتزام بها إلى أن يكتسب المرء خير الدنيا والآخرة، فلعل هذا ما أراده الإمام (عليه السلام)، لا شرط أن يتقبل منه السائل؛ ليعطيه النصح، وما يؤكد ما ذهبنا إليه هو قوله (عليه السلام) الذي ما تنفك عنه الاستقامة والخير والصلاح، إذ قال (عليه السلام): ((**توسد الصبر واعتنق الفقر . وارفض الشهوات . وخالف الهوى . واعلم أنك لن تخلو من عين الله فانظر كيف تكون**)) [١].

لقد وردت في التوقيع جملة من القواعد والإرشادات الرصينة، التي تتكفل بإصلاح وضع الإنسان دنيويا وأخرويا، وسنقف عند كل مفصل من مفاصل التوقيع؛ لبيان شيء من ماهيته و أهميته، وأول هذه التعاليم، الصبر، إذ قال (عليه السلام): (توسد الصبر)، ولا يخفى على القارئ الكريم من أنّ النصّ خالٍ من المجاز؛ فالتوسد في اللغة: ((أن يضع الإنسان رأسه على الوسادة... والوساد: هو كل ما يوضع تحت رأسه، من تراب أو حجارة أو يد الإنسان أو غيرها))[٢] ، فمن الممكن أن يدخل الصبر وهو أمر معنوي تحت مفهوم الوسادة.

---

(١) تحف العقول عن آل الرسول: ٤٥٥، مكاتيب الأئمة: ٤٤٣/٥.

(٢) ينظر: العين: ٢٨٤/٧.

إنّ الوسادة التي يضع الإنسان رأسه عليها ، لا بد وأنّه قد قصد الراحة في ذلك، مما يسبب له حالةً من الطمأنينة والاسترخاء تُمكنه من صفو النوم، هذا من جانب، من جانب آخر فإنّ الإنسان يأوي إلى الوسادة بعد إكمال ما لديه من أعمال؛ بمعنى أنّها الموضع الذي يفرغ فيه من أيّ شيء، فهي من الأمور التي لا يمكن الاستغناء عنها أبدا، ولو تكررت يوميا، بل وإنْ تكررت في اليوم الواحد أكثر من مرة، من هنا أمرنا عيله السلام بأنّ نتوسد الصبر، بمعنى أن يكون هو الخاتم للأمور كلها ومرجعها، بل والمهيمن عليها على مدى العصور والأيام، فيكون الصبر هو المرجع الأساس لكل الأعمال والتصرفات.

ومعلوم ما كان عليه أهل البيت (عليهم السلام) من الصبر، فقد تجسد في أفعالهم قبل أقوالهم، والقصص في هذا المضمار مستفيضة، ومعلومة عند كل ذي لب وقلب سليم، فهم (عليهم السلام) قبل أن يأمروا شيعتهم بالصبر والتزامه، قد وَطّنوا أنفسهم على ذلك، بل بذلوا الغالي والنفيس صبرا واحتسابا في الله (سبحانه وتعالى).

بعدما تقدم ذكر الركن الأساس، ورأس الوصايا في صلاح المجتمع، ألا وهو الصبر، قد انتقل الإمام (عليه السلام) إلى ما لا تقل أهميته عمّا تقدمه، وهو اعتناق الفقر، و الاعتناق في اللغة يعني: ((الاختيار والاتباع، ومنه اعتنق الرجلان، إذا جعل كل منهما يداه على عنق الآخر في الحرب أو غيره)) [١] ، وإنّ مصطلح المعانقة من المصطلحات الدارجة في حياتنا اليومية، والتي تعني التصاق جسد أحدهما بالآخر اشتياقا له، وحبا به، مما يعني أنّ الإمام الجواد (عليه السلام) أراد منا أن يكون اشتياقنا للفقر والالتصاق به ومعاملتنا له، كاشتياقنا لحميم أو قريب، ومعانقته عند مجيئه.

---

(١) المعجم الغني: ٣٤٧١-٣٤٧٢.

والفقير أرقى درجة من المسكين كما أشار لذلك صاحب الفروق اللغوية، إذ إنّ الفقير لا يسأل ، على حين المسكين يسأل من الناس أن يعطوه، فهو أضعف حالا من الفقير [١]، من هنا يتبين لنا أنّ الإمام (عليه السلام) قد طلب من شيعته أن يلزموا حالة الفقر لا المسكنة، مما يعني أنّهم على حالة تمكنهم من العيش معتمدين على أنفسهم، لا مُطْلقين أكف الاستعطاء والمذلة، فيسترقّهم الأخرين بذلك، وهذا ما لا ترتضيه الشرعة الإسلامية المقدسة.

إنّ التزام الصبر واعتناق الفقر سيؤدي حتما إلى رفض الشهوات ومخالفة الهوى، كما أشار لذلك الإمام الجواد (عليه السلام) بقوله: **(وارفض الشهوات . وخالف الهوى)**، وبين الشهوات والهوى ثمة فروقات تميز أحدهما عن الآخر مما يجعل من الشهوات مرفوضة، ومن الهوى مُخالف، من ذلك ما ذُكر في الفروق اللغوية، من أن الشهوات هي: ((توقان النَّفس إِلَى مَا يلذ وَيسر)) [٢]، و ((أَن الشَّهْوَة لَا تتَعَلَّق إِلَّا بِمَا يلذ من المدركات بالحواس... والشهوة أَيْضا لَا تتَعَلَّق بالماضي)) [٣]، فلا يشتهي أحد مثلا طعاما كان في الماضي، وإن طلبته النفس إلا إنّه حينها سيصبح تمني وليس اشتهاء للطعام، على حين أنّ الهوى: ((لطف مَحل الشَّيْء من النَّفس مَعَ الْميل اليه بِمَا لَا يَنْبَغِي وَلذَلِك غلب على الْهوى صفة الذَّم وَقد يَشْتَهِي الْإِنْسَان الطَّعَام وَلَا يهوى الطَّعَام)) [٤]، فأغلب الهوى هو من الأمور التي لا تُدرك بالحواس؛ أي إنّه ليس من الأمور المادية، بل من الأمور المعنوية، وما يؤكد هذا، هو ما جاء في معجم الفروق اللغوية، إذ قال صاحبها: ((أن الهوى يختص بالأداء والاعتقادات، والشهوة

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية للعسكري: ١٧٧.

(٢) الفروق اللغوية: ١٢١

(٣) المصدر السابق نفسه: ١٢٤.

(٤) المصدر السابق نفسه: ١٢٤.

تختص بنيل المستلذات. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾[١] أي لا تتبع ما يميل إليه طبعك ويقتضيه رأيك من غير أن يسند إلى دليل شرعي.

ويدل على الثاني قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[٢] . حيث بين مراتب المشتهيات بعدها، وفصل أصول المستلذات عقيب ذلك، وعدها))[٣] .

فالهوى إذًا هو من الأمور المعنوية التي تتعلق بالنفس، كالاعتقادات الدينية، وهذا ما أكدته الآية القرآنية: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية/ ٢٣]، فالهوى إذًا متعلق باتخاذ الدين والشريعة الخاطئة، المجافية للصواب، لقد نعت القرآن الكريم من اتبع هواه بأوصاف قد ذُكرت في القرآن الكريم، منها: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف/ ١٧٦]، فالملاحظ أنّ الله (سبحانه وتعالى) قد مَثّل حال من اتبع هواه بحال الكلب، ومعلوم ما عليه الكلب من النجاسة، بل هو عين النجاسة كما أكدته الآية الشريفة، وإنّ الذي اتّبع هواه يكون قلبه غافلا عن الحق والدين الإسلامي الصحيح كما أشارت له الآية الثامنة والعشرين من سورة الكهف المباركة؛ ولذا قد أكد الله (سبحانه وتعالى) على عدم اتّباع الهوى، حتى على أنبيائه، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن

---

(١) ص: ٢٦.

(٢) آل عمران: ١٤.

(٣) معجم الفروق اللغوية: ٥٦٢.

سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ص/٢٦]، ولم يقتصر ذكر التحذير عن اتباع الهوى في القرآن فقط، وإنّما قد أكده أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في أكثر من موضع، منها ما ورد عن الإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام)، إذ قال: ((إنما أخاف عليكم اثنين؛ اتباع الهوى ، وطول الأمل ، أما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق ، وأما طول الأمل فينسي الآخرة.))[١] .

مما تقدم يتضح لنا أنّ الهوى متعلق بالجانب النفسي، والاعتقاد الديني، وإنّ الهوى بكل صنوفه مجافٍ للحق، بعيدا عنه كل البعد.

على حين تتعلق الشهوات بالجوارح، كما تتعلق بالأمور المادية كما صرّحت بذلك الآية القرآنية المباركة: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾ [آل عمران/ ١٤]، فكل ما ذُكر في الآية القرآنية الكريمة هو من الأمور المادية التي يمكن نيلها بالحواس، بيْد أنّ كلام الإمام الجواد (عليه السلام) فيه نكت أخرى، ألا وهي في قوله: (أرفض..، وخالف...)، مما يشير إلى إمكان ترك الشهوات، وعدم الانصياع لها، فيرفضها من يأخذ بوصيته، على حين ينتفي إمكان الترك في الهوى، فربّما بسبب تعلق الهوى بالنفس، ومعلوم من أن الوساوس ملازمة للنفس الإنسانية، فالنفس أمّارة بالسوء، إلا من وقاها الله (سبحانه وتعالى) شرور وساوسها، فتتنزل الرحمة الإلهية عليها حينئذٍ.

فمن منطلق ما تقدم، يصبح من البديهي إنّ من توسد الصبر، واعتنق الفقر، ورفض الشهوات، وخالف الهوى، أن يكون على يقين من أن الله (سبحانه وتعالى) يراه في كل حين، فلا ينقطع عن نظره؛ ولذا قال الإمام الجواد (عليه السلام) في وصيته: **(واعلم أنك لن تخلو من عين الله فانظر كيف**

---

(١) مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان: ٣٦٢/١٢

تكون)، في الحقيقة إنَّ في هذه الجملة تربية نفسية خاصة من الطراز الأول، على النسق العالي، فمن جعل الله (سبحانه وتعالى) بين عينيه دائما، وفي أي عمل يقوم به، سيكون على درجة من الجد تمنعه من الإتيان بكثير من الموبقات، أما استحياء من الله (سبحانه وتعالى)، أو خوف منه، ومما تقدم يتضح لنا عمق القاعدة التربوية التي تنتظم من خلالها سلسلة العيش الهنيء، والرحمة الربانية المتنزلة على عباده، إذا ما التزموا في ما جاء فيها من المواعظ.

فمن هذا المنطلق يتبين لنا أنّ من أراد النصيحة، أو الوصية والعبرة، لا بد له من ترويض نفسه على تقبلها، وإن كثرت مضامينها؛ لما فيه من خير وصلاح في اتّباعها، بَيْدَ أنَّنا نجد في التاريخ من يطْلب الموعظة من الإمام المعصوم (عليه السلام)، ولكنّه يشترطُ عليه الإيجاز والاختصار، كما في مكاتبة هارون الرشيد [١] إلى الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)، إذ طلب منه أن يَعِضَهُ، لكن بإيجاز، هنا تثار الكثير من التساؤلات والإشكالات، لا بد أن نقف عندها.

أولا: إنّ شخصية هارون العباسي شخصية ازدواجية ؛ لأنه من الخلفاء اللذين لم يجتمع عند باب أحدٍ غيره هذا العدد الهائل من العلماء والأدباء والكتاب والندماء أيضا، مما يعني أنه محاطٌ بشبكة معلوماتية عملاقة متنوعة، أو مكتبةٍ موسوعية تحوي الكثير من الفنون، هذا الشخص الذي تحيطه العلماء والمثقفون، هو ذاته لم يسبقه أحد من الخلفاء بلعب الكرة والصولجان. فضلا على ثقافته ولهوه كان جبارا شديد البطش بالناس؛ حتى سمي جبار العباسيين [٢] ،إذًا هو شخصية متعددة الألوان والثقافات، وهو خليفة قد ولي على مملكة مترامية الأطراف أيضا، فما الداعي يا ترى أن يكتب مثله إلى إمام زمانه موسى الكاظم (عليه السلام) طالبا منه الوعظ، ولكن بشرط الإيجاز؟ فكتب (عليه

---

(١) هارون (الرشيد) ابن محمد (المهدي) ابن المنصور العباسي ، أبو جعفر : خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق ، وأشهرهم . ولد بالري ، ولايته ٢٣ سنة وشهران وأيام . توفي في " سناباذ " من قرى طوس ، وبها قبره، ينظر: الأعلام للزركلي: ٦٢/٨.

(٢) ينظر: المصدر السابق نفسه: ٦٢/٨

السلام): ((**ما من شيء تراه عينك إلا وفيه موعظة. وصلى الله على محمد وآله ، وحسبنا الله ونعم الوكيل**)) [١]

الملاحظ في التوقيع أنّ الإمام الكاظم (عليه السلام) لم يَعِظْ هارون الرشيد، وإنما قد أعطاه قاعدة عامة مطلقة، وهي قاعدة مستوحاة من قوله تعالى: ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ** ﴾ [الحج/٤٦]، وقوله تعالى: ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ** ﴾ [غافر/٨٢]، وهارون الرشيد لا يرى أمام عينيه ما يراه السوقة، وطبقات المجتمع المتدنية؛ لما تحت يديه من ثروات وقصور وجوار وهلم جرا، وقد ذُكر هذا الترف كثيرا في كتب التأريخ والأدب لا مجال لطرحه هنا.

ثانيا : إنّ هارون الرشيد ومن كان قبله من الخلفاء، ومن تلاهم، قد برهنوا فعليا على أنّ الملك عقيم، من ذلك ما فعله أخو هارون الرشيد موسى الملقب بالهادي، من عزل اخوه هارون الرشيد، و تنصيب ولده جعفر وليا للعهد، فلم ترى أمه (الخيزران) إلا أن تزجره عن القيام بهذا الفعل فقام بسجنها، فما كان للأم إلا أن ترسل جواريها ليقتلنه، فمات خنقا [٢]، وقد أردفه المأمون بقتل أخيه الأمين [٣]، وهي حادثة مشهورة قد وقعت عندما اشتعلت نيران الفتنة بينهما، إذًا فشخصية هارون قد اجتمع فيها اللهو والقتل وحب الدنيا والسلطان، ومعلوم أنّ المواعظ تدعو إلى اعتناق الفقر ورفض الشهوات وغيرها، مما يجعلنا نعتقد بأن طلب هارون الموعظة لا يخرج عن أحد الاحتمالات التالية:

---

(١) الأمالي: ٥٩٩، الفصول المهمة في أصول الأئمة: ٣٧٨/٣، مكاتيب الأئمة: ٤٣٩/٤.

(٢) ينظر: الأعلام للزركلي: ٣٢٧/٧.

(٣) ينظر: المصدر السابق نفسه: ٢٣/٨.

١- إنْ قام الإمام الكاظم (عليه السلام) بوعظه على نحو يمنعه من التمتع بالبذخ والترف، سينبري له وعاظ السلاطين فورا، بأن هذا من الامور التي أباحها الله (جل وعلا) لعبيده، فما الضير فيها إذن؟، ومن ثمَّ سيدبرون له مكيدة المنازعة في السلطان، مما يشكل مبررا لقتله.

٢- لربّما كان طلبه الموعظة، بإشارة من بعض العلماء الذين كانوا محيطين به، والذين اصبحوا وزراء في حكومته، كأمثال علي بن يقطين، وابن السكيت.

مما تقدم يتضح لنا أنّ الإمام الكاظم (عليه السلام) قد جعل الكرة في مرمى هارون العباسي، بعدما جعل كل ما يراه أمام عينيه فيه موعظة ونصح وإرشاد؛ فالإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره.

أردف الإمام الكاظم (عليه السلام) قاعدته التي أطلقها بالصلاة على محمد وآله (صلى الله عليه وآله)، وللصلاة على النبي الأكرم ما يربو على أربعين موضعا، منها عند الخطبة [١]، وعند القيام من المجلس أيضا [٢]، ومنها عند التذكير ، وتبليغ التعاليم إلى الناس، والقصص والقاء الدرس في أوله وآخره [٣]، منها عقيب الذنب إذا أراد أن يستغفر [٤]، مما يشير إلى أن مجموعة إشارات أراد الإمام الكاظم (عليه السلام) من خلالها أن يستبطن له الموعظة في كلامه، منها:

١- التذكير: فباعتباره (عليه السلام) الإمام المفترض الطاعة يذكّر الآخرين عسى أن تنفعهم الذكرى، وبهذا يكون أدى ما عليه من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢- الاستغفار: مما يعني أنّ ما تقوم به مملكتك أيها الشخص الطالب للنصح، فيه كثير من الذنوب والموبقات، يستلزم منك الاستغفار مشفعة بالصلاة على النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله).

---

(١) ينظر: جلاء الأفهام: ٣٦٨.

(٢) ينظر: المصدر السابق نفسه: ٤٠٦.

(٣) ينظر: المصدر السابق نفسه: ٤١٤.

(٤) ينظر: المصدر السابق نفسه: ٤١٩.

٣- من مواطن الصلاة على النبي -كما تقدم- بعد الانتهاء من الخطبة؛ مما يعني أن ما أعطاه الإمام الكاظم (عليه السلام) من النصح يعادل خطبة كاملة.

أما ما ختم الإمام (عليه السلام) به موعظته فهو قول مستوح من القرآن الكريم، إذ قال: **(وحسبنا الله ونعم الوكيل)**، وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم في موضعين فقط، الأول في قوله تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ**﴾ [آل عمران/ ١٧٣]، والآخر في قوله تعالى: ﴿**وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ**﴾ [التوبة/ ٥٩]، فالمستفاد من الآيتين المتقدمتين، إنَّ ما يقوله لك الوعاظ من طلبة الدنيا، إنّما هو تمويه ومبالغة في المدح، لا ينبغي الالتفات له، بل الرجوع إلى الله (سبحانه) والتوكل عليه.

هذا من جانب، وأما من جانب آخر فأنّ الاكتفاء في ما جاء من الله ورسوله، فيه خير الدنيا والآخرة معا، أما من تمرد على ذلك وطلب نزوات الدنيا الزائلة، فقد أصبح ظالما لنفسه وللناس، يُخشى منه، فلا يملك الذي يخاف من الله (تعالى) إلا أن يجعل الله (عز وجل) حسبه ووكيله على هذا الظالم، مما يعني أن ما يقوم به هارون من البطش والقتل، وبحكم مملكته المترامية الأطراف، لا يستطيع أحد مجابهته، إلا أن يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل.

وما ورد عنهم أيضا في هذا المضمار، ما ورد عن الإمام الهادي (عليه السلام) في جوابه لمن سأله عن معنى التوبة النصوح، إذ قال: **((أن يكون الباطن كالظاهر وأفضل من ذلك))**.[١] لم تشر المصادر لشرح هذا المعنى، بيد أنّ ما نستشفه من السياق الخارجي للنص، أنّ المقصود بالباطن هو الجوانح، والظاهر هو الجوارح، مما يعني أن لا بد للإنسان أن يبدأ بتطهير نفسه من الداخل؛ لما له من أهمية بالغة؛ وذلك لأن أغلب الذنوب والخطايا تأتي من الجوانح، وما تتركه الذنوب من آثار

---

(١) معاني الاخبار: ١٧٤، مكاتيب الأئمة: ٢١٧/٦.

سيئة، تكون على الجوانح أيضا، فمن هنا أمر الإمام (صلوات الله وسلامه عليه) أن يبدأ بالباطن ثم الظاهر.

هذا من جانب، أما من جانب آخر، فإنّ الإنسان لطالما اهتم بشكله الظاهري سواء أكان على مستوى الجسد أم على مستوى الشكل والمظهر، وكان من المفترض أن يعتني بالباطن كالظاهر، بل أفضل منه، فمن أراد التوبة النصوح فعلا ، عليه أن يبتدأ بالابتعاد عن الأمور المعنوية، بل يهتم بها اشد اهتمام لما في التزامها من اكتساب الخير كله، وهذا ما نجده في معرض جواب الإمام الجواد (عليه السلام) لمن سأله عن دعوة جامعة للدنيا والآخرة، إذ قال: **((أكثر من الاستغفار والحمد فإنك تدرك بذلك الخير كله))** [١] وتقدم في مبحث الإمامة ما في الاستغفار من حط للذنوب، ومنع من نزول عذاب الله (سبحانه وتعالى)، واما حمد الله (عز وجل) فلا بد وأن يدخل ضمن الشكر والثناء على الله (سبحانه وتعالى)، وقد حكت لنا الآية المباركة عن الشكر، إذ جاء قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾ [إبراهيم/ ٧] فبالاستغفار تلين القلوب وتذهب قسوتها، وبالحمد تدوم النعم وتكثر، فيكسب الإنسان بذلك خير الدنيا والآخرة.

---

(١) الدر النظيم: ٧٣٢، مكاتيب الأئمة: ٢٠٨/٦.

المبحث الثاني: المعاجز أو الاستشراف:

المعجزة في اللغة: ((العجز والضعف)) [١]، أما في الاصطلاح فهي: ((الامر الخارق للعادة الدال على تصرف ما وراء الطبيعة في عالم الطبيعة ونشأة المادة لا بمعنى الامر المبطل لضرورة العقل))[٢]، أما استعمال(ما وراء الطبيعة) ، فلا يرى الباحث أنّه استعمالا موفقا من الجانب العقائدي، نعم يصح إنّ كان التعريف من المنظور الفلسفي؛ فكان الأفضل أن يقال: هي الأمر الخارق للعادة، الدال على تصرف الخالق في أسباب الطبيعة على يدي من بعثه لإبلاغ رسالته.

إنّ المعجزة لأي نبي من الأنبياء (سلام الله عليهم)، أو المعصومين لا بد أن تكون مصدقة لما بين يديه، ولما جاء به من تعاليم جديدة لهدايتهم تخالف قوانينهم وعاداتهم.

إنّ المعجزة يجب أن تطابق قول النبي أو مدعي النبوة، وإنْ جاء بأمر خارق للعادة، وهذا ما أشار إليه صاحب البيان، إذ قال:((وقد يدعي أحد منصبا إلهيا ثم يأتي بشيء يعجز عنه غيره من البشر ويكون ذلك الشيء شاهدا على كذب ذلك المدعي، كما يروى أن " مسيلمة " تفل في بئر قليلة الماء ليكثر ماؤها فغار جميع ما فيها من الماء، وأنه أمر يده على رؤوس صبيان بني حنيفة وحنكهم فأصاب القرع كل صبي مسح رأسه، ولثغ كل صبي حنكه فإذا أتى المدعي بمثل هذا الشاهد لا يجب على الله أن يبطله، فإن في هذا كفاية لإبطال دعواه))[٣] فنجد إنّ ما قام به مسيلمة الكذاب من أمر خارج المألوف يخالف مدعاه.

مما تقدم يتضح لنا أنّ المعجزة تختص بالمعصومين –الأنبياء والأئمة–؛ لما طلب منهم قومهم من آيات على ما جاءوا به، من ذلك ما ورد عن الإمام علي (عليه السلام) حينما ورده كتاب من

---

(١) العين: ٢١٥/١.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ٧٣/١.

(٣) البيان في تفسير القرآن: ٣٤.

عامله على البصرة آنذاك، يخبره به عن انتصارهم، فسُرّ أمير المؤمنين بذلك، وسُر من كان معه من أصحابه، وبعد قراءته للكتاب، قال لأصحابه مُخْبِرا إيّاهم بأحوال البصرة، إذ قال: ((**إنها أول القرى خرابا ، إما غرقا وإما حرقا حتى يبقى مسجدها كجؤجؤ سفينة**))[1] الملاحظ في التوقيع أمور عدة، فلِمَ استعملَ الإمام علي (عليه السلام) مفردة (القرى) ولم يستعمل لفظة (مدينة)؟ وما هذا التخيير في القول بين الغرق أو الحرق، فهل هو ترجيح لأحدهما في الوقوع أم أنه إخبارٌ بحدوثهما مع التراخي الزمني بينهما؟ وما سبب تشبيه مسجدها بجؤجؤ السفينة؟

لقد وردت مفردة (القرى) ومشتاقاتها في القرآن الكريم تسعا وثلاثين مرة، كلها في الذم، على حين وردت مفردة (المدينة) في القرآن الكريم أربع عشرة مرة، كلها في المدح، مما يعني أن ثمة اختلافا في الاستعمالين، ولتبين هذا الاختلاف نذهب لقوله تعالى من سورة الكهف المباركة: ﴿**فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا**﴾ [الكهف/ ٧٧]، فالقرآن الكريم يحدثنا بقصة الخضر والنبي موسى (عليهما السلام)، من أنّهما ذهبا لأهل قرية، فطلبا منهم الطعام، فلم يضيفهم أحدا من القرية، في هذه الأثناء وجدا في القرية جدارا آيلا للسقوط، فعمل الخضر ما يُقَوِمُ به الجدار، ويحفظه من السقوط، وهنا اعترض النبي موسى (عليه السلام)، ولم يقبل هذا العمل من الخضر (عليه السلام)، وكان هذا الاعتراض هو الأخير للنبي موسى على الخضر؛ بحكم ما اشترطه النبي موسى (عليه السلام) على نفسه، من إنّه لن يسأل الخضر عن شيء أبدا.

استعمل القرآن الكريم في هذه القصة مفردة (القرية)، على حين استعمل في تبرير الأعمال التي قام بها الخضر (عليه السلام) مفردة (المدينة)، كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ**

([1]) الغارات: ٤١٢/٢.

فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۡۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾ [الكهف/ ٨٢].

إن الاستعمال الأول دل على إن أهل القرية جميعهم لم يستقبلوا الضيوف، وحينما دخلاها النبي موسى (عليه السلام) والعبد الصالح الخضر، أصبحت مدينة؛ لكون الداخل فيها مقرا لله بالربوبية.

وما أخبر به الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) حول مستقبل البصرة لم يكن تَخْيّرا لما سيقع عليها، بل إنّ الأمرين سيقعان عليها، بَيْدَ أنَّ الذي سيُشكل لها الخراب الذي يجعل مسجدها كجؤجؤ السفينة، لربما يكون الغرق أو الحرق، ومن أهم الحوادث التي وقعت على البصرة هي حادثة الزنج، وهم قوم قد اجتمعوا بفرات البصرة أواخر أيام مصعب بن الزبير، ولم تكن أعدادهم آنذاك كثيرة، بَيْدَ أنّهم أفسدوا في الأرض وتناولوا الثمار ودمروها، وحينما ولِيّ خالد بن عبد الله البصرة، عَزَمَ على قتلِهِم بعدما اشتكى الناسُ منهم، فلما أحسوا بالخطر تفرقوا وانهزموا، فما بَقيَ منهم غير شرذمة قليلين أخذهم خالد بن عبد الله وصلبهم [١].

بيد أنّ شوكتهم قد قويت في القرن الثالث الهجري، أبان ضعف الدولة العباسية، حينما توغل الأتراك فيها، فقد تجمع الزنوج في البصرة ثائرين على الدولة العباسية، وناقمين عليها، وقد استمرت هذه الثورة أربعة عشر عاما، وهي من أخطر الثورات على الدولة العباسية، وقد استنفذت الدولة العباسية جل ما تملك في سحق هذه الثورة والتخلص منها، إلا أنّ الزنوج قد قاوموا العباسيين في الوهلة الأولى، فاستطاعوا أنّ يصدوا الهجوم العباسي الأول مع ما سقط من آلاف القتلى منهم، مما جعل

([١]) ينظر: الكامل في التأريخ: ٣/٤٣١.

الجيش العباسي يعيد تنظيم صفوفه، وإعادة الكرة عليهم بإلحاح إلى أنّ تمكنوا من فتحها، فأُحْرِقتْ البصرة بهم [١]، وهذه أول حادثة ممّا أخبر به أمير المؤمنين (عليه السلام).

أما الحادثة الأخرى، وهي: غرق البصرة، وهذه الحادثة أيضا قد وقعت على البصرة، ففي العصر العباسي قد غرقت البصرة مرتين: ((مرة في أيام القادر بالله ومرة في أيام القائم بأمر الله ، غرقت بأجمعها ولم يبق منها إلا مسجدها الجامع بارزا بعضه كجؤجؤ الطائر ، حسب ما أخبر به أمير المؤمنين (عليه السلام) ، جاءها الماء من بحر فارس من جهة الموضع المعروف الآن بجزيرة الفرس ، ومن جهة الجبل المعروف بجبل السنام ، وخربت دورها ، وغرق كل ما في ضمنها ، وهلك كثير من أهلها . وأخبار هذين الغرقين معروفة عند أهل البصرة ، يتناقلها خلفهم عن سلفهم))[٢].

ما الارتباط بين مسجد البصرة وصدر السفينة؟ من المعلوم أنّ صدر السفينة، هو آخر قطعة تغرق من السفينة إذا ما تعرضت للغرق، أما إذا تحطمت السفينة، فمن الممكن أن يطفو صدرها فوق سطح الماء، فمن المحتمل أن يُعفى مسجد البصرة من الغرق المحتوم.

من ذلك أيضا ما ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام) حينما كتب له المأمون يَطْلِبُ منه الذهاب إلى الحمّام، فكان رد الإمام (عليه السلام): ((**لستُ بداخل الحمّام غدا**))[٣]، يشير النصّ إلى أن ثمة أمور تُحاك قدّ منعت الإمام الرضا (عليه السلام) من دخول الحمام.

إنّ أطراف المسألة هم ثلاثة: الإمام علي بن موسى الرضا (عليهما السلام)، وهو لي عهد المأمون، والمأمون العباسي الخلفية آنذاك، والفضل بن سهل الملقب بذي الرياستين وزيره، مما يعني أنّ رؤوس السلطة آنذاك قد دبت الخلافات بينهم.

---

(١) الشبكة المعلوماتية العالمية: www.ar.wikipedia.org.com، مقال حول البصرة وتأريخها.

(٢) شرح نهج البلاغة –ابن ميثم البحراني–: ٢٥٣/١.

(٣) روضة الواعظين: ٢٢٨. مكاتيب الائمة: ٦٣/٥–٦٤.

لقد أحس المأمون بخطر العلوين المحدق بخلافته باكرا، وما خطر العلوين إلا عن طريق قربهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وما تمثلوا به من طيب المكارم، والترفع عن الموبقات والسيئات [١].

أما المأمون العباسي، فهو شخصية تعاني من العقد النفسية، فولادته من الجارية الفارسية، قد جعلت منه موضع سخرية واستهزاء للآخرين، مما دفعه إلى الاتجاه لطلب ما فشل به الأمين من الأمور، كالتعليم والثقافة مثلا، ومعلوم ما يورثه العلم والمدارسة من صرامة وهيبة للشخص، فقد حظي المأمون بصرامة لم تكن للأمين فيها من نصيب، مما جعل الأمين منهزما امام فكر المأمون وحنكته، فتمخضت المعركة عن تَسلم زمام الأمور كلها من قبل المأمون لا غير.

والشخصية الثالثة في هذه المسألة هي: الفضل بن: ((سهل بن عَبْد اللَّهِ... من أهل بيت الرياسة فِي المجوس))[٢] وقد أسلم الفضل على يد المأمون سنة (١٩٠هـ) حينما دخلها فاتحا بأمر من هارون [٣]، وقد كان للفضل رأي في النجوم وعلومها [٤].

إذًا أنّ المأمون العباسي أمام خطرين كبيرين، ألا وهما: الإمام الرضا (عليه السلام)، والفضل بن سهل، أما الإمام (عليه السلام)، فالخلافة منقادة إليه من دون أن يجهد نفسه عليها، أو أنّ يحيك الخطط والمؤامرات؛ فقلوب الناس مستميلة لهم، مما يعني أنه قادر على تسلم الخلافة متى أراد.

أما خطر الفضل بن سهل، فهو كامن في خططه وتدابيره واطّلاعه على أسرار دولة المأمون، فضلا على قيام دولة المأمون وسيرها على أقدامها، كانت بفعل المحرك الرئيس لها، الفضل بن سهل،

---

(١) ينظر: الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام: ٢٧٧.

(٢) ينظر: تأريخ بغداد: ٢٨٤/٨.

(٣) ينظر: تأريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك وصلة الطبري: ٣٢٠/٨.

(٤) ينظر: المصدر السابق نفسه: ٤٠٤/٨

فما المتوقع عمله يا ترى من شخص قد قتل أخاه من أجل الخلافة؟ إلا أنّ يبطش بهما، وبكل من كان له علم بما جرى، إذًا أراد المأمون أن يقتل الإمام الرضا (عليه السلام) والفضل بن سهل في وقت واحد؛ للتخلص من خطرهما المحدق.

وإذا ما رجعنا القهقرى سنكتشف أنّ المأمون قد خطط لقتلهما بعدما أطْلَعه الإمام (عليه السلام) على أوضاع الدولة من الفوضى والانقسام، كما أخبره بمؤامرات الفضل وما يدبره من مكائد.

إنّ الإمام الرضا (عليه السلام) قد أكد للمأمون أنّه على علم بما يخطط له المأمون من قتلهما، بعدما ألحّ عليه بالمكاتبات إذ قال (عليه السلام): ((يا أمير المؤمنين لست بداخل غدا الحمام فإني رأيت رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذه الليلة في النوم – فقال لي يا علي لا تدخل الحمام غدا ولا أرى لك ولا للفضل أن تدخلا الحمام غدا – فكتب إليه المأمون صدقت يا سيدي وصدق رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) لست بداخل الحمام غدا والفضل أعلم))[١] مما يدل على أنّ المأمون لن يتراجع عمّا قرره من قتل الفضل، بيد أنّ قتل الإمام قد أُسقط من يده، ولو لحينٍ من زمن.

كما قد أطلع الإمام الرضا (عليه السلام) أصحابه على ما سيجري في هذه الليلة، إذ قال لأصحابه: ((قولوا نعوذ بالله من شر ما ينزل في هذه الليلة فلم نزل نقول ذلك فلما صلى الرضا (عليه السلام) الصبح قال لي – اصعد السطح فاستمع هل تسمع شيئا فلما صعدت سمعت الضجة والتحمت وكثرت)) [٢]، مما تقدم يتضح لنا أنّ تحركات الإمام الرضا (عليه السلام) كلها قد كانت وفق الأطر الغيبية، والتخطيط الإلهي.

---

(١) الوافي: ٣/٨٢١.

(٢) المصدر السابق نفسه: ٣/٨٢١.

(*) كل شعر أو صوف متلبد سمى به للصوق بعضه ببعض، موسوعة الإمام الجواد: هامش ١/ ٢٨٦.

ومن ضمن ما جاء عنهم (عليهم السلام) من الإخبار بالغيب، ما ورد عن الإمام محمد الجواد (عليه السلام): ((**أن صاحبكم الخراساني مذبوح مطروح في لبد* في مزبلة كذا وكذا ، فاذهبوا وداووه بكذا وكذا**))[١]، وقصة هذا الخراساني المذبوح أنّه: ((تمتع ببغداد في دار قوم فعلموا به فأخذوه وذبحوه، وأدرجوه في لبد وطرحوه في مزبلة))[٢]، وقد غاب عن أصحابه السبعة: ((من عند العصر ولم يرجع إلينا في تلك الليلة ، فلمّا كان من جوف الليل جاءنا توقيع من أبي جعفر (عليه السلام)))[٣]، وقد تقدم نصّه.

هنا يتجلى لنا اطّلاعُ الأئمة (عليهم السلام) من قِبَلِ الله (سبحانه وتعالى) على الغيب، ولو جزئيا، ولربّما أنّ الله (سبحانه وتعالى) قد جعل بعض علم الغيب عند أهل البيت لأسباب عدة، منها:

١- يُريد الله (سبحانه وتعالى) أنّ يبين للناس أنّ الحجة في الأرض هم هؤلاء الأئمة (عليهم السلام)، لا غير.
٢- حفاظا على بعض الشيعة، وتجنبيهم الخطر من خلال ما سيكشف لهم الإمام (عليهم السلام) المستقبل الذي سيصدمهم.
٣- إظهارا لبعض ما منعوه متقمصوا الإسلام من السنة النبوية، كما سيأتي في طيات هذا المبحث.
٤- تأكيدا لاستمرارية اتصال أشخاص معينين بالسماء وتعاليمها.

وإنّ إخبار الأئمة (عليهم السلام) بالغيب لم يقتصر على وقت معين، او ينتهي إلى زمان معين، فعلمهم واحد بالأولين والآخرين، من ذلك ما ورد عن الإمام الهادي (عليه السلام) في جوابه للمتوكل

---

(١) بحار الأنوار الجامعة لأخبار الأئمة الأطهار: ٦٤/٥٠، مكاتيب الأئمة: ٣٢٦/٥.
(٢) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ٨٤٠/٢.
(٣) منتهى المقال في أحوال الرجال: ٢٢٢/١.

حينما سأله عن الريح الباردة التي مات من كان بقربها عند حفر البئر، إذ قال: ((**تلك بلاد الأحقاف وهم قوم عاد الذين أهلكهم الله بالريح الصرصر**))[١]، لم يكن المتوكل العباسي أول من أراد حفر هذه البئر، فقد سبقه إلى ذلك: ((المنصور الدوانيقي ، ثم المهدي ، فوصلوا إلى غرايب [كذا] من الريح وغيره فراجعوا إلى الكاظم (عليه السلام)، فقال : هؤلاء بقية قوم عاد)) [٢] يتضح لنا أنّ ثمة أسرار في البئر، أو أنَ الخلفاء العباسيين أرادوا أن يثبتوا أمورا، ويبثون أخرى من خلال حفرهم البئر، وما دلّنا على هذا، هو إصرار الخلفاء على حفر هذه البئر بالخصوص دون غيرها، فضلا على إبرام الأمر من قبل الأخير –أي المعتصم– على حفر البئر أبدا، مما يعني أنّ هناك أمورا لربّما أرادوا التأكد من حقيقتها، أو أمورا حاولوا تعقبها لأسباب نجهلها.

لقد كان في نهاية البئر من الخوف والعذاب ما جعل منه مميتا لمن كان بقربه، وهذا ما نجده في ما نقله المؤرخون عن هذه الحادثة إذ ورد: ((أمر المعتصم ان يحفر بالبطائية... بئرا فحفروا ثلاثمائة قامة فلم يظهر الماء فتركه ولم يحفره فلما ولى [كذا] المتوكل أمر أن يحفر ذلك البئر أبدا حتى يبلغ الماء ، فحفروا حتى وضعوا في كل مائة قامة بكرة حتى انتهوا إلى صخرة فضربوها بالمعول فانكسرت فخرج منها ريح باردة فمات من كان بقربها . فأخبروا المتوكل بذلك فلم يعلم بذلك ما ذاك ، فقالوا : سل ابن الرضا عن ذلك وهو أبو الحسن علي بن محمد (عليهما السلام) فكتب إليه يسأل عن ذلك ؟))[٣]، فأجابه (صلوات الله وسلامه عليه) بالتوقيع المتقدم نصّه.

وللأئمة المعصومين (عليهم السلام) كرامة عند الله لا يبلغها أحدٌ من مخلوقاته، تمثلت بحفظ الله (سبحانه وتعالى) لهم؛ لإنجائهم من مكائد الشيطان واتباعه، وهذا ما نجده في التوقيع الخارج عن

---

(١) تفسير القمي: ٢٩٨/٢، مكاتيب الأئمة: ٦٣/٦.

(٢) مستدرك سفينة البحار: ٢٧١/١.

(٣) تفسير القمي: ٢٩٨/٢

الإمام العسكري (عليه السلام)، ما نصّه: ((**زعموا أنهم يريدون قتلي ليقطعوا نسلي وقد كذب الله قولهم والحمد لله**))[١] ، وهذا شبيه بما حكاه الله (سبحانه وتعالى) في محكم كتابه العزيز، كما في قوله تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ** ﴾ [التوبة/ ٣٢].

قد ذُكِر في صدر التوقيع أنّ بني العباس يريدون قتله (عليه السلام)؛ لقطع نسله الشريف المبارك، على حين ورد في نهاية التوقيع، قد كذّب اللهُ قولهم، فالملاحظ أنّ في صدر التوقيع عبَّر (عليه السلام) بالفعل المضارع، على حين عبَّر في نهاية التوقيع عن عملهم بالقول، فما السر في ذلك؟

إنَ القول في الاستعمال القرآني له معنى خاص، إذ إنّه لا يقتصر في معناه على المعنى النحوي الضيق كما عُرّف في قطر الندى، بأنّه: ((اللَّفْظ الدال على معنى كَرجل))[٢]، وإنّما يشمل كل ما يُوصِلُ المعنى إلى الآخرين، بدليل قوله تعالى: ﴿ **فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا** ﴾[مريم/ ٢٦] فكان جواب السيدة مريم عليها السلام: ﴿ **فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا** ﴾[مريم/ ٢٨-٢٩]، فدّل على أنّ المقصود من القول كل ما أوصل المعنى إلى المخاطب، وإنّ كانت إشارة، ومن ثمَّ يكون معنى قول الإمام (عليه السلام) (كذب قولهم) أي أبطل مبتغاهم وغاياتهم.

---

(١) بحار الأنوار الجامعة لأخبار الأئمة الأطهار: ٥١/١٦٠-١٦١، مكاتيب الأئمة: ٦/٢٧١.

(٢) شرح قطر الندى وبل الصدى: ١١.

المبحث الثالث: غرائب القضايا:

سيحاول الباحث في هذا المبحث تناول أهم القضايا التي توشحت بشيء من الغرابة عندما بثَّ الأئمة (عليه السلام) فيها حكمهم في ذلك الوقت، فهم (عليهم السلام) أعلى مرتبة في ما اكتنزوه من علم من الله (سبحانه وتعالى)، وهم أجل وأكرم على الله من أي أحد، فلا غرابة إذا ما وجدنا في سيرتهم ما يُحير العقول، ولا تحتمله الألباب، ولا نستطيع أن نجد له تفسيرا إلا ما قد يذكره الإمام في وقته، من ذلك ما ورد عن الإمام علي (عليه السلام) في جوابه لعمر بن العاص حينما أرسل عمر إلى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أشياءً يعيبه بها، فكان جوابه (عليه السلام): **((قُلْ للشانيء ابن الشانيء : لو لم يكونا ولديه لكان أبتر ، كما زعم أبوك))** [١]، إنّ ما يستفاد من هذا التوقيع أمران:

الأول: ما الداعي لإعادة طرح مؤامرة نَعْتِ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالأبتر، بعدما أنزل الله (سبحانه وتعالى) سورة الكوثر التي ألقمت أفواه المنافقين التراب؟، مما يعني أنّ المنافقين لا زالوا يضربون على وتر التفرقة بين الحسنين (عليهم السلام) وبين جدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ لسلب الشرعية عنهم، ولو بأعْيُنِ سُذْجِ الناس؛ لتقويم أركان دولتهم، وصرف قلوب الرعية لها، فنصّ سورة الكوثر المباركة واضح وصريح، بأنّ من نعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) بذلك، فاسمه شانيء، وهو الابتر لا رسول الله (صلى الله عليه وآله).

والشانيء في اللغة: ((مبغض))[٢]، فـ:((شنَأ فلانًا: كرِهه وأبغضه وتجنَّبه))[٣] فالعاص وابنه عمرو من مبغضي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومن مبغضي ذريته أيضا، فقد أطبق المسلمون

---

(١) الحياة السياسية للإمام الحسن: ٤٠.

(٢) تكملة معاجم العربية: ٣٥٩/٦.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة: ١٢٣٨/٢.

من مُآلفٍ ومخالف على أنّ سورة الكوثر المباركة قد نزلت: ((في العاص بن وائل السهمي [١]))[٢]، وها نحن ذا نجد ابنه عمرو بن العاص يكرر ما قاله أبوه، في حق رسول الله (صلى الله عليه وآله)، بعدما نزلت في أبيه السورة المباركة؛ بَيْدَ أنّ الإمام علي (عليه السلام) الذي هو عِدْلُ القرآن الكريم قد جعل من عمر بن العاص مصداقا آخرا للآية الكريمة بقوله: (الشانيء بن الشانيء)؛ ليعطي تذكرة للناس، إنّ ما يمكره هؤلاء القوم ليس وليد الساعة، وإنّما مخطط قديم قد فضحه القرآن الكريم على رؤوس الأشهاد مسبقا، فلا تنطلي عليكم المكيدة مرة أخرى، فالإمام علي (عليه السلام) قد بيّن كذبهم عن طريق قوله (عليه السلام): (كما زعم أبوك) ، فالزعم باطل ما لم يستند إلى دليل وبينة.

الآخر: كيف يُنسب الحسنان (عليهما السلام) إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن طريق ابنته؟ فالغريب في هذه القضية أنّ الحسنين (عليهما السلام) قد لُحقا برسول الله (صلى الله عليه وآله) عن طريق أمهم الزهراء عليها السلام، والمتعارف أن يُلحق الشخص بجده عن طريق الأب، لا عن طريق الأم، وهي ذريعة قد تمسك بها المضلون قديما؛ ليطعنوا بالإمام علي (عليه السلام) وأبنائه، إلاّ أنّ لله الحجة البالغة على خلقه جميعا، فانبرى أفضل خلقه للرد على مثل هذه الشبهات، من ذلك ما ورد عن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) في محاورته مع هارون الرشيد حول انتسابهم لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، إذ قال هارون: ((جوزتم للعامة والخاصة أن ينسبوكم إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ويقولوا لكم : يا بني رسول الله ، وأنتم بنو علي ، وإنما ينسب المرء إلى أبيه ، وفاطمة إنما هي وعاء ، والنبي جدكم من قبل أمكم . فقلت : يا أمير المؤمنين لو أن النبي نشر فخطب إليك

---

(١) العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب السهمي المكي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين: ٣٩٤/٤.

(٢) زبدة التفاسير: ٥٣٣/٧، وينظر: التفسير الصافي: ٣٨٣/٥،وينظر: تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ٤٦٥/١٤،وينظر: تفسير مجاهد: ٧٥٧،وينظر: تفسير عبد الرزاق: ٤٦٧/٣،وينظر: تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل القرآن):٦٩٧/٢٤.

كريمتك ، هل كنت تجيبه ؟ قال : سبحان الله ! ولم لا أجبه ، بل أفتخر على العرب والعجم وقريش بذلك ؟ فقلت له : لكنه لا يخطب إلي ولا أزوجه . فقال : ولم ؟ فقلت : لأنه ولدني ولم يلدك... كيف قلتم أنا ذرية النبي والنبي لم يعقب ، وإنما العقب الذكر لا الأنثى ، وأنتم ولد الابنة ولا يكون ولدها عقبا له ...فقلت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾[1] مَنْ أبو عيسى يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ليس لعيسى أب. فقلت : إنما ألحقناه بذراري الأنبياء (عليهم السلام) من طريق مريم عليها السلام وكذلك أُلحقنا بذراري النبي (صلى الله عليه وآله) من قبل آمنا فاطمة))[2]، فأُسقط ما بيد الأعداء من شبه وتضليلات.

ومن ذلك ما ورد عن الإمام الهادي (عليه السلام) في جوابه لمن سأله عن السجود على الزجاج، فكان جوابه (عليه السلام): ((**لا تسجد، وإن حدثتك نفسك أنه مما أنبتت الأرض فإنه من الرمل والملح، والملح سبخ، والرمل سبخ، والسبخ بلد ممسوخ**))[3]، الملاحظ في التوقيع أنّ الإمام الهادي (عليه السلام) قد نهى عن السجود على الزجاج؛ لكون الملح والرمل، داخل في تكوين الزجاج، وكما نصّ الإمام (عليه السلام) في التوقيع أنّ الرمل سبخ، والملح سبخ، والسبخ بلد ممسوخ، ولعل المقصود بالبلد الممسوخ، هو البلد الذي مُسخ أهله لا هو؛ لورود هذا النوع من المسخ كثيرا في القرآن الكريم.

---

(١) الأنعام: ٤٨-٨٥.

(٢) ينظر: الاحتجاج: ١٦٤/٢، وينظر: قادتنا كيف نعرفهم؟: ١٦٦/٤، وينظر: الإمام الكاظم سيد بغداد، وحاميها، وشفيعها: ١٩٨.

(٣) دلائل الإمامة: ٤١٤، مكاتيب الأئمة: ٦٥/٥.

السبخ في اللغة: ((أرض سَبِخَةٌ: أي: ذات ملح ونزٍ))[١]، أما المسخ في اللغة: ((تحويل خلقٍ عن صورته، وكذلك المشوه الخلقِ. والمَسِيخُ من الناس: الذي لا ملاحة له، ومن الطعام: الذي لا ملح فيه. ومن الفواكه: الذي لا طعم له))[٢]، فمما تقدم يتضح لنا أنّ المعنى اللغوي للمسخ يشمل ما يخالف قوانين الطبيعة جميعها، أو القواعد الصحيحة، سواءً في البشر، أم في الطعام، أو الفواكه، ومن ثمَّ يكون المقصود من البلد الممسوخ هو المتحول والمخالف للطبيعة وقوانينها، فلعل اعتبار الملح من الممسوخات، هو كونه طاغ على قوانين الطبيعة الرملية، والله العالم.

وإنما حُرم السجود على الزجاج، لا لكون الملح سبخ والرمل سبخ، وإنّما: ((أنّ الرمل والملح في حال صيرورتهما زجاجا غير باقيين على حقيقتهما ، وليس المراد أنّهما ممسوخان حتى في حال كونهما رملا وملحا حتّى يناقش بأنّ الملح وإن لم يكن باقيا على وصف الأرضية وقد تبدّل عنه إلى صورة الملحية ، إلَّا أنّ الرمل لا يكون ممسوخا أصلا))[٣]، وقد حصر بعضهم الرمل السبخ والملح السبخ بالذي يُصنع منه الزجاج لا غير، كما ورد في علل الشرائع ما نصّه: ((ليس كل رمل ممسوخا ولا كل ملح ولكن الرمل والملح الذي يتخذ منه الزجاج ممسوخان))[٤]، ومن ثمَّ يكون المستفاد من التوقيع أمران:

١- إنّ المقصود بالبلد الممسوخ هو الخارج عن القوانين الطبيعية، أو حدثت لمادته استحالة عن الأصلية.

٢- ليس كل رمل وملح هما من البلد الممسوخ، وإنّما الرمل والملح الذي يُصنع منه الزجاج فقط.

---

(١) العين: ٤/٢٠٤.

(٢) المصدر السابق نفسه: ٤/٢٠٦.

(٣) نهاية التقرير في مبحث الصلاة: ١/٤٦٧.

(٤) علل الشرائع: ٢/٣٤٢.

وممَّا ورد عنهم (عليهم السلام) من غريب أقوالهم، هو ما جاء عن الإمام الهادي (عليه السلام) أيضا في معرض جوابه ليحيى بن زكريا [١] حينما سأله أنّ يدعوا له الله؛ ليجعل ما في بطن زوجته ولدا ذكرا، فكان جواب الإمام (عليه السلام): **((رُبَّ ابنة خير من ابن))**[٢]، فولدت زوجته أنثى، والغريب في هذا التوقيع أنّه قد عدَّ الأنثى خير من الذكر، وغالبا ما كان المعول عليه هو الذكر لا الأنثى؛ فهو الذي يحمل اسم والده، وهو الذي يدافع عنهم، وهو الذي يتحمل مسؤولياتهم، فلِمَ قال الإمام الهادي (عليه السلام) الأبنة خير من الابن، بل وطلب له من الله (تعالى) أنّ يجعلها أنثى؟!.

قد عبّر الإمام الهادي (عليه السلام) في صدر توقيعه بـ(رُبَّ)، وكما هو معلوم عند أهل العربية من أنّ الحرف (رُبَّ) يفيد التقليل [٣] ، مما يعني أنّ كون الأنثى خير من الذكر من الحالات النادرة، فلم يضرب الله (عز وجل) مثلا بالنساء في الأفضلية إلاّ في قوله تعالى: ﴿**وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾ [سورة التحريم/١١] ، فكانت امرأت فرعون مثالا صالحا للمؤمنين من نساء ورجال، بما آمنت بالله (عز وجل) مع ما كانت تعايشه من أعمال الكفر التي كان فرعون يظلم الناس بها.

هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإنّ هذا التوقيع شبيه بما حكاه الله (سبحانه وتعالى) في نسخة شفائه عن قصة الغلام الذي قتله الخضر (عليه السلام)، إذ جاء في الآية المباركة: ﴿ **وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا** ﴾ [الكهف/ ٨١]، فكان ما أبدلهم الله

---

(١) يحيى بن زكريا بن شيبان أبو عبد الله، الكندي، العلاف، الشيخ، الثقة، الصدوق، لا يطعن عليه.، فهرست اسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي): ٤٤٢، وقد عدّه الطوسي من أصحاب العسكريين (عليهما السلام) ،الأبواب (رجال الطوسي): ٤٥٠.

(٢) الخرائج والجرائح: ٣٩٨/١-٣٩٩، مكاتيب الأئمة:٦٦/٦.

(٣) ينظر: حروف المعاني والصفات: ١٤.

(تعالى) به أنثى، كما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام)، إذ قال: ((في قول الله (عز وجل) : ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾[١] قال : أبدلهما الله (عز وجل) مكان الابن ابنة فولد منها سبعون نبيا "))[٢]، ولعل ما أُبدل به يحيى بن زكريا من مولود أنثى، شبيه بما أُبدلا به الأبوان المؤمنان، ولا مجال لبحثه هنا؛ لكون هذا الأمر مندرج في معاجزهم (عليهم السلام).

ومن غريب ما ورد عنهم (عليهم السلام)، ما جاء عن الإمام الهادي (عليه السلام) في جوابه لمن سأله عن العدد الذي يجزي عنه الجاموس في الأضحية، فقال (عليه السلام): ((**إن كان ذكرا فعن واحد وإن كان أنثى فعن سبعة**))[٣]، وفي الحقيقة أنّ المصادر لم تتعرض لذكر الفرق بين ذكر الجاموس وأنثاه، إلاّ أنّ التقارير العلمية قد أكّدت أنّ حجم أنثى الجاموس البالغ وزنها: (٧٥٠-٨٢٠كغ) يفوق حجم الذكر البالغ وزنه: (٦٨٠-٧٥٠كغ) [٤]، فضلا على الفائدة المرجوة من حليب الجاموس مع ما له من فوائد في شربه وغيرها؛ فلعل من هذا الباب قد فُضّلت أنثى الجاموس على الذكر، إلا أنّ المتيقن أنّ هناك أسباب أخرى، هي أنجع ممّا ذكرناه من أسباب، جعلت من أنثى الجاموس أفضل من الجاموس الذكر، والله العالم.

وعنه (عليه السلام) في جوابه لمن سأله عن انتساب ابن جارية له به، وهو مرتاب منها، وشاك في أنّها قد زنت، لمّا رأى أنّ رجلا كان يكلمها في دارها، فضلا على إقرارها بأنها قد زنت، فكان جوابه (عليه السلام): ((**إن كان الولد لك أو فيه مشابهة منك فلا تبعها فان ذلك لا يحل لك وان كان الولد**

---

(١) الكهف: ٨٠-٨١.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٤٩١/٣.

(٣) براهين الحج للفقهاء والحجج: ٢٩٧/٣، مكاتيب الأئمة: ١٢٧/٦.

(٤) الشبكة المعلوماتية العالمية: www.ar.wikipedia.org.com، مقال حول الجاموس وصفاته.

ليس منك ولا فيه مشابهة فيك فبعه وبع أمه)) [١]، فالملاحظ في الشطر الأول من التوقيع أنّ الإمام (عليه السلام) قد اعتمد في انتساب الولد لأبيه على أمرين، الأول: إنْ كان الولد له، والآخر: إنْ كانت في الولد مشابهة في أبيه، وفي الحقيقة إنّ الأمرين اللذين اعتمدهما الإمام (عليه السلام) هما محط استفهام ونقاش؛ فالأول، إن كان الشخص السائل عالم بأنّ الولد له، لِمَ يسأل حينها إذًا؟ مما يعني أنّ في عصر الإمام الهادي (عليه السلام) آليات تُمكن الشخص من التأكد بأنّ الولد له، وإلاّ ما كان للإمام ألّا يجيبه، من هذا الآليات هو ما اشتُهر في عصر الإمام الرضا (عليه السلام) من أنّ النسابين كانوا يؤكدون انتساب الولد لأبيه عن طريق فحص قدم الولد المراد إثبات انتسابه لشخص معين، فلم تَعُد مسألة إثبات النسب أمرا غير ممكن، كما كان في العصور الإسلامية الأولى، فأصبح بإمكان الإنسان أن يتحقق بنفسه إذا ما شك في نسبة أحد الأولاد له.

أما الأمر الآخر الذي اعتمده الإمام الهادي (عليه السلام)، وهو المشابهة، فقد ورد في سيرة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) أنّه نهى عن قذف المرأة بالزنا، لمجرد عدم تشابه الولد بالأب؛ لضرب تسع وتسعين عرقا في الولد حين خلقه، كما في الحديث الشريف: ((عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي (عليه السلام)، قال: أقبل رجل من الأنصار إلى رسول الله، فقال: يا رسول الله هذه بنت عمي وأنا فلان ابن فلان... حتى عد عشرة آباء وهي بنت فلان... حتى عد عشرة آباء. ليس في حسبي ولا حسبها حبشي، وإنها وضعت هذا الحبشي، فأطرق رسول الله طويلا ثم رفع رأسه، فقال: إن لك تسعة وتسعين عرقا ولها تسعة وتسعين عرقا، فإذا اشتملت اضطربت العروق وسأل الله (عز وجل) كل عرق منها أن يذهب الشبه إليه، قم فإنّه ولدك ولم يأتك إلا من عرق منك أو عرق منها، قال: فقام الرجل وأخذ بيد امرأته وازداد بها وبولدها عجبا))[٢] ، فيمكن أن يحمل الحديث على معنيين:

---

(١) مقابس الأنوار ونفائس الأسرار في أحكام النبي المختار وآله الاطهار: ١٦٢، مكاتيب الأئمة: ١٥٩.

(٢) مستدرك الوسائل: ٦٣١/٢.

١- إنَّ الإمام الهادي (عليه السلام) قد اعتمد على المشابهة في تثبيت النسب لا لحد ذاتها فقط، وإنما مع الاعتماد على الوسائل والآليات المحددة لانتساب الولد للأب، فينتج عن هذين الأمرين يقين بانتسابه له.

٢- لربما أنَّ عمل الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) قد استند على المعجزة، والإخبار الإلهي؛ لأنّ الصفات الشكلية لا بد وأنّ يطرأ شيئا منها على الولد، سواء أكان عن طريق الأعمام، أم عن طريق الأخوال، فيكون عمل الإمام الهادي (عليه السلام) مطابق للقوانين الطبيعية المشهورة في العرف الاجتماعي، على حين عَمَلَ الرسول الأعظم وفق المنظور السماوي.

فبعد اجتماع الأمرين معا –الانتساب والمشابهة– يحرم على السائل بيع الولد وأمه، فإنّه: ((متى أمكن انتساب الولد إلى الزوج يحكم به له ، ولا يجوز له نفيه ، سواء تحقق فجور أمه أم لا " وسواء ظن انتفاءه عنه أم لا " عملا بظاهر الشرع ، وصونا للأعراض عما يشينها، وعملا بقوله (صلى الله عليه وآله) : " الولد للفراش " ولا يستثنى من ذلك إلا مع وطئ الشبهة))[1]، والمقصود بالفراش، هو: عنوان يطلق على الزوجية الشرعية بين المتناكحين ، وهو الأصل في انتساب الولد ، فإذا وقع الشك في انتساب الولد لاحتمال الزنا أو لاحتمال بقاء النطفة من الزوج السابق ينسب الولد إلى الشخص الذي يولد في فراشه ، ويثبت النسب للولد المشكوك النسب بواسطة أمارية الفراش، مع تفصيلات تكفلت في توضيحها كتب الفقه .

إلاّ أنّ الغريب في التوقيع هو الشطر الآخر منه، فقد أمر الأمام (عليه السلام) ببيع الولد والأم، إذا لم يتحقق انتسابه إليه، ولا يوجد فيه مشابهة له، ولم يأمر بإقامة الحد عليها، ولعل هذا داخل في تعامل الإسلام اللين مع العبيد والإماء؛ كونهم مسلوبي الاختيار والحرية، فما نجده في تعاليم الإسلام الحنيف، إنّ العبد والجارية الزانيان، ومتيقنٌ من إنّهما زانيان؛ لكونه متحقق أمام نظر الشهود،

([1]) مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام: شرح ٣٨١/٨.

فقد أمر الإسلام جلدهما خمسين جلدة، وإن كانا محصنين، ولم يأمر بقتلهما إلاّ بعد إعادة الفاحشة ثماني مرات [١]

(١) ينظر: الفقه المنسوب للإمام الرضا (عليه السلام): ٢٧٨.

المبحث الرابع: الغلو:

الغلو لغةً: ((جمع غالٍ وهو المُتَعَصِّبُ الخارج عن الحدِّ في الغُلُوِّ من المبتدعة ، وهذه الطائفةُ من غُلاةِ الشِّيعة ، وهم يتفرَّقون على ثماني عشرَةَ فرقَةً)) [١]، والغلاة ليسوا من الشيعة ؛ حسب ما ورد عن المعصومين (عليهم السلام) وهذا الامر يؤكده استخفاف الائمة بهم، وعدم الاحتفال بهم، وقتلهم أيضا، فضلا من هذا ما أُلف من كتب في الرد على الغلاة، وهي كتب أُلّفت من لدن علماء المذهب الشيعي؛ للحد من خطورة هذا الفتنة، ووئد غائلتها باكرا.

الغلاة هم الذين غالوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقة وزجوا بهم في ساحة الإلوهية، فمنهم من شبّه الإمام بالإله، وآخرون شبّهوا الإله بهم، وأفكارهم إنّما هي تمخضات لملل ومذاهب وقد تكون أديانا لمن سبقهم، مثل الحلولية [٢] والتناسخية [٣] واليهود والنصارى، ومعلوم ما

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس:١٧٢/١.

(٢) وهم قوم زاغت قلوبهم واستهوتهم الشياطين فمرقوا من الدين. وقالوا: إن الله (سبحانه وتعالى) ذاته لا يخلو منه مكان. فقالوا: إنه في الأرض كما هو في السماء، وهو بذاته حَالٌّ في جميع الأشياء، وقد أكذبهم القرآن والسنة وأقاويل الصحابة والتابعين من علماء المسلمين. فقيل للحلولية: لِمَ أنكرتم أن يكون الله (تعالى) على العرش؟ وقال الله (تعالى): ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وقال: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴾ [الفرقان: ٥٩] فهذا خبر الله (عز وجل) أخبر به عن نفسه وأنه على العرش.

فقالوا: لا نقول إنه على العرش لأنه أعظم من العرش، ولأنه إذا كان على العرش فإنه يخلو منه أماكن كثيرة، فنكون قد شبهناه بخلقه، إذا كان أحدهم في منزله فإنما يكون في الموضع الذي هو فيه، ويخلو منه سائر داره، ولكنا نقول: إنه تحت الأرض السابعة كما هو فوق السماء السابعة، وأنه في كل مكان لا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، الرد على الجهمية والزنادقة: ١٥٠.

(٣) هم قوم وافقوا الفلاسفة فِي القَوْل بِوُجُوب بَقَاء الْأَنْفس بعد مُفَارقَة الْأَبدَان لكِنهمْ زَعَمُوا أَنه لَا قوام لَهَا بعد مُفَارقَة بدنهَا إِلَّا ببدن آخر كَمَا أَنه لَا وجود لَهَا قبل الْبدن فالأبدان تتناسخها أبدا سرمدا وعَلى حسب عَملهَا يكون مَا تنْتَقل إِلَيْهِ فَإِنَّهَا إِن عملت على مُقْتَضى جَوْهَر النَّفس الناطقة انْتَقَلت إِلَى بدن نبى أَو ولى وَإِن عملت على مُقْتَضى جَوْهَر النَّفس الحيوانية انْتَقَلت إِلَى بدن حَيَوَان آخر من فرس أَو حمَار أَو غَيره وَهَكَذَا لَا تزَال فِي

نسبته الديانتان من تشبيه وتمثل للخالق بأجساد المخلوقين، أما بدع الغلاة فمحصورة في: التشبيه، البداء، الرجعة [١]، التناسخ. ويرى بعضهم أنّ الغلاة بفرقها، من الشيعة ثم تسربت أفكارهم إلى السنة، وتخلصت الأخيرة منها عن طريق المذهب الاعتزالي [٢] [٣]

أما ألقابهم فقد تعددت وكثرت حسب مواطن ظهورها ، فأهل أصبهان يطلقون عليهم: ((الخرمية، والكوذية، وبالري: المزدكية والسنباذية، وبأذربيجان الدقولية. وبموضع المحمرة، وبما وراء النهر: المبيضة.)) [٤]

وأما أسباب توجه بعضهم لاتّباع هذا المنهج ، فيعود إلى الجهل والسذاجة، وبعضها يكون بتخطيط دقيق يتيح لهم التمظهر بأشكال القادة أو الأولياء، بعدما أيقنوا أنّه لا يمكن لأي أحد أن يزيل الأئمة (عليهم السلام) عن مقاماتهم، فانخرطوا في سرب الموالين ظاهرا، فما فتأوا عن تمجيد الأئمة

الإِنْتِقَال والارتفاع والانخفاض وَلَيْسَ ثمَّ حشر وَلَا معاد وَلَا جنَّة وَلَا نَار وَلَا غير ذَلِك مِمَّا ورد بِهِ الرَّسُول ،غاية المرام في علم الكلام: ٢٩٢.

(١) إنّ الرجعة والبداء من المواضيع الحساسة والدقيقة للغاية، إذ لا يمكن التناوش بهما من مكان بعيد، فهما من المعتقدات الراسخة لدى الشيعة الإمامية، فقد أُلف الكثير من الكتب التي ترفل بفناء الرجعة والبداء، فلا يمكن التعاطي معها على أنها نظرية علمية قد حظيت بآراء قوم واشمئزاز آخرين، بل لا بد من اتخاذها أسلوب عيش في رحاب المعصوم؛ لأن منكرها يكون كمنكر المعاد.

(٢) ينظر: الملل والنحل: ١/١٧٣

(٣) إنّ المذهب الاعتزلي هو الآخر قد ولد من رحم المذهب اليهودي، الذين يظنون انهم شعب الله (جل وعلا) المختار، وهم الذين يكفون الله (عز وجل) خلقه، وقد أشارت لهم الآية الكريمة صراحة بقوله (تعالى): ﴿**وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ**﴾ [المائدة/ ٦٤]، ويكفينا من ذكر المعتزلة ما قال عنهم الإمام الصادق (عليهم السلام): ((لعن الله المعتزلة أرادت أن توحد فألحدت ، ورامت أن ترفع التشبيه فأثبتت)) ،رسائل ومقالات تبحث في مواضيع فلسفية وكلامية وفقهية وفيها الدعوة إلى التقريب بين المذاهب: ٣٦٣.

(٤) الملل والنحل: ١/١٧٤.

(عليهم السلام) تمجيدا يخرجهم من دائرة المخلوقين ويزجهم في دائرة الخالق، ومن ثمَّ فإنّ منصب المخلوق القائد أو الولي سيتسنمه هؤلاء ببساطة حسب ما يرون، بيد أنَّ المعصومين (عليهم السلام) قد وقفوا من هذه الظاهرة موقفا أرسى من الجبال مبددين بذلك أحلام الطامعين، وقاطعين الطريق على المشككين.

سنذكر في هذا المبحث جملة من توقيعات المعصومين (عليهم السلام) تكافح ظاهرة الغلو التي لم تكن وليدة الساعة، وإنما كانت لها جذور عميقة يعود بعضها لما قبل الإسلام، وقد ذكر التأريخ ما فعله أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (عليه السلام) بالذين سجدوا له من استئصالهم وحرقهم بالنار [١] ، إلا أنّ ثمة إجراءات استئصالية ستطالعنا في هذا العصر من أحاديث المعصومين (عليهم السلام) تحاربهم كنظرية؛ لهد أركانها من الباطن؛ لأن المعصومين (عليهم السلام) لا يرتضون الإفراط أو التفريط، فلا يُدفعون عن مناصبهم ومراتبهم التي اصطفاهم الله (سبحانه) بها ويُسلم الأمر لغيرهم، ولا يتعالى مقامهم (عليهم السلام) ليطال مقام الخالق (جل وعلا)، ولعل الأخير أشد خطورة من الأول؛ لما سيطالعنا من توقيعات المعصومين (عليهم السلام) من استئصال هذه الطائفة وعدم تنبيههم إلا بحد السيف على حد قول الإمام العسكري (عليه السلام) كما سيأتينا خلال البحث.

مما تقدم يتضح لنا أنّ الغلاة كانوا على طوائف عدة كما يذكر لنا التأريخ، فمن الطوائف من أولى المسائل الفقهية اهتمامه، فأحدثوا مسائل فقهية لا وجود لها في الدين الإسلامي، كحذفهم بعض الإقامة، وحصرها والأذان بالفرائض اليومية [٢] وهذا ما نجده في توقيع الإمام علي الهادي (عليه السلام) عندما سأله أحد الموالين عن جملة أمور: ((جعلت فداك إن عندنا قوما يختلفون في معرفة فضلكم بأقاويل مختلفة تشمئز منها القلوب وتضيق لها الصدور ويروون في ذلك الأحاديث لا يجوز لنا

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (لابن حجر): ٢٧٠/١٢، نقد الرجال –التفرشي–: ١٠٩/٣.

(٢) فقه الإمام جعفر الصادق: ١٧٥/١.

الاقرار بها لما فيها من القول العظيم ولا يجوز ردها ولا الجحود لها إذ نسبت إلى آبائك ، فنحن وقوف عليها من ذلك لأنهم يقولون ويتأولون معنى قوله (عز وجل) : " إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر " وقوله (عز وجل) : " أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة "أن الصلاة معناها رجل لا ركوع ولا سجود ، وكذلك الزكاة معناها ذلك الرجل لا عدد دراهم ولا إخراج مال ، وأشياء تشبهها من الفرائض والسنن والمعاصي تأولوها وصيروها على هذا الحد الذي ذكرت . فإن رأيت أن تمن على مواليك بما فيه سلامتهم ونجاتهم من الأقاويل التي تصيرهم إلى العطب والهلاك ، والذين ادعوا هذه الأشياء ادعوا أنهم أولياء ودعوا إلى طاعتهم منهم علي بن حسكة والقاسم اليقطيني ، فما تقول في القبول منهم جميعا ؟ فكتب إليه : **ليس هذا ديننا فاعتزله.**

قال نصر بن الصباح : علي بن حسكة الجواز كان أستاذ القاسم الشعراني اليقطيني من الغلاة الكبار ملعون)) [1] فما نجده في كلام الإمام (عليه السلام) تصريحا بأنّ ما افتعله ضعاف النفوس من مسائل فقهية مخالفة لتعاليم السماء، لا تمثل الدين الإسلامي الحنيف، وتعبيره (عليه السلام) عن الدين بـ(ديننا) يشير إلى ارتباط الدين بهم ارتباطا وثيقا لا ينفك.

استعمل الإمام (عليه السلام) الجملة الأسمية في توقيعه، ومعلوم ما للجملة الأسمية من ثبوت واستقرار، هذا من جانب، أما من جانب آخر فإنّ الإمام (صلوات الله وسلامه عليه) قد استعمل الجملة الفعلية أيضا (اعتزله)، وكان بالإمكان أن يستعمل إحداهما ويتم المعنى، بيد أنّ الاستعمال الذي مزج بين الجملة الأسمية والجملة الفعلية –بحسب ما يرى الباحث– يشير إلى أنّ المراد منه هو الثبوت والاستقرار والاستمرارية عليها؛ بمعنى أن يعتزل الدين الذي زعمه الغلاة بكل جزئياته ويستمر على هذا الاعتزال.

([1]) بحار الأنوار الجامعة لأخبار الأئمة الأطهار: ٢٥/٣١٥-٣١٦، مكاتيب الأئمة: ٦/٢٢١-٢٢٢.

كما نجد أنّ المعصومين (عليهم السلام) قد أمروا أتباعهم بعدم الاهتمام بهم؛ وهي خطوة فعالة في إحباط معنويات العدو، وسلب الشرعية التي زعمها لخطه عنه، ولا بد من أنّ الأشخاص الذين كانوا يتردد عليهم الغلاة هم أقطاب الشيعة؛ فلربّما قد سعى الغلاة في استقطابهم عن طريق استمالتهم بالزيارات المتتالية؛ ليشكلوا جدارا شرعيا لهم يتحصنون به، أو لربّما هو ضحك على ذقون العامة في أنّ ما يقومون به هو مجاز ومشروع عند ثقاة الشيعة. وهذا ما نجده في قول الإمام (عليه السلام): ((قال الكشي: ... [١] ، قال: كتبت إليه –يعني أبا الحسن (عليه السلام)– أعلمته امر فارس بن حاتم. فكتب (عليه السلام): **لا تحفلن به، وإن اتاك فاستخف به**)) [٢] .

الاحتفال في اللغة جاء بمعان عدة منها الكثرة، والمبالاة [٣] والاجتماع [٤]، إلا ما يهمنا من معانيها هو: (المبالاة) فقد أمر الإمام (عليه السلام) إبراهيم اليعقوبي بعدم الاحتفال به؛ أي عدم المبالاة به، ولهذا الأمر تأثير بليغ على نفسية الشخص المهان، والمستفاد من هذا الإجراء أمور عدة، منها:

أولا: إشعار فارس بن حاتم [٥] بأنه لا خطر –قيمة– له على المجتمع.

([١]) لم يذكر الرّجاليون ترجمة له سوى ما ذكره السيد الأمين: ((عن الايضاح وغيره ضبطه بالمثناة التحتية في أوله ويحتمل كونه بالموحدة كما عن خط الشهيد الثاني نسبة إلى يعقوبا قصبة بينها وبين بغداد عشرة فراسخ ذكره الشيخ في رجال الجواد والهادي ع)) ، أعيان الشيعة: ١٣٧/٢، فالبعض عده مجهولا، المفيد من معجم رجال الحديث: ٨.

([٢]) مكاتيب الأئمة: ٢٢٨/٦، التحرير الطاووسي: ٤٧١.

([٣]) العين:٢٣٥/٣.

([٤]) غريب الحديث: ٢٤٢/٢، معجم مقاييس اللغة: ٨٢/٢.

([٥]) فارس بن حاتم القزويني نزيل العسكر ، فسد مذهبه وبرئ منه وقتله بعض أصحاب أبي محمد الحسن بالعسكر ، لا يلتفت إلى حديثه وله كتاب كلها [كذا] تخليط (كش)، رجال ابن داود: ٢٦٦.

ثانيا: إنّ ما يقوم به من ترويجه للأحكام الفقهية غير الموجودة على أرض الواقع، لا يرتضيه أحد من أصحاب الإمام فضلا على الإمام ذاته، وبذلك يتم سحب الشرعية التي تخيلوها لأنفسهم.

ثالثا: كشف نواياهم الخبيثة التي أرادوا من خلالها أن يتسلطوا على رقاب الناس، فإنّ فارس وأتباعه من الغلاة الذين زعموا انتمائهم إلى المعصومين وحبّهم لهم، قد كشف الإمام زيغ هذا الحب برفضه الاهتمام بهم، وأمره بالاستخفاف بهم، وبهذا أما أنهم مرائين في حبّهم للإمام (عليه السلام)، وأما أنّهم مغالين فيه.

الباب الثاني: الدراسة الفنية.

الفصل الأول: الألفاظ.

- توطئة الباب.
- توطئة الفصل.
- الضمائر.
- الزمان.
- المكان.
- الألفاظ الغريبة

توطئة:

سيحاول الباحث في هذا الباب تتبع أهم السمات الفنية التي جادت بها قرائح الأئمة المعصومين عليهم السلام، لا سيما وأنّهم تلقفوا الفصاحة والبلاغة من أفواه السلسلة الذهبية، معصوم عن معصوم إلى أن يصلوا إلى سيد البلاغة، وإمام الفصاحة نبينا محمد صلى الله عليه وآله.

لقد زخرت توقيعاتهم عليهم السلام بمختلف صنوف البلاغة والفصاحة والبيان، فما نبالغ إذ قلنا أنّ توقيعاتهم عليهم السلام قد جمعت ضروب البلاغة جميعها، فالضمائر بأدق استعمالاتها، والزمان بأفضل توقيتاته، والمكان بأوضاح مناطقه، أما غرائب الألفاظ فبجميل مواقعها، ولحنها الأخاذ.

أما السجع فترنيماته متلاحقة، وأجراس الجناس متعالية، ومقاطع التكرار متوالية، ونصوص الاستعارة عالية، وتشبيهاتهم هي التشبيهات الراقية.

لذا قُسم هذا الباب على ثلاثة فصول، اهتم الأول بمباحث الألفاظ، وتناول الثاني مسائل الأسلوب وتفريعاته، على حين وضح الفصل الثالث أهم قضايا الدلالة من تشبيه واستعارة وكناية وغيرها.

توطئة:

تُعد الألفاظ المورد الأول لصناعة الكلام بأنواعه كافة، فهي المداد الذي يُستعمل في منازل الخطاب كافة، وبمختلف الأنواع الأدبية منها وما سواها، فيستعملها الأديب للتعبير عما يختلج شغاف قلبه، وما يتوشح على مدارة احساسه وفرحه وحزنه، ويستعملها غيره لطلب حاجته أو للتعبير عمّا في نفسه بأي شكل كان.

ولم تكن الألفاظ جسدًا ملقى، وإنّما هي مفعمة بروح المعاني التي أمدتها بالحيوية والمرونة، ومكّنتها من أنّ تُصبح محط أنظار الجميع، لا يعتنقون غيرها للتعبير عمّا في داخلهم، وهذا الانسجام بين الألفاظ والمعاني قد شكّل لحنا موسيقيا استهوته قلوب العلماء، ((فبعضهم قدَّم اللفظ ، وناصر آخرون المعنى ، في الوقت الذي سار آخرون في خط معتدل ، واتخذوا لأنفسهم طريقاً وسطاً))[1] في التعامل مع اللفظ والمعنى.

وللألفاظ ومعانيها مكامن قوةٍ، وأخرى للضعف، فمن قَوِيت سليقته أرشدته لمكامن القوة، ومن أضلته أسلكته سبل الضعف والركة، فكان من الكتّاب من ارتقى بإسلوبه القمة، وآخرون لامست الحضيض بهم الدركة، في الوقت الذي توسط بعضهم بين الضعف والحبكة.

وقد تشعّبت أغصان الألفاظ، لتُثمر أنواعا من الجنى الداني الذي ينفع لكل شيء، كيف لا وهي قد تمازجت في قريحة إمام معصوم لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، إمام تلقف البيان والفصاحة والبلاغة من شجرة محمد (صلى الله عليه وآله)، ومن مناسم الدوحة العلوية المتمثلة بأمير البلاغة والبيان علي ابن أبي طالب (عليه السلام)، فقد كانت من اغصان الألفاظ: الضمائر، الزمكان، وغرائب الألفاظ، وسيُدرس كل غصن من بوتقته التي انطلق منها بنحوٍ مستقل.

([1]) لغة الشعر عند أحمد مطر: ٢١.

المبحث الأول: الضمائر:

الضمير هو أحد المعارف الستة، وهو أعرف من الستة كلها، ويُقسم إلى: ضمير ظاهر وضمير مستتر، وهو عبارة عن ضمير دال على المتكلم، أو الغائب، والضمير الظاهر، يقسم على: ضمير متصل وضمير منفصل [١]

يرد الضمير في الجملة بسياقات مختلفة، وحالات متغيرة؛ لأغراض متعددة، فقد يؤتى بالضمير ظاهرا في الجملة عوضا عن اللفظ الظاهر الصريح، وقد يُقدّم الضمير على اللفظ الظاهر مع إثبات اللفظ في الجملة، وقد يبدل الضمير بالاسم الظاهر [٢] وسيكون عملنا في هذا المبحث على أساس الأغراض التي يرد من أجلها الضمير في الجملة.

من ذلك ما ورد عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في جوابه لعمرو بن العاص حينما أرسل إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) يعيبه بأشياء، منها: أنّه يسمي حسناً وحسيناً ولَدَيْ رسول الله (صلى عليه وآله)، فقال الإمام علي (عليه السلام) لرسول عمرو بن العاص: **((قُلْ للشانيء ابن الشانيء: لو لم يكونا ولديه لكان أبتر، كما زعم أبوك))** [٣] فاستعمل الإمام (صلوات الله وسلامه عليه) الضمير من غير التصريح باسم الحسنين (عليهما السلام)؛ لكون الحديث في مقام الغيبة عنهما، وقد دلَّ على ذلك قرينة الحال [٤] فالقرينة قد ذُكرت في نص السؤال، فلا حاجة للتصريح باسمهما في الجواب.

---

(١) ينظر: شرح قطر الندى وبل الصدى: ٩٤-٩٥.

(٢) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ١٠٩/١.

(٣) الحياة السياسية للإمام الحسن: ٤٠.

(٤) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ١٠٩/١.

وفي رحاب أمير المؤمنين أيضا ما ورد في كتاب قيس بن سعد [١] يسأله عن قوم اعتقد إنهم مسالمون لا يتربصون الدوائر بحكومته، والكتاب ما نصّه: ((بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإني أخبر أمير المؤمنين – أكرمه الله –أن قبلي رجالا [معتزلين] سألوني أن أكف عنهم وأن أدعهم على حالهم حتى يستقيم أمر الناس فنرى ويرون وقد رأيت أن أكف عنهم وألا أعجل وأن أتألفهم فيما بين ذلك لعل الله أن يقبل بقلوبهم ويفرقهم عن ضلالتهم إن شاء الله والسلام .

فقال له عبد الله بن جعفر : ما أخوفني يا أمير المؤمنين أن يكون هذا مما اتهم عليه [إنك إن أطعته في تركهم واعتزالهم استشرى الأمر وتفاقمت الفتنة، وقعد عن بيعتك كثير ممن تريده على الدخول فيها ولكن] مره بقتالهم.

فكتب إليه علي – (عليه السلام) :**[بسم الله الرحمن الرحيم] أما بعد فسر إلى القوم الذين ذكرت ، فإن دخلوا فيما دخل فيه المسلمون وإلا فناجزهم والسلام))** [٢]

قد ورد في هذا التوقيع جملة من الضمائر، منها ما خُوطب به شخصا مباشرة، كما في قوله (عليه السلام): (فسر) وهنا استعمل الضمير بدلا من الاسم الظاهر، لكون الحديث في مقام المخاطبة [٣]

ومنها ما استعمل الضمير؛ لكون الحديث في مقام الغيبة [٤] كما في قوله (عليه السلام): (الذين ذكرت) وهنا أيضا دلت قرينة الحال على الخبر ما أغنى عن ذكره، أما جملة: **(فإن دخلوا فيما**

---

(١) قيس بن سعد المكي الحبشي مولى أم علقمة كنيته أبو عبد الله يروى عن عطاء ومجاهد روى عنه حماد بن سلمة وسيف بن سليمان مات سنة سبع عشرة ومائة وقد قيل سنة تسع عشرة ومائة وكان يخلف عطاء بن أبي رباح في مجلسه وكان يتفقه بقوله ويفتي به، الثقات: ٣٢٨/٧

(٢) الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام:٢١٩.

(٣) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ١٠٩/١.

(٤) ينظر: المصدر السابق نفسه: ١٠٩/١.

دخل فيه المسلمون وإلا) هنا استعمل الضمير لكون الحديث في مقام الغيبة أيضا، بيد أنّ السبب في ذكر الضمير هو قرينة المعنى [١]؛ بمعنى: إن دخلوا في ما دخل فيه المسلمون فاتركهم، وإن لم يدخلوا فناجزهم.

وكذلك تعددت الضمائر بين المخاطب والغائب في ما ورد عن الإمام الحسن (عليه السلام) لمّا سلّم الأمر إلى معاوية، فقال الخوارج حينها : قد جاء الآن ما لا شك فيه فسيروا إلى معاوية فجاهدوه . فأقبلوا حتى حلوا بالنخيلة عند الكوفة وكان الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) قد سار يريد المدينة ، فكتب إليه معاوية يدعوه إلى قتالهم، فلحق رسول معاوية بالإمام الحسن (عليه السلام)، إلا أنّ الإمام لم يرجع وكتب إلى معاوية: **((لو آثرت أن أقاتل أحدا من أهل القبلة لبدأت بقتالك فإني تركتك لصلاح الأمة وحقن دمائها))** [٢] فنجد أنّ الإمام الحسن (عليه السلام) قد استعمل ضمير المتكلم في قوله: (آثرت)، واستعمل ضمير المخاطب في قوله: (الكاف في قتالك، والكاف في تركتك) ، كما استعمل ضمير الغائب في: (دمائها)؛ ولعل هذا التنقل بين الضمائر من أجل إنتاج كلام مختصر يدلّ على كل ما أراد ذكره بالشرح، ولانتقال الكلام من الحضور للخطاب إلى الغيبة دواع بلاغية جمة منها: تنبيه السامع، ولفته للتركيز والعناية بموضوع الكلام [٣] .

ومن باب التأكيد بالضمير أيضا ما ورد عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، حينما كاتبه أحد مواليه يحمد الله (سبحانه وتعالى) إليه بعد إذ نجّاه من فتنة الخليفة العباسي في وقته، إذ كان ألأخير يتهدد الإمام (صلوات الله وسلامه عليه)، وينوي أن يجليهم عن وجه الأرض، فكان جوابه (عليه السلام): **((ذاك أقصر لعمره ، عد من يومك هذا خمسة أيام ويقتل في اليوم السادس بعد**

---

(١) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ١٠٩/١.

(٢) الغدير في الكتاب والسنة والأدب: ١٧٣/١٠، مكاتيب الأئمة :٤٨/٣-٤٩.

(٣) ينظر: أرشيف ملتقى أهل التفسير: ٢١٩١٨.

هوان واستخفاف يمر به، فكان كما قال (عليه السلام))) [١] إذ إنّ تأكيد الضمير المتصل (الكاف في يومك) باسم الإشارة (هذا) له من التأكيد والاختصاص ما ليس لاستعمال أحدهما في الكلام [٢]

من الاستعمالات البلاغية للضمير هو تكراره، كما في قول الإمام الرضا (عليه السلام) في معرض جوابه لأحد مواليه عن مسألة، إذ قال: **((ان الله يقول :** ﴿ **إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ** إلى قوله **سَبِيلًا** ﴾[٣] **الآية ليسوا من عترة رسول الله وليسوا من المؤمنين وليسوا من المسلمين يظهرون الايمان ويسرون الكفر والتكذيب لعنهم الله))**[٤]، فقد كرر الإمام الرضا (عليه السلام) الضمير (واو) العائد على المنافقين في التوقيع خمس مرات، وللتكرار قوة في التأكيد لا يعطيها الضمير ذاته إذا ما استعمل مرة واحدة [٥]، ولتكرار الضمير فائدة أخرى غير التأكيد، وهي الحصر [٦] ، بمعنى حينما كُرر الواو خمس مرات قد أفاد هذا التكرار حصر الصفات التي نعتوا بها بالمنافقين.

لقد شكّلت ضمائر المخاطبة والغيبة في توقيعات المعصومين (عليهم السلام) ظاهرة لا يمكن أغفالها، فلا يكاد توقيع يخلو منها، ولعل السبب وراء ذلك أنّهم (عليهم السلام) علماء الأمة ولا أحد غيرهم، فمن البديهي أنّ تنهال عليهم الأسئلة من كل حدب وصوب، بمختلف مسائلها من الفقهية والاجتماعية والمعيشية وغيرها، فلا بد حينها أن يوجهوهم (عليهم السلام) إلى فعل أمور ما، أو نهيهم

---

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى، ١٤٤/٢-١٤٥، مكاتيب الأئمة، ٢٩٠/٦.

(٢) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ١٥٣/٢.

(٣) ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾، [النساء: ١٤٢-١٤٣].

(٤)الزهد: ٦٦-٦٧، مكاتيب الأئمة: ٢٥٨/٥.

(٥) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٥٠/٢٠، وينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ١٥٣/٢.

(٦) ينظر: التفسير المنير للزحيلي: ٤٦/٢١.

عنها، أو توضيح أمور أخرى لهم، من هنا شغلت ضمائر المخاطبة والغيبة مساحة شاسعة في التوقيعات، فضلا على الاختصار والتكثيف.

بَيْدَ أنّ هذا لا يمنع من استعمال ضمائر المتكلم بمختلف صنوفها في توقيعاتهم (عليهم السلام)، فالمتتبع لتوقيعاتهم (عليهم السلام) يجدهم قد استعملوا (ياء المتكلم، وتاء الفاعل، والضمير نا، وأنا) بحسب ما يقتضيه المقام.

وقد تقاربت هذه الضمائر في الاستعمال، فقد ورد على سبيل المثال (الضمير نا) في ما لدينا من توقيعات سبع عشرة مرة في سياقات مختلفة، منها ما ورد عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في جوابه لرجل كان من مواليه يسأله العطاء، فكتب إليه (عليه السلام): ((**شككت في حربنا فشككنا في عطائك**))[1]، فقد ورد استعمال الضمير في هذا التوقيع مرتين، الأول في (حربنا) والآخر في (شككنا)، فتجد اللغة المتمثلة بالدولة، فهو خطاب على مستو رفيع، أراد الإمام من خلاله أنّ يرسم له الخطوط التي يجب على كل أحد أنّ يسير فيها، وينتظم من خلالها، فالإمام علي (عليه السلام) هو الحاكم، وهو العالم لا يُعلم، فحينما يشكُ أحدٌ في أحقيته (عليه السلام) لا يمثل شكه هذا حجة، فأراد الإمام علي (عليه السلام) أنّ يبين له أنّ شكك في حربنا لم يضرنا، ولم ينفعك، بل وقع وابله عليك، إذ إنّه تسبب في قطع عطائك.

هذا من جانب، من جانب آخر، يشعر الباحث أنّ الإمام (صلوات الله وسلامه عليه) قد أرد أنّ يوضح له بأنّ وجوده في معسكر الإمام (عليه السلام) يرتقي به الدرجات العلا في الدنيا و الآخرة، فالخاسر في التخلف ليس الإمام (عليه السلام)، وإنّما المتخلف عنه، ففي استعمال الضمير (نا)

([1]) مكاتيب الأئمة: ٢٦٢/١، دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله (عليه وعليهم أفضل السلام): ٣٩٢/١.

ومخاطبته بتاء الفاعل سيميائية تشير إلى أنّنا لا حاجة لنا بك، وإنّما أنت المحتاج لنا، سواء أكان على الجانب الديني والأخروي، أم على الجانب المعيشي والدنيوي.

وقد حاكاه في هذا المنظور الإمام الصادق (عليه السلام) في معرض جوابه لشامي كان يخدم في بيته، حينما كتب له الشامي يطلب منه علما بعد أنّ بكّته أهله لعدم أخذه العلم طوال هذه المدة من هذا البيت، فوقع (عليه السلام): ((**أما بعد، فإن حديثنا حديث هيوب ذعور، فأن كنت ترى أنك تحتمله، فاكتب لنا والسلام**))[1]، فقد استعمل الإمام الصادق (عليه السلام) الضمير (نا) مرتين أيضا، فالأول في (حديثنا)، والآخر في (لنا).

أما قول الإمام الصادق (عليه السلام): (حديثنا) فيُحْمل على معنيين، أما أنّه (عليه السلام) قد عنى بذلك حديثه وحديث آبائه (عليهم السلام)، أو أنّه لم يرد بذلك إلاّ حديثه، وما يعضد المعنى الآخر هو استعماله الضمير ذاته في قوله: (لنا) مما يدل على انّه أراد حديثه لا غير.

هنا تستمع جرس التفخيم واضحا، وترنيمه عاليا، وهذا الاستعمال تحتمل دواعيه وجوه عدة، منها لا على سبيل الحصر:

١- إنّ الإمام (صلوات الله وسلامه عليه) لم يشئ أنّ يعطي لهذا الرجل الشامي علما، من خلال وصف حديثه (عليه السلام) بالهيوب الذعور.

٢- لربَّما قد خشي الإمام (عليه السلام) على الرجل الشامي من القتل؛ لكون الأوضاع السياسية والأمنية لم تكن مستقرة آنذاك، أو خشي عليه الإهانة من قومه ونبذهم إياه إن علموا بأنّه قد أخذ علما من هذا البيت.

([1]) مكاتيب الأئمة: ٤/٨٧-٨٨.

٣- قد يكون في استعمال ضمير التفخيم في خطابه (عليه السلام)، هو إشعار للناس بصورة عامة، ولمواليه بصورة خاصة أنّ هذا الوقت هو وقت إذاعة تعاليمهم (عليهم السلام)، واستغلال الفوضى التي كانت تعم البلاد آنذاك، مع غياب الرقابة السلطوية على أهل هذا البيت بالخصوص، فعلى الجميع استغلاله.

ومما عنوا فيه فعلا تقصّد إبراز العظمة والتفخيم، هو ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في معرض جوابه للخليفة العباسي الذي كتب له يعاتبه على عدم مجيئه -الإمام (عليه السلام)- له، بقوله: لمَّ لا تغشانا كما يغشانا الناس؟، فأجابه الإمام (عليه السلام) بقوله: ((**ليس لنا ما نخافك من أجله، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنيك، ولا ترها نقمة فنعزيك بها، فماذا نصنع عندك؟**))[١] فأجابه الخليفة العباسي بقوله: ((تصحبنا لتنصحنا. فإجابه (عليه السلام): **من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصحبك**، فقال المنصور: والله لقد ميز عندي منازل الناس، من يريد الدنيا ممن يريد الآخرة، وإنه ممن يريد الآخرة لا الدنيا))[٢]، لقد تعمد الباحث ذكر النصّ كاملا؛ لما ستجيب هذه التكملة عن أسئلة كثيرة تطرح في الأثناء.

لقد كثر في هذا التوقيع استعمال ضمير التفخيم بنبرة واضحة، فقد ورد فيه ست مرات، كالآتي: (لنا، نخافك، نرجوك، نهنيك، نعزيك، ونصنع)، وفي المقابل قد خاطب الخليفة بضمير المفرد، والمتعارف عليه أن يُخاطب الخليفة بضمير التفخيم، لا المفرد، وهذا ديدن من عكف على مكاتبة الخلفاء، فلِمَ يا ترى قد خاطب الإمام الصادق (عليه السلام) الخليفة العباسي بهذه النبرة؟.

يعتقد الباحث أنّ هذا الخطاب قد حمل في طياته رسائل كثيرة، قد دلّه على ذلك، سياق النص، منها على سبيل المثال، أنّ الخليفة بهذا العتاب أراد أن يجس نبض الإمام من جهة، ومن أخرى أراد

---

(١) مكاتيب الأئمة: ٤/١٤٠.

(٢) المصدر السابق نفسه: ٤/١٤٠.

أن يبين للناس أنّ يد السلطة قد أمسكت قبضتها حتى على الرجال المقدسين أمثال الإمام الصادق (عليه السلام)، فهم ليسوا بمأمن من أنّ تطالهم يد الاعتداء والقتل والتشريد، فكان جواب الإمام (عليه السلام) قد شكّل صدمة في مخططات العدو، جعلته يُقر بفضله صاغرا رغم أنفه، ففي استعماله ضمائر التفخيم المتكررة في النصّ، قد أفهم العدو أنّه جبل أشم، لا يمكن تدجينه بواسطة مكاتبات هزيلة لا تنطلي مكائدها على حصيف بسيط، لا إمام معصوم كشخصه، فضلا على توسع نطاق الشيعة في الأمصار، وشحذ أفكارهم فلم تعد بسيطة كما كانت في السابق [١]، فقد عركتهم الأحداث حتى صاروا قرنا لا يلوى عبر مناوشات من هنا وهناك، الأمر الذي جعل من موقف المعصوم كابوسا مخيفا للدولة.

هذا على مستوى الدولة والحاكم، أما الرسالة الأخرى في هذا التوقيع، فهي للناس عامة، تؤكد لهم حقيقة موقف الإمام الذي كان أرسى من الجبل، فلعله أراد بذلك أن ينّبه الناس أنّه (عليه السلام) لم يتردد على البلاط؛ للأسباب التي ذكرها في التوقيع.

إنّ الرد المفحم الذي أجاب الإمام (عليه السلام) به الخليفة قد جعله يلوي عنان المخططات، ليقول: تصحبنا لتنصحنا، وقد وقع هذه المرة أيضا في الحفرة التي حفرها لغيره، فبقصار الكلمات التي أطلقها الإمام (صلوات الله وسلامه عليه) قد رسم خطا موازيا للسلطة، غير متقاطع معها، سالبا من خلالها الشرعية التي تسترت بها الدولة، بقوله: (من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصحبك)، ولو كان الخليفة ممن يريد الآخرة لتّعض من هذا الكلام الصريح، ولما دبر المكائد والدسائس لقتله (عليه السلام)، فطالب الدنيا لا يشير على قبيح ما تعمله من الخبائث؛ لكون أغلبهم من وعاض السلاطين، ولحاسي القصع الذين ما فتأت حياتهم في تخبط في دياجير العمى تارة، وفي لجج الجشع أخرى، فما لهم ونصح الآخرين وإرشادهم.

([١]) معلومة إعلامية من برنامج الدين والحياة للقاضي الشيخ محمد كنعان، من قناة كربلاء الفضائية.

ومن طلب الآخرة لا يتماشى معهم ففي مجالسهم لا تعاقر إلا الخمور، ولا يُستمع إلا القيان، فهي مجالس ترأسها الشيطان، وهجرها رَوَح الرحمن، فبكلا الحالتين توكيد على أنّ أهل الآخرة وطلابها لا يترددون على هذه المجالس وما شابهها، إنّ هذه التنقلات في النص وغيرها قد كشفت لنا كثيرا من الخبايا التي أرشدتنا لقراءة النصّ بهذه الصورة .

أما ياء المتكلم فقد ذُكرت في التوقيعات ثمان وعشرون مرة، دلَّ معظمها على التواضع، من ذلك ما ورد عن الإمام الحسين (عليه السلام) في جوابه لأخية الإمام الحسن (عليه السلام) حينما كتب له يلومه على إعطاء المال للشعراء، فوقّع الإمام الحسين (عليه السلام): ((**أَنْت أعلم مني أَن خير المَال مَا وقى الْعرض**))[١]، فبسماع هذه الكلمات الرقيقة التي تناغي المشاعر، تتجسد عظمة الإمام الحسين (عليه السلام)، من خلال تواضعه لإمام زمانه، ألا وهو أخوه الإمام الحسن (عليه السلام)، ففضلا على استعماله ياء المتكلم بدلا من استعماله ضمير التفخيم، قد افتتح توقيعه بـ(أنت أعلم مني)، وهم في واقع الحال إمامان إنّ قاما وإن قعدا، إلاّ أنّ شرف الأخلاق، وطيب المولد، وحسن السجية، قد جعلت من مكارم الأخلاق شخصا منحنيا أمام الإمام (عليه السلام)، عاجزةً عن بلوغ هذه الدرجة الرفيعة.

أما في الشطر الآخر من التوقيع في قوله (عليه السلام): (ما وقى العرض)، فإنّه لم يخف أن يقول الشاعر: ((لست بابن رسول الله ولا ابن علي ولا ابن فاطمة ، ولكني أخاف أن يقول : إنك لا تشبه رسول الله ، ولا عليا ولا فاطمة ، والله إنهم لخير مني ، وأخرى إن الرجل أملني ورجاني))[٢].

---

(١)هداية الأمة إلى أحكام الأئمة: ٣٥٩/٧، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة(آل البيت): ٥٥٧/٢١، العوالم: ٦٧، نزهة الناظر و تنبيه الخاطر: ٨٣، تاريخ ابن معين: ١٠١/٢.

(٢) أنساب الأشراف: ٢٤/٣.

ومن مواضع استعمال ياء المتكلم، هو حصر ما يُذكر في التوقيع بقائله؛ لئلا يلتبس الأمر على السائل، من ذلك ما ورد عن الإمام الهادي (عليه السلام) في جوابه لشيعته الذين سألوه عن الأمر؛ أي من هو الإمام المفترض الطاعة بعده، وما هو العمل والتكليف، فقال (صلوات الله وسلامه عليه): **((الامر لي ما دمت حيا، فإذا نزلت بي مقادير الله (عز وجل) آتاكم الله الخلف مني وأنى لكم بالخلف بعد الخلف))**[١]، فبجوب الإمام (صلوات الله وسلامه عليه) توكيد على انحصار الأمر له في الوقت الحاضر، فإذا ما نزلت به مقادير الله (عز وجل)، فإنّ ولي أمرهم هو ولده لا غير، وكما تلاحظ عزيزي القارئ، إنّه لولا استعمال ياء المتكلم؛ لحصل لبس في تعين من له الأمر، إذ إنّ الإمام الهادي (عليه السلام) وولده الإمام العسكري (عليه السلام) على قيد الحياة معا، فلربّما في استعمال ضمير التفخيم يحصل الاشتباه بأيّهما قد عنى بذلك.

على حين لم يشغل استعمال (تاء الفاعل) سوى ثلاثة عشر موضعا لا غير، قد وردت في سياقات مختلفة، ومواضيع متعددة، منها ما ورد في الأحكام الفقهية، كتوقيع الإمام الرضا (عليه السلام) الذي طمأن من خلاله قلوب سائليه بوصول الفطرة إليه، إذ قال: **((قبضت وقبلت))**[٢]، ومنها ما جاء في باب تأوه الإمام العسكري (عليه السلام) على قومه، إذ قال: **((ما مني أحد من آبائي (عليهم السلام) بما منيت به من شك هذه العصابة في ، فإن كان هذا الامر أمرا اعتقدتموه ودنتم به إلى وقت ثم ينقطع فللشك موضع ، وإن كان متصلا ما اتصلت أمور الله (عز وجل) فما معنى هذا الشك ؟ !))**[٣].

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٨٢، مكاتيب الأئمة: ٤٦/٦

(٢) الكافي: ١٧٤/٤، مكاتيب الأئمة: ١٣٦/٥-١٣٧.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٢٢، مكاتيب الائمة: ٢٦٥/٦.

المتتبع لتوقيعات الأئمة (عليهم السلام) يجد أنّ استعمال الضمائر كان متفاوتا بعض الشيء، فكما قدمنا سابقا من أنّ ضمائر المخاطب والغيبة قد شغلت مساحة واسعة من التوقيعات، تاركة لضمائر المتكلم فسحة ليست بالقليلة، وإنّ ضمائر المتكلم هي الأخرى قد تفاوتت في الاستعمال، فكان لياء المتكلم النصيب الأوفر في التوقيعات، على حين قاربها ضمير التفخيم قليلا في الاستعمال، في الوقت الذي قل منسوب تاء الفاعل فيه.

المبحث الثاني: الزمان/

إنّ مبحث الزمان من المباحث التي تمس الحياة اليومية، وما فيها من مفاصل، فنحتاج الزمان لأداء الفروض الدينية، ولمعرفة الشهور، ولأخذ العقاقير وغيرها من الاحتياجات اليومية، وقد استعمل الأئمة المعصومون (عليهم السلام) أكثر الاحتياجات في توقيعاتهم –كما سيأتي في طيات البحث–، وفي الحقيقة أنّ الزمان وتوقيتاته لهو رحمة ربانية قد منّ الله (تعالى) بها علينا منذ الأزل حتى قيام يوم الدين، وقد وقّت رسول الله (صلى الله عليه وآله) الأهلة بأمر من الله (سبحانه وتعالى)، إذ أشار لذلك الإمام الرضا (عليه السلام) في قوله: ((**أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقّت المواقيت لأهلها ولمن أتى عليها من غير أهلها وفيها رخصة لمن كانت به علة فلا يجاوز الميقات إلا من علة**))[١]

أما الزمان فقد ذكر صاحب التعريفات بأنه: ((هو مقدار حركة الفلك الأطلس عند الحكماء، وعند المتكلمين: عبارة عن متجدد يقدر به متجدد آخر موهوم، كما يقال: آتيك عند طلوع الشمس؛ فإن طلوع الشمس معلوم ومجيئه موهوم، فإذا قرن ذلك الموهوم بذلك المعلوم زال الإيهام)) [٢] وعرّفه أبو الهذيل: ((أنّ للزمان مدى ما بين الأفعال، وأنّ اللّيل والنّهار هما الأوقات لا غيره)) [٣] وقال الخليل بأن الزمن يضم الوقت في طياته، فالوقت هو مقدار من الزمن [٤] وللزمن انسيابية تتيح له التحرك بكل الأمكنة؛ لأن الزمن ليس في المُتَحرِك، ولا في المكان المتحرك إليه، بل إنّه مهيمن على المكان، فتتمايز المتحركات عن بعضها سرعةً وبطأً. [٥] ((فهو الذي يغير كل شيء ، وهو في الوقت نفسه

---

(١) الكافي: ٣٢٣/٤، مكاتيب الأئمة: ١٤٣/٥

(٢) التعريفات: ١١٤.

(٣) الأزمنة والأمكنة: ١٠٣.

(٤) ينظر: الأزمنة والأمكنة: ١٠٣.

(٥) ينظر: المصدر السابق نفسه: ١٠٤.

المتغير، إنه المتحرك أبداً، والذي يحرك ما حوله في كل اتجاه، لذلك عُدَّ الإنسان ابناً للزمان ، وضحيته في آن واحد ، فهو يكسبه وعياً وخبرة، ولكنه في المقابل يحفر في جسده أخاديد مجراه ، ويعرضه للهدم والزوال، لذلك نظر إليه – ومنذ القدم – على أنَّه قوَّة خارقة ومهلكة ، هو الأمر الذي جعل الشعراء ينسبون إليه كل أفعال الحياة والموت ، والخير والشر ، فهابوه وخافوا منه ، ،أكثروا من الشكوى ، ولاسيما عندما لم يجدوا ما يعينهم عليه، واستمرت هذه النظرة إلى الزمان حتى وقتنا الحاضر))[١]

وقد استأثرت الأمم استعمال الليل والنهار والأيام والشهور والسنين؛ لأنها تخدم مستلزمات الحياة، من تجارة وزراعة ورحلات وغيرها [٢]

قد ورد ذكر الزمن في توقيعات المعصومين (عليهم السلام) في الجانب الرمزي تارة، واخرى مصرحا به، في الوقت الذي استُعمل الظرف بدلا عنه، فمما نجده في الجانب الرمزي ما جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) في جوابه لمن سأله عن فضلهم (عليهم السلام)، إذ قال: ((**إنّ الكواكب جعلت أمانا لأهل السماء، فإذا ذهبت نجوم السماء جاء أهل السماء ما كانوا يوعدون، وقال رسول الله: جعل أهل بيتي امانا لأمتي، فإذا ذهب أهل بيتي، جاء أمتي ما كانوا يوعدون**))[٣]، فالملاحظ في التوقيع أنّ الإمام الصادق (عليه السلام) لم يحدد توقيتا زمنيا بألفاظه المعهودة، وإنما يستشفه القارئ من السياق الخارجي للنصّ، فزمان أهل السماء ينتهي بذهاب الكواكب من السماء، ويأتي أهل الأرض ما يوعدون بذهاب أهل البيت (عليهم السلام) من الأرض، فالتوقيت توقيتا مستقبليا واقعا في

---

(١) لغة الشعر عند أحمد مطر: ٦٥.

(٢) ينظر: الأزمنة والأمكنة: ١٠٥.

(٣) مكاتيب الأئمة: ٤/٨٥-٨٦.

نطاق الغيب؛ لذا لم يحدد التوقيت بألفاظ الزمان؛ لكونها ألفاظا محدودة، وإنّ هذه المسألة قد نُوقشت في مبحث الإمامة من الفصل الأول في الباب الأول.

ومن ذلك أيضا ما ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام) في جوابه لعمته، حينما أخبرته بأن زوجته قد علقت، فوقّع (عليه السلام): ((**إنها علقت ساعة كذا ، من يوم كذا ، من شهر كذا ، فإذا هي ولدت فالزميها سبعة أيام**))[1]، فكما تلاحظ عزيزي القارئ أنّ الإمام الرضا (عليه السلام) قد أعطى وقت الحمل بالساعة واليوم والشهر، ما يدل على اطّلاعهم على بعض علم الغيب، بفضل من الله (سبحانه)، وجهاد من أنفسهم.

وقد ورد الكثير من توقيعات المعصومين (عليهم السلام) في هذا المضمار منها ما هو متعلق في الجانب الفقهي، وقد احتلت المكاتبات الفقهية مساحة كبيرة في توقيعات المعصومين (عليهم السلام)؛ وسبب ذلك هو ما افتعلته السلطة الغاشمة آنذاك من ترويج عقائد دينية فاسدة تخدم مصالحهم الشخصية، إلى حد أن يتبنى الخليفة دينا، ويلزم الآخرين باتّباعه ولو بالسياط والقتل، فانتشر وقتذاك وعّاظ السلاطين وفقهاء البلاط، فمن الطبيعي أنّ يبحث الإنسان عن دينه الصحيح، فكانوا الأئمة المعصومين (عليهم السلام) هم النبع الصافي الذي لا يتعكر ماءه، ولا ينضب من كثرة الآخذين جريانه.

ومن التوقيعات ما تعلق بالمعجزة كما تقدم ذكره آنفا –إخبار الإمام الرضا (عليه السلام) بعلوق زوجته بالحمل–، ومن ذلك أيضا ما ورد عن الإمام الهادي (عليه السلام) في جوابه لرجل من أهل المدائن عن موت الخليفة العباسي آنذاك، فكان جوابه (عليه السلام): ((**بسم الله الرحمن الرحيم قال : ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ**

([1]) دلائل الإمامة،٣٨٣– ٣٨٤، مكاتيب الأئمة، ٥/٧١.

﴿ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾[١] ،فقتل في أول الخامس عشر))[٢]، فلم يقصد الإمام الهادي (صلوات الله وسلامه عليه) السنين بعينها، وإنّما حسابها فقط، فالسبع سنين الأولى تعني سبعة أيام، والسبع سنين الأخرى تعني سبعة أيام أيضا، والعام الذي يغاث به الناس يكمل العدد خمسة عشر يوما، وهو توقيت مقتل الخليفة العباسي.

ولربما يُطرح السؤال التالي: لِمَ لم يحدد الإمام الهادي (عليه السلام) التوقيت بالأيام، فيقول: بعد خمسة عشر يوما سيقتل الخليفة؟ يعتقد الباحث أنّ عدم تصريح الإمام الهادي (عليه السلام) بالتوقيت الصحيح، واستعماله الوقت الرمزي الذي رمز لليوم بالسنة يعود للأسباب عديدة منها:

١- لربّما لم يرد الإمام الهادي (عليه السلام) للخليفة العباسي أنّ يعلم أوان مماته؛ لئلا يتوب في هذا الوقت، ويعود من ذنوبه، فيغفر الله (سبحانه وتعالى) له.
٢- أو لأن الخليفة العباسي آنذاك قد كان على درجة من الظلم، لا يستطيع أحد إظهار الأمر وإن كان معجزة.

وما جاء على وفق المعنى الظاهر للأيام، وفيه ذكر التوقيتات بعينها، هو ما جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) في جوابه لمريض من محبيه، يشتكي ريحا شابكة قد ضربت أم رأسه وصولا لأخمص قدمه، فبعدما دعا الإمام (صلوات الله وسلامه عليه) له بالعافية، قد أعطى له دواءً بصفة

---

(١) يوسف: ٤٦-٤٩.
(٢) بحار الأنوار الجامعة لأخبار الأئمة الأطهار: ١٨٦/٥٠، مكاتيب الأئمة: ٦٦/٦-٦٧.

معينة، وهي كالآتي : ((**عليك بسعوط العنبر والزيبق على الريق تعافى منها شاء الله تعالى** .ففعل ذلك فكأنما نشط من عقال *))[١].

الريق لغة: هو ماء الفم [٢] ما دام فيه فإذا خرج فهو بزاق [٣]،والريق يعني: أن تكون المعدة خالية من الطعام والشراب [٤] فإذا ما تناول الشخص مأكولا او مشروبا من أجل العلاج، فإنه أنفع؛ لما فيه من خلوص العلاج من أي شائبة؛ لذا فأن المعصومين (عليهم السلام) قد أكّدوا على تناول الكثير من العلاجات على الريق، إذ ورد في رسائلهم الطبية ما يربو على الثلاثين موضعا قد أوصوا فيه تناول العلاج على الريق.

والريق لا يشترط ان يكون في الفجر أو الصباح، فمن الممكن أن يكون في المغرب، كما إذ كان الشخص صائما.

لقد اختصّت أغلب التوقيتات الزمانية بالأحكام الفقهية والفرائض اليومية، وهذا من البديهيات؛ لما أخبر به (تعالى) في كتابه العزيز، إذ قال: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ ﴾ [البقرة/ ١٨٩]، فهي من أولها لازمت الفرائض والسنن، وبهذا السياق ما ورد في معرض جواب الإمام الهادي (عليه السلام) لسائل يسأله عن شخص تمنعه حيطان السجن عن معرفة أوقات الصلاة، سواء حمرة المغرب، أو مغيب الشفق، فهو لا يدري ما الذي يفعله في هذه الحال، أيصلي للاطمئنان الحاصل؟، أو أنّ هناك طرقا للتيقن من دخول وقت الصلاة، فكان جواب الإمام الهادي (عليه

---

(١) طب الأئمة:٧٠، الفصول المهمة في أصول الأئمة: ١٧٩/٣، مكاتيب الأئمة: ٣٣٩/٤.

(*) العقال هو: داءٌ يأخذُ الدَّوابَّ في الرِّجلَين ،معجم العين: ١٦٠/١.

(٢) ينظر: القاموس المحيط: ٢٣٩/٣.

(٣) ينظر: مجمع البحرين: ١٧٥/٢.

(٤) ينظر: التداوي بالأعشاب: ٣٩.

السلام): ((**يصلّيها إذا كان على هذه الصفة عند قصرة النجوم ، والمغرب عند اشتباكها ، وبياض مغيب الشمس قصرة النجوم [إلى] بيانها**)) [١].

قصرة النجوم تعني بيانها [٢] ولربما تعني ظهور أكثر النجوم [٣] أما الاشتباك فيعني قلتها [٤] على حد قول صاحب الكافي، على حين نجد أن في اللغة معنى قصر النجوم هو اشتباكها [٥] فيكون المعنى واحد. وهو حديث أُريد به حل مشكلة وقت صلاة العشاء الآخرة، بتوصيفات ترتبط بالفلك، وقد ذكر الفقهاء شروحات مفصلة، ومسائل كثيرة، قد أوضحوا من خلالها أوقات الصلوات، بمزيد من التدقيق ورد الإشكالات والمتشابهات، فمن أراد أن يتزود في باب أوقات الصلاة فليراجع الكتب الفقهية.

والمُلاحِظُ للتوقيع بدقة، يجد أنّ الإمام الهادي (عليه السلام) قد أجابه بمثل سؤاله، فإنّ كان يعرف وقت قصرة النجوم من اشتباكها، لمَّ يسأل حينها إذًا؟!!!، فلربّما هو سؤال استفزازي أرادت السلطة من خلاله أنّ يتمسكوا بشيءٍ ما، أو أنّ هناك وضعا في الحديث، فلا يكون قد ورد التوقيع بهذه الصيغة والصفة، والله العالم.

وفي هذا الباب أيضا ما ورد عن الإمام الهادي (عليه السلام) في جوابه عن مسائل متعددة منها النوافل، فكان جوابه (عليه السلام): ((**وصل بعد العصر من النوافل ما شئت : وصل بعد الغداة من النوافل ما شئت**)) [٦].

---

(١) موسوعة الإمام الهادي: ٢/٢٠٥، مكاتيب الأئمة: ٦/٨٧.

(٢) ينظر: الوافي: ٧/٢٩٧.

(٣) ينظر: الكافي: هامش ٣/ ٢٨١.

(٤) ينظر: المصدر السابق نفسه: هامش ٣/ ٢٨١.

(٥) ينظر: مجمع البحرين: ٣/٤٥٩.

(٦)مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان، ٢/٤٦، مكاتيب الأئمة، ٦/١٠٠.

لقد تعددت معاني مفردة (العصر) منها: الدهر، وقال ابن عباس: هو وقت ما يلي المغرب من النهار، وقال قتادة: هي ساعة من ساعات النهار [١] ، والمقصود بكلامه ساعة من ساعات النهار؛ لأن العرب قد وضعت لساعات النهار والليل أسماء يختص كل منها بوقت معين، وهي كالتالي: ((الذّرور ، ثم البزوغ ، ثم الضّحى ، ثم الغزالة ، ثم الهاجرة ، ثم الزّوال ، ثم الدّلوك ، ثم العصر ، ثم الأصيل ، ثم الصّبوب ، ثم الحدور ، ثم الغروب)) [٢] ، وعن ابن السكيت العصران هما الغداة والعشي، ويقصد بالعصرين أيضا: صلاة الفجر وصلاة العصر؛ لأنهما وقعا في طرفي النهار [٣] وهو ساعة ينتهي عندها الهجير [٤]

أما الغداة فهي من الصباح حتى طلوع الشمس [٥]، وصلاة الغداة هي صلاة الفجر [٦]، وفي الحقيقة هو معنً مخالف لما هو مشهور في العصر الحالي؛ إذ إنّ الغداة تعني –الآن– وقت الظهيرة، إلا أن الكثير من المفاهيم قد تغيرت في العصر الحالي، إذ إنّ عدد الساعات آنذاك أثنا عشرة ساعة، وليس أربع وعشرين ساعة.

وقد وردت ألفاظ معينة للأيام كيوم الأربعاء والخميس والجمعة، ارتبط جلّها بالأحكام الفقهية؛ للأسباب التي قدمناها، والبعض الآخر ارتبط بالأسباب المانعة لنزول العذاب السماوي، بعد أنّ ضربتهم الزلازل كما سيأتي.

---

(١) ينظر: لسان العرب: ٥٧٥/٤.

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب: ١٤٧/١.

(٣) ينظر: لسان العرب: ٥٧٥/٤-٥٧٦.

(٤) ينظر: المصدر السابق نفسه: ٢٥٤/٥.

(٥) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك هامش: ١ / ١٩.

(٦) ينظر: مجمع البحرين: ٣١٤/١.

فمما ورد من القسم الأول ما جاء عن الإمام الهادي (عليه السلام) حينما كتب له بعض البغداديون يسألونه الخروج يوم الأربعاء، فوقّع (عليه السلام): ((**من خرج يوم الأربعاء لا يدور خلافا على أهل الطيرة وقى من كل آفة وعوفي من كل عاهة وقضى الله حاجته**))[١]، إنّ من يقرأ النص للوهلة الأولى يشعر أنّ السياق متصل، وبالتالي لا يتشكل لديه معن واضح، وإنّما معن مشوشا لا يمكنه الثبات، فالنص يكون على الصورة الآتية: من خرج يوم الأربعاء لا يدور، خلافا على أهل الطيرة...، وقد بيّن الفقهاء معنى (الأربعاء لا يدور) إذ ورد في الوافي ما نصّه: ((لا يدور أربعاء آخر الشهر فإنه لا يدور في ذلك الشهر أي لا يعود فيه أبدا))[٢]، وبمعنى أبسط هو آخر أربعاء في الشهر، وهذا ما له دخل في الحسابات الفلكية، والأبراج، كدخول القمر في برج العقرب وغيره.

أما موضوع نحوسة الأيام فهو موضوع متجذر عند العرب –كما قدّمنا–، فكانوا سابقا يتطيرون من الأيام، وفي الحقيقة أنّ موضوع سعد الأيام ونحسها من المواضيع التي استأثرت الباحثين، للخوض فيها، وبيان دقائقها، وفي قول الإمام الهادي (عليه السلام): (خلافا على أهل الطيرة) يُشعر بأنّ نحس الأيام يمكن أن يتفاده الإنسان بالصدقة، لا كما يعتقد أهل الطيرة من نحوسة الأيام المستمرة، إذ ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((تصدق وأخرج أي يوم شئت))[٣]، وغيره الكثير من المرويات التي تؤكد حقيقة تفادي الطيرة بالتوكل على الله (سبحانه وتعالى)، وغيرها من الأساليب.

أما ما ورد في القسم الآخر من ذكر التوقيتات بعينها، هو ما جاء عن الإمام الهادي (عليه السلام) في جوابه لعلي بن مهزيار، حينما كتب له شاكيا كثرة الزلازل في بلده، إذ لم يكن لهم بد إلاّ التحول عنها، فسألوا الإمام (صلوات الله وسلامه عليه) أنّ يرشدهم، فقال (سلام الله عليه): ((**لا**

---

(١) الأمان من أخطار الأسفار والأزمان، ٣٢، مكاتيب الأئمة، ٥/١١٦-١١٧.

(٢) الوافي: ١٢/٣٥٣.

(٣) العروة الوثقى: ٤/٣٢٧.

تتحولوا عنها، وصوموا الأربعاء والخميس والجمعة واغتسلوا وطهروا ثيابكم وأبرزوا يوم الجمعة ، وأدعوا الله فإنه يرفع عنكم))[١]، لا بد وأنّ لهذه الأيام الثلاثة خصوصية في الدعاء والتضرع، وإلاّ ما كان الإمام ليأمرهم بها بالخصوص دون غيرها، وإنّ أشرف هذه الثلاثة هو يوم الجمعة، وهذا ما نجده واضحا في التوقيع من أنّ الإمام (صلوات الله وسلامه عليه) أمرهم بصيام يوم الجمعة –مع الأربعاء والخميس–، وأمرهم بالغسل وتطهير الثياب والتضرع لله (سبحانه وتعالى) في يوم الجمعة أيضا، مما يدل على الأهمية العقائدية والروحية لهذا اليوم العظيم.

قد حظيت الشهور العربية وأسمائها بمساحة في توقيعات المعصومين (عليهم السلام) لذكرها، وقد اختص من بين سائر الشهور شهر رمضان المبارك، الذي يُعد من أفضل الشهور، وهذا ما أشار له الإمام الجواد (عليه السلام) حينما سأله أحد الموالين عن أفضل شهر تؤدى به العمرة، فوقّع (عليه السلام): **((سألت رحمك الله عن أي العمرة أفضل ؟ عمرة شهر رمضان أفضل يرحمك الله))** [٢]

إنّ شهر رمضان المبارك فيه من الخصائص ما تجعله مميزا عن كل الشهور، ففيه نُزل القرآن الكريم، كما في قوله (تعالى): ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ**﴾ [البقرة/١٥٨]، وفي لياليه يُفرق كل أمر حكيم، ألا وهي ليلة القدر المباركة التي خُصت بمزيد من التكريم والتشريف من بين ليالي السنة، فلا ليلة غيرها يفوق ثوابها ثواب ألف شهر، كما في قوله (تعالى): ﴿ **لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾ [القدر/٣]، وهو الشهر الوحيد الذي خُصَّ بالصيام الواجب من بين الشهور، وغيرها الكثير من الفضائل التي اختص بها هذا الشهر العظيم، والتي ذكرها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في خطبته المشهورة التي استقبل بها شهر رمضان، وفضائل هذا الشهر لا تُعد من التي نعلمها، والتي لا يعلمها إلاّ الله (سبحانه) والمخلصين من عباده.

---

(١)علل الشرائع: ٢/٥٥٥-٥٥٦، مكاتيب الأئمة: ٥/٤٢٢.

(٢) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة (آل البيت): ١٤/٣٠٤، مكاتيب الأئمة: ٥/٣٦٧.

إذًا ما بالك بعمل تعبدي كالعمرة في شهرٍ تتنضح منه البركة والخير، إلا أنّ يمن الله (جل وعلا) عليه بمزيد من الأجر؛ لاختياره هذا التوقيت بالذات لأداء هذا العمل العبادي، من جانب، ومن جانب آخر إنّ هذه الأيام لها خصوصية في الأجر بحد ذاتها، فيكسب أجر هذه الأيام مع ما له من أجر هذا العمل العبادي.

المبحث الثالث: المكان/

من الصعوبة بمكان توضيح ما هو واضح؛ ولذا عرّفه الحكماء من وجهة نظرهم على أنه: ((هو السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي)) [١] على حين نظر له المتكلمون من زاوية أخرى، إذ عدّوه: ((هو الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وتنفذ فيه أبعاده)) [٢] ، ولقد قُسّم المكان على قسمين: ((المكان المبهم: عبارة عن مكان له اسم نسميه به، بسبب أمر داخل في مسماه، كالخلف، فإن تسمية ذلك المكان بالخلف إنما هو بسبب كون الخلف في جهة، وهو غير داخل في مسماه.

المكان المعين: عبارة عن مكان له اسم سمي به، بسبب أمر داخل في مسماه، كالدار؛ فإن تسميته بها بسبب الحائط والسقف وغيرهما، وكلها داخلة في مسماه))[٣]

وقد خلط قوم بين معنى الخلاء وبين معنى الكلام، فتوهموا أنّهما بمعنى واحد، وقد أورد صاحب الأزمنة والأمكنة شرحا وافيا، إذ قال: ((قد توهم قوم أنّ الخلاء هو المكان، ... وليس الأمر كذلك بإطلاق، بل الخلاء هو البعد الذي خلا منه الجسم، ويمكن أن يكون فيه الجسم، وأمّا المكان فالسّطح المشترك بين الحاوي والمحوى، ... فصرفوا معنى الزّمان والمكان المضافين إلى المطلقين، وظنوا أنهما هما، والبون بينهما بعيد جدا، لأنّ المكان المضاف هو مكان هذا المتمكّن وإن لم يكن متمكنا لم يكن مكانا، ... فأمّا المكان بإطلاق فهو المكان الذي يكون فيه الجسم وإن لم يكن)) [٤]

---

(١) التعريفات: ٢٢٧.

(٢) المصدر السابق نفسه: ٢٢٧.

(٣) التعريفات: ٢٢٧.

(٤) ينظر: الأزمنة والأمكنة: ١٠٩.

قد ورد ذكر بعض الأمكنة في توقيعات المعصومين، في معرض أجوبتهم الفقهية، منها ما ورد عن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) في جوابه ليونس بن عبد الرحمن حينما كتب له يستفتيه عن حد عرض العقيق، فكان جوابه (عليه السلام): ((**أحرم من وجرة**)) [١]

حد العقيق هو: ((ما بين المسلخ [٢] إلى عقبة غمرة)) [٣] ويكون تقريبا: ((بقدر ربع الدورة المحيطة)) [٤] وحد العقيق هو ميقات أهل العراق [٥].

أما وجرة فهي: ((موضع . قال امرؤ القيس :

تصد وتبدى عن أسيل وتتقى * بناظرة من وحش وجرة مطفل

قال الأصمعي : وجرة بين مكة والبصرة ، وهي أربعون ميلا ليس فيها منزل ، فهي مربى للوحش)) [١].

---

(١) الكافي: ٤/٣٢٠-٣٢١، مكاتيب الأئمة: ٤/٤١٣.

(٢) المسلخ هو: ((الذي تنزع فيه الثياب والأتون وكل ما يغلق عليه باب الحمام)) ،معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: ١/٥٩٥. على حين عده العلامة الحلي نقلا عن الطريحي: ((أول العقيق بريد البعث . . . وهو مكان دون المسلح بستة أميال مما يلي العراق ، وبينه وبين غمرة على ما قيل أربعة وعشرون ميلا بريدان ، وفسر المسلح بالسين والحاء المهملتين : اسم مكان أخذ السلاح ولبس لامة الحرب ، وهذا يناسب تفسير البعث بالجيش ، وضبطه العلماء بأنه واحد المسالح ، وهي المواضع العالية ، وضبطه البعض بالخاء المعجمة ، لنزع الثياب به "))، إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان: هامش ١/ ٣١٥.

(٣) جواهر الكلام (في شرح شرائع الإسلام): ١٨/١٠٦، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة (آل البيت)، ١١/٣١٢.

(٤) مدراك العروة: ٢٦/١٢٠.

(٥) ينظر: تبصرة المتعلمين في أحكام الدين: ٨٨.

إنّ يونس بن عبد الرحمن يجهل ميقات اهل العرق، وهو ميقات له حدوده كما تقدم آنفا، وله أحكاما فقهية خاصة به، فلماذا إذًا لم يبين له الإمام الكاظم (عليه السلام) حدود عرض العقيق، وأمره أن يحرم من وجرة وهي أرض ليس فيها منازل –كما تقدم–؟ وفي الأساس هل يعقل أن يونس بن عبد الرحمن وهو الفقيه، والوكيل لديهم، يجهل حد عرض العقيق؟ يعتقد الباحث أن الظروف التي كان يعيشها (عليه السلام) آنذاك من سجن واحتجاب عن مواليه، لا تتيح له مزيد شرح لهم.

هذا من جانب، ومن جانب آخر لعل هناك ثمة ما يهدد أمنهم إن أحرموا من المكان المعهود – عرض العقيق–؛ لأن يونس بن عبد الرحمن من الثقاة المقربين من الإمام الكاظم (عليه السلام) الذين يتربص بهم الأعداء سوءا؛ ولذا جنبهم الإمام (صلوات الله وسلامه عليه) ذلك الخطر.

ولبعض الأمكنة خصوصية تتيح للمصلي التخيير في التقصير والإتمام في الصلاة منها مكة والمدينة، وهذا ما ورد عن الإمام الجواد (عليه السلام) في جوابه لعلي بن مهزيار الذي التبس عليه الأمر بين أنّ يتم صلاته أو يقصرها في الحرمين، ومرد هذا الالتباس هو اختلاف الرواية عن الأئمة (عليهم السلام)، فمنها ما نصّت على إتمام الصلاة في الحرمين ولو صلاة واحدة، ومنها ما صرحت بتقصير الصلاة ما لم ينو أنّ يقيم في الحرمين عشرة أيام أو أكثر، وبالتالي فإنّ فقهاء أصحابه قد أعطوا حكما لعلي بن مهزيار قد جعله يُكاتب الإمام مباشرة؛ للتيقن من الأمر، فوقّع (عليه السلام): **((قد علمت يرحمك الله فضل الصلاة في الحرمين على غيرهما فإني أحب لك إذا دخلتهما أن لا تقصر وتكثر فيهما الصلاة** : فقلت له بعد ذلك بسنتين مشافهة : إني كتبت إليك بكذا وأجبتني بكذا فقال : نعم ، فقلت : أي شيء تعني بالحرمين ، فقال : مكة والمدينة)) [٢]

---

(١) الصحاح: ٨٤٤/٢

(٢) الكافي: ٥٢٥٢/٤، مكاتيب الأئمة: ٣٥٦/٥.

إن مكة والمدينة من الأماكن الأربعة التي يمكن للمصلي فيها أن يقصر في صلاته أو يتم، وهي مكة والمدينة وحرم الإمام علي (عليه السلام) وحرم الإمام الحسين (عليه السلام)، إذ ورد في التهذيب: ((عن علي بن مهزيار وأبي علي بن راشد عن حماد بن عيسى عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال : من مخزون علم الله الاتمام في أربع مواطن : حرم الله وحرم رسوله وحرم أمير المؤمنين وحرم الحسين بن علي عليهما السلام)) [١]، ولربّما أُريد بحرم الإمام علي (عليه السلام) حرم مسجد الكوفة؛ إذ إنّه أحد الأماكن الأربعة التي يتخير المسافر فيها بين القصر والإتمام، وليس حرم الإمام علي (عليه السلام)، والله العالم.

إن مكة والمدينة من الأماكن التي لا تحتاج إلى تعريف، فهي أشهر من نار على علم، ولها من الفضل الذي لا يعرفه سوى الله (عز وجل)، وأهل البيت (عليهم السلام)، وهذا ما أكده الإمام الهادي (عليه السلام) في جوابة لعلي ين مهزيار، إذ قال: ((**المقام عند بيت الله أفضل**)) [٢]، فهو أفضل من الخروج لبعض الأمصار والمكوث فيها.

قد وردت في هذا التوقيع أمور عدة تثير التساؤل، منها ما ورد ذكره في نصّ السؤال المتقدم، ومنها ما ورد في لقاء علي بن مهزيار بالإمام (صلوات الله وسلامه عليه) بعد ورود التوقيع عليه، فالأول هو: ما سبب اختلاف الروايات عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام)؟ ولِمَ كاتب علي بن مهزيار الإمام (عليه السلام)، ولم يكتفِ بما قاله له فقهاء أصحابه؟، والآخر: لِمَ عاود علي بن مهزيار سؤاله على الإمام مشافهة، مع ما أرسل له الإمام (عليه السلام) توقيعا يبين عن طريقه الحكم الشرعي لمسألته؟.

---

(١) تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد (رضوان الله عليه): ٤٣٠/٥.

(٢) تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد (رضوان الله عليه): ٤٧٦/٥، مكاتيب الأئمة: ١٢٢/٦.

إنّ السبب وراء اختلاف الروايات –كما يعتقد الباحث– يعود لأسباب عدة، منها ما يدخل تحت عنوان التقية ومراعاة العقول، فلا يجيب الإمام (صلوات الله وسلامه عليه) الجميع بسياق واحد وحكم واحد، ومنها ما يتعلق بالظروف السياسية ومراعاة المقام آنذاك، مما يدفعهم (عليهم السلام) لإعطاء أحكاما تخالف أحكام رسول الله (صلى الله عليه وآله)، في الوقت الذي يخرج كلامهم على سبعين وجها من أوجه المعاني كلها فيها المخرج، كما ورد في حديث الإمام العسكري (عليه السلام): **((ما بال قوم يلحنوننا ، وإنّ الكلمة نتكلم بها تنصرف على سبعين وجها ، فيها كلها المخرج منها والمحجة))**[1].

أما السبب وراء مكاتبة عليُ بن مهزيار الإمامَ (صلوات الله وسلامه عليه)، وعدم اكتفائه بما نقله له أصحابه من الحكم، يدل على تقية علي بن مهزيار في أخذ التعاليم الدينية، وحرصه الشديد على دينه بشكل يطمئن معه قلبه على الحكم الصحيح؛ وذلك بسبب ما روّجته السلطة الحاكمة آنذاك من أحكاما تضليلية، كما تقدم في مبحث الأعلام من تبني فكرة خلق القرآن، وإنّ هذه المسألة من أخطر المسائل التي مارستها السلطة آنذاك، مما أدى إلى أنّ تمج الرعية كل دين من جهة السلطة او فقهائها، وبالتالي ستتعدد الأحكام الفقهية ويختلط الغث بالسمين، مما يجعل المرء في حيرة من أمره، وعدم الوثوق بكثير من الأحكام، فلربما أن أصحاب علي بن مهزيار قد أجابوه بحكم أطلقه الأئمة (عليهم السلام) في حال التقية.

ولم تقتصر أهمية الأمكنة على الجانب الفقهي فقط، فهناك من الأمكنة ما لها من تأثير كبير على الحياة الآخرة؛ لذا حرص الكثير من المؤمنين أنّ يدفنوا موتاهم قرب الأماكن المقدسة؛ لاعتقادهم أنهم سيشفعون لهم في دار الآخرة، وفي الحقيقة هو اعتقاد صائب جدا، لما تواتر عن المعصومين (عليهم السلام) من ذكر فضل من يدفن موتاه في هذه البقاع.

([1]) خاتمة المستدرك: ٢٩٦/١، مكاتيب الأئمة: ٢٨٣/٦.

وهي أحاديث كثيرة، نذكر منها على وجه الاختصار ما ورد عن الإمام الهادي (عليه السلام) في جوابه لأحد مواليه، حينما كاتبه عن رجل نشبت فيه أضفار المنية وهو بعرفات، فهل يدفن فيها – مع ما لعرفات من أهمية دينية–، أو ينقل للحرم أفضل؟ فوقّع (عليه السلام): ((**يحمل إلى الحرم ويدفن فهو أفضل**)) [١] وفي هذه الرواية دلالة صريحة على تفاضل الأماكن، بعضها على بعض، إذ المعنى المستفاد من توقيع الإمام الهادي (عليه السلام)؛ أن عرفات مكان جيد لدفن الموتى، بَيْدَ أنَّ الحرم أفضل منه، وأكثر ثوابا.

إنّ ما ذكرناه سابقا يختص بأسماء الأماكن الأرضية، وفي الحقيقة أنّ في توقيعات المعصومين (عليهم السلام) الكثير من هذا الصنف، إلاّ أنّ الباحث لم يتعرض لذكره طلبا للاختصار، وقد شغلت اسماء الأماكن السماوية أيضا حيزا من توقيعاتهم (عليهم السلام)، فمن ذلك ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في ذكر فضلهم لمن سأله عنها، إذ قال: ((**إن الكواكب جعلت أمانا لأهل السماء، فإذا ذهبت نجوم السماء جاء أهل السماء ما كانوا يوعدون، وقال رسول الله: جعل أهل بيتي امانا لأمتي، فإذا ذهب أهل بيتي، جاء أمتي ما كانوا يوعدون**))[٢]، فنجد ذكر الكواكب والنجوم والسماء في التوقيع، وهي أسماء الأماكن السماوية، ففضلا على تشبيه أهل البيت (عليهم السلام) وحال أمة النبي الاعظم (صلى الله عليه وآله) بالكواكب التي ارتبط أمان أهل السماء ببقائها ساطعة في الفضاء، ففي التوقيع جنبة أخرى تدعو الإنسان للتفكر في هذه الأماكن وحيثياتها وخصائصها، مما دفع العلم الحديث لاستكشافها وبيان شيء من ماهيتها، إذ إنّ التوقيع أشار إلى حقيقة علمية اكُتُشفت لاحقا، ألا وهي الجاذبية، فببقاء الكواكب والنجوم مرتبطة مع بعضها، منتظمة في مسيرها، تكون حياتهم آمنة

---

(١) الحدائق الناظرة في أحكام العترة الطاهرة: ١٤٩/٤، مكاتيب الأئمة: ١٢٦/٦.

(٢) مكاتيب الأئمة: ٨٥/٤-٨٦.

مطمئنة، فإذا ما حدث تداخل في الأنظمة واصطدم كوكب بآخر سيؤدي حتما إلى فناء من على الكوكب.

إلا أنّ الجميل في التوقيع هو تشبيه أهل البيت (عليهم السلام) بالمكان الحافظ لسير الأنظمة بشكل سليم، من دون تداخل وتصادم، فهم (عليهم السلام) قطب الرحى الذي تدور من حوله جليل الأمور ودقيقها، وهم محط تجاذب الأمة لديمومة الخطوط العامة للمعيشة السليمة، فيتجاذب من كان يتوق القرب لهم، ويتنافر من أراد أنّ يشكّل خطا مناوئًا لمسيرهم.

ولم يقتصر تشبيه الشخصيات بأماكن تحاكيها بالعمل والأهمية، فقد ورد في توقيعاتهم (عليهم السلام) تشبيه أهم أعضاء الجسد، ألا وهو القلب بأقدس الأشياء ألا وهو نور الله (سبحانه وتعالى)، كما ورد في توقيع الإمام العسكري (عليه السلام) إذ قال: ((**المشكاة قلب محمد**))[1] (صلى الله عليه وآله).

إنّ نور الله (سبحانه وتعالى) الذي هو نور السماوات والأرض قد مثّله الله (عز وجل) بالمشكاة، والمشكاة قد فسرّتها الأحاديث الشريفة بأنّها قلب النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)، فقلب الرسول (صلى الله عليه وآله) المادي هو تجل للنور الإلهي المعنوي، بمعنى أنّ نور الله (سبحانه وتعالى) الذي يهدي به الناس، قد تمثل بقلب الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله)، بمعنى أدق قد أصبح قلب النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله) هو الشرعة الصحيحة التي يهتدي الناس بها للصراط القويم، ((فشبّه نوره بالمصباح فلم يكن أقرب إليه (تعالى) قبولا في ذلك الهباء إلَّا حقيقة محمّد صلى الله عليه وآله وسلَّم لا المسماة بالعقل الأوّل ... فكان سيّد العالم بأسره وأوّل ظاهر في الوجود فكان وجوده من

([1])عيون المعجزات: ١٢٤، مكاتيب الأئمة: ٣٠٣/٦.

ذلك النور الإلهيّ ومن الهباء ومن الحقيقة الكلّيّة وفي الهباء وجد عينه وعين العالم تجلّيه وأقرب النّاس إليه علي بن أبي طالب وأسرار الأنبياء أجمعين))[١].

إذًا أصبح قلب الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) يعْدلُ عالما بأكمله، فعمَّ المكان بكل جزئياته، وأسر العالم بحيثياته.

(١) تفسير المحيط الأعظم والبحر الخظم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم: ٤١٣/٢.

المبحث الرابع: الألفاظ الغريبة:

لقد وردت مجموعة ألفاظ غريبة في توقيعات المعصومين (عليهم السلام)، تحتاج منا أنّ نبينها، وإنّما نعدها غريبة؛ لأن السليقة العربية لم تعد خالصة كما في السابق، فاللسان العربي تشوبه اليوم الكثير من الألفاظ الأعجمية [١]؛ بسبب الانفتاح على أقوام وحضارات مختلفة.

ومن هذه الألفاظ ما جاء في باب الطب والتداوي، كما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في جوابه لجابر بن حسان الصوفي [٢]، حينما كتب له يشتكي الريح الشابكة التي ضربته بين قرنه إلى أخمص قدميه، فدعا له الإمام الصادق (عليه السلام) وكتب إليه: ((**عليك بسعوط العنبر والزيبق على الريق تعافى منها شاء الله تعالى** .ففعل ذلك فكأنما نشط من عقال)) [٣]

السعوط: هو ((أسم لما يوضع في الأنف، نحو أسعطته الدواء، أسعطته الرمح؛ أي جعلته في أنفه، والأداة التي يوضع فيها الدواء تسمى: مسعط)) [٤]، والسعوط هو عبارة عن دهن، كأن يكون دهن الزيت أو الخردل [٥] أو دهن البان [٦] ، ويأتي أيضا بمعنى المبالغة في التفهيم، فتقول: أسعطته الكلمة فما فهمها، وتريد بها المبالغة [٧] ومنها ذكاء الريح في الأنف وحدتها ومبالغتها [٨]

---

(١) المقصود بالأعجمية ليست الفارسية فقط، وإنّما الألفاظ الغريبة والأجنبية عن العربية.

(٢) راو مجهول لم أعثر على ترجمة له، فضلا على عدم ورود رواية أخرى من هذا الطريق.

(٣) طب الأئمة: ٧٠، الفصول المهمة في أصول الأئمة: ١٧٩/٣، مكاتيب الأئمة:٤ /٣٣٩.

(٤) ينظر: الصحاح: ٣٢٠/١.

(٥) ينظر: أساس البلاغة: ٤٤٠.

(٦) ينظر: لسان العرب: ٣١٤/٧.

(٧) ينظر: أساس البلاغة: ٤٤٠.

(٨) ينظر: لسان العرب: ٣١٤/٧.

أما العنبر: فهو ضرب من الطيب [١] يخرج من البحر إلى الشاطئ [٢].

أما الزيبق: فهو دهن معروف [٣]، وهو سائل معدني لا يجمد إلا في درجة (٤٠ْ) تحت الصفر، وتسميه العامية: الزيبق [٤]، وهو أرطب من المعادن كلها، وأكثر هوائية منها؛ ولذا صار أسرع انحلالا انحلالا وتفرقا [٥]

إذًا فعمل دهان من العنبر والزئبق، ينتج عنه دهان ذو رائحة ذكية سريع الانحلال والتفكك، يمكن للمرء أن يتداوى به عن طريق الأنف.

ومنها ما ورد في باب الفقه، كما ورد عن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) في جوابه لسعدان عبد الرحمن [٦] في خصي يبول فيلقى من ذلك شدة ويرى البلل بعد البلل ؟ فقال (عليه السلام) : **((يتوضأ ثم ينتضح في النهار مرة واحدة))** [٧]، النضح جاء بمعان عدة منها: الرشح، نحو نضح

---

(١) ينظر: العين: ٣٤١/٢.

(٢) ينظر: غريب الحديث: ٢٦١/١.

(٣) ينظر: لسان الميزان: ١/هامش ٤١٩.

(٤) ينظر: فقه الطب: ١٧٢١٥/١١.

(٥) ينظر: فردوس الحكمة في الطب: ٣٦٩.

(٦) هو عبد الرحمن بن مسلم، لقبه سعدان، واعتمد عليه في الرواية الصدوق والكليني ،مصباح المنهاج، الطهارة: هامش ٣ / ١٢١.

(٧) الكافي: ٢٠/٣، مكاتيب الأئمة: ٣٩٩/٤.

الإناء بما فيه، وبمعنى الرش؛ نضح الماء رشه، وبمعنى الرمي؛ نضح القوم بالنبل؛ أي رماهم [١] ونضح البول إمرار الماء عليه برفق [٢]

وفي تخليص مواليهم من المعاملة الحرام ما ورد عن الإمام الكاظم (عليه السلام) في جوابه لرجل كتب إليه يسأله عن معاملة قوم يبيعهم الدقيق ويربح عليهم في القفيز درهمين إلى أجل معلوم ، وأنّ قومه قد سألوه أنّ يعطيهم عن نصف الدقيق دراهم، فما كان منه إلا أنّ يستغيث بالإمام الكاظم (صلوات الله وسلامه عليه)؛ لإيجاد حل يكتسب من خلاله المال الحلال، ويبتعد به عن المال الحرام، فكتب إليه: ((**اقرضهم الدراهم قرضا وازدد عليهم في نصف القفيز بقدر ما كنت تربح عليهم**))[٣]

القفيز: ((مكيال كان يكال به قديما ، ويختلف مقداره في البلاد)) [٤]، وقد ذكرت المصادر أن الاختلاف ليس في البلاد فقط، بل في المكيال ذاته، فقد يكون مقدار مساحة من الأرض، تقدر بمائة وأربع وأربعين ذراع، وقد يكون ثمانية مكاكيك [٥] ، وأثنى عشرة صاع، ومنها أيضا قفيز الطحان، وهو وهو الذي يأخذ القمح ليطحنه، ويأخذ قفيرا من الدقيق [٦].

---

(١) ينظر: المعجم الوسيط: ٩٢٨/٢.

(٢) ينظر: المغرب في ترتيب المعرب: ٤٦٦.

(٣) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة (أل البيت): ٥٦/١٨، مكاتيب الأئمة: ٤١٦/٤-٤١٧

(٤) القاموس الفقهي لغة واصطلاحا: ٣٠٧.

(٥) وهو ما يعادل ستة عشر كيلو، معجم المصطلحات الفقهية: ١٠٩/٣.

(٦) ينظر: المصطلحات: ٢٠٧٧.

أما ما جاء عن الإمام الكاظم (عليه السلام) في باب التنظف والأمور المستحبة، ما ورد عنه جوابه لرجل قال:أيتنور الرجل وهو جنب ؟ فكتب الإمام (عليه السلام): ((**النورة تزيد الجنب نظافة ، ولكن لا يجامع الرجل وهو مختضب ولا تجامع امرأة مختضبة**)) [١]

النورة هو: ((حجر الكلس ثم غلب على أخلاط تضاف إلى الكلس من زرنيخ وغيره)) [٢] وهو ما يعرف بالإسمنت الأبيض [٣] ،والنورة تستعمل لإزالة الشعر من العانة [٤].

أما ما ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام) فقد أعطى من خلاله قاعدة فقهية ثابتة بتوصيفه السمك الجائز أكله، عن السمك الذي لا يجوز أكله، وهي قاعدة قوامها عدم الاعتماد على القشور في حلّية الأكل؛ لسبب سيُذكر في الوقيع: ((**إن من السمك ما يكون له زعارة فيحتك بكل شيء فتذهب قشوره ولكن إذا اختلف طرفاه يعني ذنبه ورأسه فكله**))[٥] ، الزعارة هي: ((شراسة الخلق))[٦] فالمعنى فالمعنى إذًا أنّ السمكة تكون كثيرة الحركة والمشاكسة تحت الماء، فيحتك جلدها بكل شيء يطالعها، سواء أكان من أحجار البحر أو نباتته أو أسماك أخرى أكبر منها حجما، أو أشد منها شراسة، فتتساقط القشور منها، ويخالها المرء أنها من الأسماك المحرم أكلها، بَيْدَ أنَّ الإمام (صلوات الله وسلامه عليه) قد أعطى بديلا مثاليا، لمعرفة ما يَحلُ أكله من الذي لا يحل، فشكْل رأس السمكة وذنبها لا يمكن أن يتغير بأي شكل من الأشكال.

---

(١) الخرائج و الجرائح: ٦٥٢/٢، دلائل الإمامة:٣٢٤، مكاتيب الأئمة :٤٠٢/٤.

(٢) الاصطلاحات الفقهية في الرسائل العلمية: ٢٣١.

(٣) معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ٤٣١.

(٤) ينظر: المصطلحات: ١٦٥٥، وينظر: معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ٢٧١.

(٥) الكافي: ٢٢١/٦، مكاتيب الأئمة: ١٧٤/٥.

(٦) مختار الصحاح: ١٤٧.

وللزمن وألفاظه نصيب من الغرابة أيضا، فقد ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام) في جوابه لرجل قد أُشكل عليه فهم الروايات الواردة عن الأئمة (عليهم السلام) في باب فضل الصلاة بأول الوقت، فكان إشكاله عن تعيين أول الوقت وآخره، فالروايات الواردة عن الأئمة (عليهم السلام) قال بعضها: إذا زالت الشمس فقد دخل وقت الصلاتين إلا أن بين يديهما سبحة ان شئت طولت وان شئت قصرت ، وقد روى بعض رواة الأئمة (عليهم السلام): أن وقت الظهر على قدمين من الزوال ووقت العصر على أربعة أقدام من الزوال فان صليت قبل ذلك لم يجزك ، وبعضهم يقول يجزي ولكن الفضل في انتظار القدمين والأربعة أقدام ، وقد أحب هذا الرجل أن يعرف موضع الفضل في الوقت ؟ فكتب (عليه السلام): ((**القدمان والأربعة أقدام صواب جميعا**))[١]، إنّ قياس القدم –كما ورد في الكتب الفقهية– مرادف لقياس الذراع، وهذا مختص بما تتركه الشمس من مقدار الظل على الحائط، كما ورد عن: ((أبي جعفر ((عليه السلام)) في صحيح زرارة في وقت الظهر : ذراع من زوال الشمس ، ووقت العصر ذراع من وقت الظهر ، فذاك أربعة أقدام من زوال الشمس))[٢]

---

(١) تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد (رضوان الله عليه): ٢٤٩/٢، مكاتيب الأئمة: ١٢٠/٥.

(٢) مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام: ٥٥/٥.

الباب الثاني: الدراسة الفنية.

الفصل الثاني: الأسلوب.

- الاستفهام
- الأمر
- النهي
- الشرط

توطئة:

الأسلوب هو: ((مجموعة الطاقات الإيحائية في الخطاب الأدبي)) [١]، وواضح من التعريف أنّ في الأسلوب خبايا ترشدك إليها مجموعة من الأمور، كالسياق العام للنصّ، أو وجود كلمات مفتاحية تدلك على ما يرمي إليه الكاتب، وهو أيضا المنوال الذي تنسج فيه التراكيب ، والقالب الذي تفرغ فيه، والأسلوب يرجع إلى صورة ذهنيَّة للتراكيب المنتظمة كلياً باعتبار انطباقها على تركيب خاص[٢].

إذًا إنّ الأسلوب يتمايز من كاتب لآخر، بل إنّه يتمايز لدى الكاتب ذاته من حين لآخر، تبعا للمشاعر والأحاسيس بالنسبة للشاعر، وتبعا للظروف المحيطة بالنسبة لمن لهم مكانة سياسية أو اجتماعية، ولربّما تكون الأساليب التركيبية في الصنف الأول نابعة من المخيلة الذهنية التي تفرضها على النصّ مشاعره وأحاسيسه.

أما في الصنف الآخر، وبالخصوص ما نتتبعه عند أهل البيت (عليهم السلام)، لا يكون نابعا من انفعالات شخصية فرضتها العواطف، وإنّما هي ضرورة ملحة قد أوجب التعامل بها الخناق السلطوي آنذاك؛ ولذا نجد الأئمة المعصومين قد بدأوا بنشر تعاليمهم عن طريق الأدعية والمناجاة تارة، وعن طريق الألغاز واستعمال الآيات القرآنية تارة أخرى، في الوقت الذي بذلوا دمائهم من أجل تثبيت عقيدة ما.

وفي ضوء ما تقدم سيقوم الباحث بدراسة أبرز الأساليب التي شاعت في توقيعات الأئمة المعصومين (عليهم السلام) ، التي تشترك في كونها تابعة لعلمي (النحو ، والبلاغة) فتأخذ من الأول اسم المصطلح وطريقة التركيب ، ولكنها تخترق دلالته المثالية لتعطي دلالة جديدة مبتدعة من

---

(١) الأسلوب والأسلوبية ؛ نحو بديل ألسني في النقد الأدبي : ٩٠ .

(٢) ينظر مقدمة ابن خلدون : ٥٧٠ – ٥٧١ .

لدن الإمام (عليه السلام) ، وهذا هو صلب ما يعنى به العلم الثاني، تاركا كثيرا من الأساليب التركيبية الأخرى طلبا للاختصار.

المبحث الأول الاستفهام:

الاستفهام هو: ((طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل وذلك بأداة من إحدى أدواته الآتية – وهي: الهمزة، وهل، وما، ومتى، وأيان، وكيف، وأين، وأنى، وكم، وأي))[١]، ويستفهم بأسماء: ((غير ظروف وبظروف وبحروف فالأسماء من وَمَا وَأي وَكم والظروف مَتى وَأَيْنَ وَكَيف وَأي حِين وأيان وأنى والحروف الْهمزَة وَأم وَهل وَلكُل وَاحِدَة من هَذِه الْكَلم مَوضِع)) [٢].

وقد: ((تخرج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي (وهو طلب العلم بمجهول) فيستفهم بها عن الشيء مع (العلم به) – لأغراض أخرى: تُفهَم من سِياق الكلام ودلالته... يُرجع في إدراكها إلى الذوق الأدبي، ولا يكون استعمالها في غير ما وضعت له، إلا لطريفة أدبية، تجعل لهذا الاستعمال مزية، يترقى بها الكلام في درجات البلاغة))[٣]، وهذا يعني إنّ الاستفهام لا يأتي دائما على معناه العام، فقد يأتي بصورة التهكم والاستهزاء، أو يأتي بصورة الانكار، أو التقرير، وغيرها من الصور التي يأتي بها الاستفهام، ولا بد من الإشارة إلى السبب وراء عدم استعمال الباحث مفردة (استفهام خرج للتهكم مثلا)؛ وذلك لكون هذه المفردة قد صرّحت بخروج الاستفهام؛ أي أنّه لم يعد استفهاما لأنه خرج من الاستفهام لأغراض أخرى.

أما في استعمال الباحث (يأتي بصورة) قد أقر ببقاء الاستفهام إلا أنّ صورته قد طرأ عليها بعض التغيير، وواضح الفرق بين الاستعمالين فتأمل.

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ٧٨.

(٢) اللمع في العربية: ٢٢٧.

(٣) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ٨٣–٨٤.

فمما تغيرت صورته العامة ما ورد عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في جوابه لمعاوية بن أبي سفيان، حينما أراد أنّ يموه الأخير على الرعية معرفة من هي الفئة الباغية؟ فحاول اتهام الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بذلك، سادلا على نفسه ستار التضليل والخداع، فوقّع الإمام علي (عليه السلام): ((**فرسول الله (صلى الله عليه وآله) -إذن- قاتل حمزة**))[1]، فهنا لم يسأل الإمامُ علي بن أبي طالب (عليه السلام) معاويةَ هل أنّ رسول (صلى الله عليه وآله) هو قاتل حمزة أم لا؟ وإنّما هو استفهام إنكاري، أراد من خلاله الإمام (عليه السلام) أن ينفي قتل حمزة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومن ثمَّ من باب انطباق التمثيل بما أرداه (عليه السلام)، ينتفي قتل عمار بن ياسر عنه.

صحيحٌ أنّ من بعث شخصا لفعل عمل ما، يكون هو المسبب له والمسؤول عنه، فالمقاتل في ساحة المعركة عمر بن سعد، إلاّ أنّ المسؤول عن القتل هو يزيد بن معاوية، إذ إنّه قد دبّر وخطط لذلك، وأمر به، إلاّ أنّ الفرق واضحٌ بين المسألتين، فرسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يأمر حمزة بن عبد المطلب بقتال القوم، وإنّما دعا للجهاد، فمن أحب أن يتطوع في سبيل الله (سبحانه وتعالى) فكان بها ونعمت، وإنّ لم يشارك في القتال فإثمه أكبر، ومن ثمَّ يكون الإنسان قد جاء بمليء أرادته ولا يكون قائد الحرب مسؤول عن قتله.

وكذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) قد أعلن الحرب ضد الفرقة الباغية على الإسلام، ومن ثمَّ فهو جهاد، ومن أراد فليدخل، فتكون الفئة الباغية هي التي تقاتل المجاهدين، لا التي دعت الناس للجهاد.

والجميل في النصّ هو التمثيل والمفارقة بينهما، فالإمام علي (عليه السلام) قد جعل معركته وقتل عمار بن ياسر في قبال معركة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وقتل حمزة بن عبد

([1]) مكاتيب الأئمة: ٧٨/١.

المطلب، ومن ثمَّ فإنّ في هذا التمثيل جنبة تأكيدية على أنّ معاوية وحزبه هم الفئة الباغية؛ لأن مقتل حمزة قد وقع في معركة الرسول الأعظم ضد مشركي قريش، ومقتل عمار بن ياسر قد وقع في معركة الإمام علي (عليه السلام) ضد المارقين.

والجنبة الاخرى توضح للناس خطر مدعى معاوية من جهة، ومن جهة أخرى توضح من هو الخليفة الشرعي، الذي يكون مفترض الطاعة، من خلال مقارنة نفسه بنفس رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وقد استعمل الاستفهام الإنكاري الإمام الكاظم (عليه السلام) أيضا في جوابه لرجل سأله عن الصلاة في يوم غيم وهو خارج في الفلاة، فلا يعرف اتجاه القبلة، وبينما هو قد أنهى صلاته إذ بالشمس قد بدت له، فإنّ كان قد صلى لغير القبلة الصحيحة ما العمل، فأجاب الإمام الكاظم (عليه السلام) بقوله: ((**يعيدها ما لم يفته الوقت أو لم يعلم ؟ ! إن الله يقول وقوله الحق** ﴿ **فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ**﴾[١]))[٢]، فيحتمل أنّه توبيخ تأنيبي له لعدم علمه بتطبيق قوله (تعالى) على الحياة الواقعية، أو أنّه قد أنكر ذلك عليه، فيكون في السؤال غاية أخرى غير الاستفهام عن حال الصلاة على هذه الهيأة، ويكون في الجواب لغزا يعطيه الإمام (عليه السلام) من خلاله تعاليم أخرى.

ومنه ما جاء على صورة الاستفهام الإنكاري التوبيخي بعنف، من ذلك ما ورد عن الإمام العسكري (عليه السلام) في جوابه لرجل رأى أحد مواليه (عليه السلام) يعطي النفقات العظيمة بمكة المكرمة، فوقّع الإمام (عليه السلام) في رقعته: ((**قد كنا أمرنا له بمائة ألف دينار ، ثم أمرنا له بمثلها فأبى قبولها إبقاء علينا ، ما للناس والدخول في أمرنا فيما لم ندخلهم فيه ؟**))[٣]، فهنا نبرة

---

(١) البقرة: ١١٥.

(٢) تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد (رضوان الله عليه): ٤٩/٢، ومكاتيب الأئمة: ٤٠٣/٤.

(٣) الغيبة: ٢١٨، مكاتيب الأئمة: ٢٨٠/٦.

توبيخية ظاهرة في النصّ، إذ إنّ في السياق دلالة واضحة على العمل الدقيق الذي يقوم به هذا الرجل، وإلاّ ما كان أنّ يأمر له الإمام بمئة ألف دينار أخرى، فلا بد أنّه قد أتم هذا العمل على نحو من السرية لا يمكن من خلالها أنّ تكتشفه السلطة بأنّه مبعوث من الإمام (عليه السلام)، وبأنّ هذا المال مدفوع لإغاثة الشيعة في هذه الرقعة الجغرافية.

أما سبب توبيخ الإمام العسكري (عليه السلام) للرجل السائل –كما يرى الباحث– أنّ من خلال المكاتبة لربّما تتفتح آذان الجواسيس، وترصده عيون رجال السلطة، فيعلمون ما يقوم به الإمام (عليه السلام) مع مواليه من أعمال ربّما يؤدي جلها بحياة الإمام (صلوات الله وسلامه عليه)، وبحياة من يمسكونه من مواليه؛ فلذا قد اعتلى جرس التوبيخ بقسوة؛ ليشكل صداه رادع له ولمن يريد أنّ يحذو حذوه.

وعنه (عليه السلام) أيضا ما حمل الطابع التوبيخي والتعجبي في الوقت ذاته، ما ورد عنه في توبيخ قوم شككوا في التوقيع الصادر عنه، وقالوا فيه لحن، فكتب الإمام العسكري (عليه السلام): ((**ما بال قوم يلحنوننا ، وإن الكلمة نتكلم بها تنصرف على سبعين وجها ، فيها كلها المخرج منها والمحجة**))[1]، وهذا ما يدل على التقية التي كانت هي دينه ودين آبائه، وهي أسلوبهم الخاص الذي اتبعوه مع السلطة؛ لئلا تتقاطع مسارتهم مع مسارات السلطة الحاكمة، ويكونون على صدام مباشر معها.

فمن الطبيعي أنّ يوبخ الإمام من لم يعرف وجعهم بعد كل هذا العناء والمدارة للسلطة، وبذل الغالي والنفيس في سبيل حفظ هذا الخط وأتباعه من الضياع والتشرد، واندراس خبرهم، فقد حمل الاستفهام في طياته مزيد تألم وتحسر عليهم، وأشعرت أنغامه بأسى الإمام (عليه السلام) عليهم.

([1]) خاتمة المستدرك: ٢٩٦/١، مكاتيب الأئمة: ٢٨٣/٦.

ومن باب التعجب أيضا ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في جوابه للخليفة العباسي الذي كان حاكما في عصره، إذ كتب للإمام يعاتبه على عدم مجيئه للبلاط، فوقّع (عليه السلام): ((**ليس لنا ما نخافك من أجله، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنيك، ولا ترها نقمة فنعزيك بها، فماذا نصنع عندك؟.**))[1]، فيستفهم الإمام الصادق (عليه السلام) متعجبا من معاتبة الخليفة له، لعدم تردده (عليه السلام) على البلاط، فلا هو فاعل شيئا يخالف الدين الإسلامي الحنيف بالمرتبة الأولى، ولا يخالف السلطة الحاكمة بالمرتبة الأخرى، ولا يوجد عند الخليفة من أمر الآخرة ما يرجوه الإمام (عليه السلام) لآخرته، فلا هو شفيعا في القيامة، ولا هو تاليا للقرآن، ولا هو مذكّرا بالخير.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فليس الحكم والخلافة نعمة على أمثالهم؛ ليهنئه الإمام (عليه السلام) بها، ولا الخليفة يراها نقمة عليه؛ ليعزيه الإمام (عليه السلام) حينها، فحقيق بمن أُرسل له العتاب أن يتعجب من ذلك العتاب، فإنّ كان الشخص المعاتب لا يملك من أمور الدنيا والآخرة شيئا فماذا يفعل اللبيب عنده؟!!!.

قد أبلغ الإمام الصادق (عليه السلام) رسالته بنصّ قد انسبكت عباراته سبكا، جعلته يتمظهر بهيئة الكلمة الواحدة، فلا تنفك أحدها عن تاليتها، ولا هي تاركة سابقتها، وقد حملت الضدين في طياتها، فظاهرها معسول منمق يشوبه الاحترام، وباطنها عميق ذو أوجه، شعاره الثبات والإقدام، فلا عنده من الأمور ما يطلبه، ولا صدر منه ما يخافه على نفسه.

ولم تقتصر صور الاستفهام على التوبيخ والتعجب فقط، وإنّما أتت بمعنى التقرير أيضا، من ذلك ما ورد عن الإمام الجواد (عليه السلام) في جوابه لرجل من مواليه كتب إليه يشكو فقد ولده، وشدة حزنه عليه، وتألمه من فراقه، فوقّع الإمام الجواد (عليه السلام) في رقعته: ((**أما علمت أنّ الله عزّ**

([1]) مكاتيب الأئمة: ٤/١٤٠.

وجلّ يختار من مال المؤمنين ومن ولده أنفسه[كذا] ؛ ليأجره على ذلك))[١]، فهو تقرير من الإمام (عليه السلام) بابتلاء المؤمن من قبل الله (سبحانه وتعالى)، فإنّ الله عز وجل يمتحن المؤمن بالمال والبنين، إذ إنّهما زينة الحياة الدنيا، فيكون ابتلاء الله (سبحانه وتعالى) للمؤمن؛ ليأجره على ذلك، أو أنّه يمحص من ذنوبه ما يثقل به ميزانه.

وعن الإمام الهادي (عليه السلام) في جوابه لأيوب بن نوح، حينما كاتبه ليستفهم عن وقت النفور في آخر يوم من الحج، فمنهم من قال أنّه قبل الزوال، ومنهم من قال أنّه بعد الزوال، فكتب (عليه السلام): **((أما علمت أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) صلى الظهر والعصر بمكة ولا يكون ذلك إلا وقد نفر قبل الزوال))**[٢]، فقد أجاب الإمام (عليه السلام) بتقرير عمل النبي (صلى الله عليه وآله)، فهو لا يريد أن يستفهم من أيوب بن نوح أنّه قد عَلِمَ بما كان يفعل الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) أم لا؟ وذلك من البديهي؛ لأنه إنّ كان يعلم بما كان يفعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يسأل إطلاقا، إذًا فهو تقرير من الإمام الهادي (عليه السلام) بتثبيت أمر فقهي كان يعمل به رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وقد استعمل الإمام العسكري (عليه السلام) الوعيد ضمن صور الاستفهام، وذلك في ما ورد عنه من توقيع يتوعد به الفضل بن شاذان[٣] الذي كان يؤذي مواليه كثيرا، وبالخصوص ما قام به من إيذاء وكيل الإمام العسكري (عليه السلام) الذي أنفذه إلى نيسابور؛ لقبض حقوق الإمام من الناس، فقام الفضل بن شاذان بتكذيب الوكيل تارة، وبمنع الناس من دفع الحقوق أخرى، فتوعده الإمام العسكري (عليه السلام) بتوقيعه: **((الفضل بن شاذان ما له ولموالي يؤذيهم ويكذبهم وإني لأحلف**

---

(١) موسوعة المصطفى والعترة: ١٣/ ٣٢٠، مكاتيب الأئمة: ٤٢٧/٥.

(٢) الكافي: ٥٢١/٤، مكاتيب الأئمة: ١٢٧/٦.

(٣) هو أَبُو الْقَاسِم: الْعَبَّاس بن الْفضل بن شَاذان الدَّارِيّ ، فتح الباب في الكنى والألقاب: ٣١، توفي سنة (٢٦٠ هـ) ،الأعلام للزركلي: ١٥١/٣.

بحق آبائي لئن لم ينته الفضل بن شاذان عن هذا لأرمينه بمرماة لا يندمل جرحه منها في الدنيا ولا في الآخرة))[١]، قد قَرَعَ الإمام العسكري (عليه السلام) ناقوس التهديد، معلنا شديد استيائه مما يفعله ابن شاذان، من إيذاء موالي الإمام (عليه السلام) وتكذيبهم.

والملاحظ في الوعيد أنّه قد صدر من الإمام على مستوً عالٍ من الاستياء، إذ إنّه قد أقسم بحق آبائه، وأنّهم (عليهم السلام) لم يقسموا اعتباطا، أو مجرد كلام يقال، وإنّما يعنون ما يريدون فعلا، فقد حمل الاستفهام في طياته التعجب والاستياء والوعيد، وقد تضافرت العديد من العوامل لتعطي وعيدا صارما، يجعل من يعرفهم حق المعرفة ترتعد فرائصه خوفا، ففضلا على استعمال الاستفهام التوبيخي والتهديدي في آن واحد، فقد استعمل (إنّ) المؤكدة، والقسم، ولام القسم مرتين في السياق، فضلا على استمرار ما توعده به الإمام (عليه السلام) في الدنيا والآخرة، مما جعلته يحمل قوة لا يحملها نصّ غيره إذا ما فقد أحد عناصره.

---

(١) الإيضاح: ١٩، مكاتيب الأئمة: ٦/٢٤٥.

المبحث الثاني: الأمر:

إنّ للأمر معنيان، الأول حقيقي وهو: ((موضوع لطلب الفعل على جهة الاستعلاء؛ وذلك لتبادر هذا المعنى إلى الذهن عند سماع صيغة الأمر))[١]، والمعنى الآخر هو معن مجازي، وهو قد: ((يقتضي المقام استعمال صيغة الأمر في معناها الحقيقي –وهو طلب الفعل على جهة الاستعلاء– فإن قامت قرينة على منع إرادة هذا المعنى الحقيقي كان مجازًا، وإن لم تقم قرينة مانعة من إرادة هذا المعنى كان كناية))[٢]، فالمقصود بإقامة القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي للأمر، هو أنّ الأمر لا يأتي دائما من جهة الاستعلاء، فقد تُعكس المسألة ويكون الأمر إلى جهة الاستعلاء، فيكون حينها أمر بصورة الدعاء، وقد يكون صادر من شخص لأخر وهم بالمرتبة ذاتها، فيكون الأمر التماسا، فالقرينة موجودة في النصّ، يرشدك إليها السياق.

ومما تقدم يتضح لنا أنّ صور الأمر متكثرة، لا تكون دائما على صورة المعنى العام الحقيقي، ودواعي استعمال الصور الأخرى للأمر كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر، الدواعي البلاغية، أو دواع تنشأ من الواقع المعاش، والظروف المحيطة، أو تباين الجهة بين الآمر والمأمور وغيرها الكثير من الدواعي.

فما جاء عنهم (عليهم السلام) من باب معنى الأمر الحقيقي، ما ورد عن الإمام الكاظم (عليه السلام) في معرض جوابه لمن سأله عن صحة الرواية القائلة: إنّ الخمر إذا أصاب الثوب شيء منه، فإنه لا بأس بالصلاة بهذا الثوب، وإنْ حُرّم شربها، على حين تتناقل الرواة حديثا آخر معارضا لما ذُكر في الرواية الأولى، إذ إنّه قد منع من الصلاة بالثوب الذي أصابه الخمر، موجبا غسل الموضع الذي أصابه ، إنْ عرفه، وغسل الثوب كله إن لم يعلم الموضع، وإذا ما صلى بهذا الثوب فعليه إعادة

---

(١) البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع: ١٩٧.

(٢) المصدر السابق نفسه: ١٩٧.

الصلاة، فأجابه الإمام (عليه السلام): ((**خذ بقول أبي عبد الله (عليه السلام)**))[١]، إذ إنّ الرواية الأولى عن الإمام الباقر (عليه السلام)، والأخرى عن الإمام الصادق (عليه السلام).

والملاحظ في التوقيع أنّ الإمام (عليه السلام) لم يتعرض للرواة بالمدح أو الذم، وهذا يحتمل أن أحد الروايتين قد نُسبت للراوي، وليس ما نقله الراوي فعلا، فأمره الإمام (عليه السلام) بأخذ ما جاء في الرواية الأخرى، أو من باب العمل بأمر المتأخر عن المتقدم.

وعن الإمام الرضا (عليه السلام) ما ورد عنه في معرض جوابه لرجل يصنع أغماد السيوف من جلود الحمير الميتة، فتصيب هذه الحمير ثيابه، إذ إنّه كاتب الإمام (عليه السلام) يستفهم عن جواز الصلاة في هذا الثوب، فأجاب (عليه السلام): ((**اتخذ ثوبا لصلاتك**))[٢]، فباتخاذه ثوبا خاصا للصلاة، يحافظ على قدسية الصلاة، وأهميتها، فلا يكون حال الصلاة، كأي عمل يمارسه الشخص في حياته اليومية، ومن ثمَّ لا يكون لها أي روحية وقداسة، ولعل الصلاة بهذا الثوب جائزة؛ لكون الإمام لم يسبق قوله: (اتخذ ثوبا للصلاة) بـ (لا يجوز الصلاة بهذا الثوب)، مما يعني –بحسب ما يشير له السياق– أنّ المنع من جهة تأدبيه لا غير، والله العالم.

قد أمر الإمام الجواد (عليه السلام) شاعرا من أصحابه قد كتب له يستأذنه في رثاء أبيه الإمام الرضا (عليه السلام)، فأجابه الإمام الجواد (عليه السلام) بقوله: ((**اندبني واندب أبي**))[٣]، والندب عادة ما يكون للميت، إلا أنّ الإمام الجواد (عليه السلام) قد أطلق دلالة صريحة لأصحابه ومواليه بأنّ أجله قريب؛ لذا أمر الشاعر بندبه أيضا؛ ليُفهم مواليه بموته، ويتخذون الاجراءات اللازمة حينها.

---

(١) تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد (رضوان الله عليه): ٣٨١/١، مكاتيب الأئمة: ١٢٣/٥.
(٢) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة (آل البيت): ٤٨٩/٣، مكاتيب الأئمة: ١٢٤/٥.
(٣) بحار الأنوار الجامعة لأخبار الأئمة الأطهار: ٢٣٢/٢٦،مكاتيب الأئمة: ٣٢٠/٥.

تطالعنا في توقيعات أهل البيت (عليهم السلام) أول صورة لمعنى الأمر المجازي، وأكثرها استعمالا ألا وهي الإباحة، وقد كثرت هذه التوقيعات في الجانب الفقهي؛ لانحصار العلم الصحيح والموثوق عندهم، من ذلك ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في جوابه لرجل سأله عن الصلاة جماعة في مسجده، إذ كان له مسجدا على باب داره، وكان يصلي بالناس في مسجده، فكاتب الإمام الصادق (عليه السلام)؛ لمعرفة أيهما أفضل أيطيل الصلاة في منزله، أو أنه يصلي في الناس ويخفف؟ فوقّع (عليه السلام): ((**صلِّ بهم وأحسن الصلاة ولا تثقل**))[١]، فقد صدر الامر من الإمام هنا على نحو الإباحة له في الصلاة بهم، مراعيا في ذلك جانب الاهتمام بالصلاة وتأديتها على أفضل وجه، مع مراعاة وقت الناس فلا يثقل بهم، ومن ثمَّ سيأتي بالصلاة كاملة حسنة، محببا الناس بها، إذ إنّه لم يطل الصلاة بهم.

ومن ذلك ما ورد عن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) في جوابه لرجل من مواليه يسأله عن مبلغ من المال قدره مائتا وأربعون درهما قد وقع عنده، إذ إنّ للرجل فندقا يعمل به، وصاحب هذه الأموال قد ارتحل إلى الرفيق الأعلى، تاركا الرجل في حيرة من أمره، فلا هو يعرف ورثة الرجل المتوفى، فيسلم المال إليهم، ولا الرجل المتوفى من الذين يعرفونه الناس، فيدلوا صاحب الفندق على أهله، مما دعا الرجل لمكاتبة الإمام الكاظم (عليه السلام) طالبا المخرج مما هو فيه، فأجابه الإمام الكاظم (عليه السلام) بقوله: ((**اعمل فيها وأخرجها صدقة قليلا قليلا حتى تخرج**))[٢]، فقد أباح له الإمام الكاظم (عليه السلام) التصرف بهذا الأموال التي أصبحت بموت الرجل، وفقدان ورثته، أموالا مجهولة المالك، فقد أُبيحت الأموال على نحو يستفاد الرجل الموالي بها، في الوقت الذي تبرأ ذمته منها عن طريق إخراجها بعنوان الصدقة شيئا فشيئا.

---

(١) مكاتيب الأئمة: ٤/ ١٦٨.

(٢) تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد (رضوان الله عليه): ٣٨٩/٩، مكاتيب الأئمة: ٤٢٧/٤.

ولعل في هذا الإبطاء بإخراجها قليلا قليلا –كما يرى الباحث–، لربّما يحصل له التعرف على الورثة وتسليم الأموال إليهم، ويكون بذلك قد أرجع الحق لمن يستحقه، هذا من جانب، من جانب آخر، فإنّ في تأخير إخراج الأموال عملا بظاهر الشرع المقدس الذي يأمر بالتراخي الزمني، إذا ما وجد شخص ما مبلغا من المال؛ لتبرأ ذمته بقيامه بهذا العمل، على وفق ضوابط وتفاصيل اهتمت بسردها الكتب الفقهية، فمن شاء فليأخذها من مضانها.

وعن الإمام الكاظم (عليه السلام) أيضا في معرض جوابه لرجل كان له على شخص دراهم، وقد جحده ذلك الشخص أمواله، وبينما هو كذلك في مماطلة معه لاسترداد ماله منه، إذ وقعت بيد الدائن أموال المديون، فما كان منه إلا أنّ يكاتب الإمام الكاظم ليستفهم عن جواز اقتصاصه دراهمه من مال المديون، فوقّع عليه الصلاة والسلام: **((نعم فاقبض من تحت يدك وان استحلفك فاحلف له انه ليس له عليك شيء))**[1]، فقد أباح له الإمام (عليه السلام) اقتصاص دراهمه من الأموال التي وقعت بيده؛ وذلك لكون الشخص المديون قد جحده حقه، وأنكر الدين، ويبدو من السياق أنّ الرجل المديدون على درجة من الخبث لا يمكن معه الدائن أن يسترد حقه، فلربّما أنّ يده مبسوطة، أو أنّه ذو نفوذ طائل، أو أنّه سيء الخلق لدرجة لا يستطيع معها الدائن مطالبته بالدين.

فضلا على سماح الإمام له باقتصاص الدين، فقد أباح له أيضا بأنّ يحلف له، إذا ما استحلفه عن بقية الأموال، والمتتبع للتوقيع بدقة، يجد أنّ استعمال الإمام الكاظم (عليه السلام) استعمال فائق الدقة باختيار الألفاظ المناسبة للخروج من المسألة بسلاسة، فقد أمر الشخص الدائن بالقسم على أنّ ليس للمديون عليه شيء، لا يحلف له أنّ لا علم له بالأموال، أو أنّه لم يأخذها، والفرق واضح بين الاستعمالين.

---

(١) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة (آل البيت): ٢٨٥/٢٣، مكاتيب الأئمة: ٤٣٠/٤.

وقد أباح الإمام الجواد (عليه السلام) في معرض جوابه لمن سأله عن لبس جلود السنجاب والفنك والخزر، وقد شرط في الإجابة عدم استعمال التقية، فكان جوابه (عليه السلام): ((**صل فيها**))[١]، مجوزا له الصلاة بجلودها.

ومن صور الأمر التي وردت في توقيعات المعصومين (عليهم السلام)، هي الحفاظ على شيعتهم من المخاطر، أو الإهانة، من ذلك ما ورد عن الإمام الكاظم (عليه السلام) في جوابه ليونس بن عبد الرحمن، حينما كاتبه يونس يستفتيه عن حد عرض العقيق، أو بالأحرى عن الطريق الأسلم الذي يمرون به للحج، فأجبه الإمام الكاظم (عليه السلام): ((**أحرم من وجرة**))[٢]، فالملاحظ في التوقيع أنّ الإمام (عليه السلام) لم يخبره بحد عرض العقيق، وإنّما أعطاه طريقا بديلا لا تسكنه سوى السباع – كما قدمنا في مبحث المكان–، وما ذاك إلا للحفاظ عليهم من المخاطر التي تحيط بهم، فلربّما أرادوا اغتياله وهو في طريق الحج؛ لأنه وكيل الإمام ومعتمده، ولا يرى الباحث سببا آخرا؛ ليأمر الإمام الكاظم (عليه السلام) بأن يسلك يونس بن عبد الرحمن ذلك الطريق الذي لا يسكنه أحد.

ومن باب الحفاظ على مواليهم ومراعاتهم أيضا، ما ورد عن الإمام الهادي (عليه السلام) في جوابه لأيوب بن نوح، حينما سأله عن المؤمن يموت، وعند المغتسل جماعة من المرجئة [٣] ، فهل يغسل غسل العامة ولا يعممه ولا يصير معه جريدة؟، فكتب (عليه السلام): ((**يغسل غسل المؤمن**

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٢٦٢/١، مكاتيب الأئمة: ٣٥١/٥.

(٢) الكافي: ٣٢٠/٤–٣٢١، مكاتيب الأئمة: ٤١٣/٤.

(٣) كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد. واما بالمعنى الثاني فظاهر، فإنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة. وقيل الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة، فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا؛ من كون من أهل الجنة، أو من أهل النار. فعلى هذا: المرجئة ، الملل والنحل: ١٣٩/١.

وإن كانوا حضورا وأما الجريدة فليستخف بها ولا يرونه وليجتهد في ذلك جهده))[١]، فلم يأمره (عليه السلام) بأنّ يترك الجريدة وحسب، بل أمره بالاستخفاف بها، فلربّما أنّ قوما يحاولون التشنيع على الموالين بجلبهم الجريدة للميت؛ ولذا أمرهم بالاستخفاف بها، حفاظا على كرامتهم؛ لذا أمرهم بالاجتهاد بأن لا يرى أحدهم الجريدة.

أو أنّ المقصود من كلام الإمام (عليه السلام) (فليستخف بها) من الخفاء والخفية؛ بمعنى أن يجتهد الشخص الذي يلي تغسيل هذا المؤمن في إخفاء الجريدة؛ لئلا يراها المرجئة فيشنعوا عليهم مذهبهم، وهو الأرجح.

ولربّما يتعاظم الخطر، فلا يقتصر على إهانتهم والسخرية منهم، بل يطال أرواحهم، فتتتبعهم السلطة؛ للقضاء عليهم، كما أشار لذلك الإمام الهادي (عليه السلام) في جوابه لأيوب بن نوح أيضا، حينما سأله عن الفطرة التي طلب الناس أن يدفعوا قيمتها للإمام، وإنّ الرجل ذاته قد كرر هذا الفعل في عامه هذا، ومن قبل في عامه الماضي، فبعث أيوب بن نوح بالرجل للإمام الهادي ليدفع له عن كل شخص من عياله بدرهم على قيمة تسعة أرطال بدرهم، وقد بعث أيوب بن نوح للإمام يسأله عن رأيه بهذا العمل؟ فكتب له الإمام (عليه السلام): **((الفطرة قد كثر السؤال عنها وأنا أكره كل ما أدى إلى الشهرة ، فاقطعوا ذكر ذلك واقبض ممن دفع لها وأمسك عمن لم يدفع))**[٢]، فقد أمره الإمام الهادي (عليه السلام) بقطع السؤال عن الفطرة؛ معللا ذلك المنع بأنّ كثرة التساؤلات حول الفطرة، ستؤدي لاشتهار أمرها، ومن ثمَّ ستتنبه السلطة لمثل هذه التحركات، وتقوم بالقضاء عليها، فهم قد

---

(١) مشرق الشمسين وإكسير السعادتين:٣٣٢، مكاتيب الأئمة: ٨٢/٦.

(٢) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة (آل البيت): ٣٤٦/٩، مكاتيب الأئمة: ١٠٩/٦.

أعلنوا النفير العام منذ أن أطلق الإمام الجواد (عليه السلام) فتوى وجوب خمس المكاسب على شيعته، وقد عُدت هذه الفتوى وثيقة فعالة لقتله [١].

فضلا على منعه التساؤل عن الفطرة، فقد أمر وكيله بقبض من دفعها تطوعا بمحض إرادته، وليس له إنّ يجبر أحدا عليها، إذا ما امتنع عن أدائها، ولا حتى مناقشته؛ لئلا تلاحقهم السلطة، فتقتلهم، والجميل في الأمر أنّ الإمام (عليه السلام) قد أوقف التشديد والمطالبة بالحقوق الشرعية، خوفا على وكلائه ومواليه؛ وذلك لقيام الدين وديمومة حركته ببقائهم على قيد الحياة.

وقد حظيت صورة التسخير –أي أنّ يأمر الإمام أحد مواليهم في تسخيره بالقيام ببعض الأعمال– في توقيعات المعصومين (عليهم السلام) بمساحة كبيرة، نقتصر هنا على مجموعة من الأمثلة طلبا للاختصار، من ذلك ما ورد عن الإمام الكاظم (عليه السلام) في جوابه لرجل كتب له يخبره بموت رجل من أصحابه وقد أوصى له، ولم يترك وراثا غير امرأة، فيستفهم ما العمل حينها؟، فكتب له الإمام (عليه السلام): ((**اعط المرأة الربع واحمل الباقي إلينا**))[٢]، فقد سخره الإمام الكاظم (عليه السلام) بإعطاء المرأة حقها، وبحمل باقي التركة للإمام (عليه السلام).

ومن ذلك أيضا ما ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام) في معرض جوابه لسائل يسأل عن رجل مات وترك ابنته وأخاه، فأجابه الإمام الرضا (عليه السلام) بقوله: ((**ادفع المال إلى الابنة إن لم تخف من عمها شيئا**))[٣]، فقد أمره شخصيا بأن يدفع المال لابنة الرجل الذي مات، بشرط أنّ لا يخاف من عمها أن يأخذ الأموال ويبخسها حقها، او يتصرف بالأموال كيفما شاء، ويرى الباحث بأنّ السبب وراء

---

(١) معلومة إعلامية من برنامج الدين والحياة للقاضي الشيخ محمد كنعان، قناة كربلاء الفضائية.

(٢) الكافي: ٤/٣٢٠-٣٢١، مكاتيب الأئمة: ٤/٤١٣.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ٤/٢٦١، مكاتيب الأئمة: ٥/١٧٤.

تكليف السائل شخصيا هو أنّه من الموثوقين عندهم (عليهم السلام)، من جهة، ومن جهة أخرى أنّه أعلم من غيره بحال البنت وعمها.

وقد حملت توقيعاتهم (عليهم السلام) طابعا تهديديا بحسب ما يقتضيه المقام، من ذلك ما ورد عن الإمام الجواد (عليه السلام) في جوابه لعلي بن مهزيار الذي سأله عن رجل ابتاع ضيعة فأوقفها، وجعل للإمام الجواد في الوقف الخمس، وأراد هذا الرجل أن يبيع حصة الإمام من الأرض، فلا يدري أيبيعها أم يقيمها على نفسه، أو يتركها موقوفة؟ فأجاب الإمام الجواد (عليه السلام) بما نصّه: ((**اعلم فلانا اني آمره ببيع حقي من الضيعة وايصال ثمن ذلك إلي ، وان ذلك رأيي إن شاء الله أو يقومها على نفسه إن كان ذلك أوفق له**))[١]، فالسياق يشي بنبرة تهديدية، لربّما أراد الإمام من خلالها أن ينهي التخبط الذي تحصل للرجل جراء الاختلاف الشديد الذي وقع فيه من أُوقفت عليهم الأرض، فما نستشفه من السياق أنّ الرجل في حالة لا يأمن معها أن ينساق وراء كلام من هنا، وأمر من هناك، فأبلغه الإمام (عليه السلام) بطريقة تحمل نبرة استعلائية يُخبره عن طريقها بأنّ الأمر صادرا منه.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فلعله (عليه السلام) بهذه النبرة التهديدية أنّ يقضي على الخلاف الحاصل بين من أُوقفت عليهم الأرض.

وعنه أيضا (عليه السلام) في جوابه لرجل من مواليه سأله عن النكاح، فأجابه (عليه السلام) قائلا: ((**مَنْ خَطَبَ إِلَيْكُمْ فَرَضِيتُمْ دِينَه وأَمَانَتَه فَزَوِّجُوه** : ﴿ **إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ** ﴾[٢]))[٣]، لقد جعل الإمام الجواد مؤهلات الزواج بعين الاعتبار، وأهم شرطين في الشخص

---

(١) تهذيب الاحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد (رضوان الله عليه): ١٣٠/٩، مكاتيب الأئمة: ٣٧٠/٥.
(٢) الأنفال: ٧٣.
(٣) الكافي: ٣٤٧/٥، مكاتيب الأئمة: ٣٧٧/٥.

المتقدم، هما: الدين والأمانة، وإنّما حمل هذا التوقيع نبرة التهديد، لما سيترتب من فساد كبير في الأرض إذا لم يزوجوا من حمل هذين الشرطين، فستثار الفتن حول المذهب ومن يطبقوه.

ومما ورد عنهم من صور الأمر هو التداوي وأخذ العقاقير، من ذلك ما ورد عن الإمام الكاظم (عليه السلام)، حينما كتب له أحد مواليه عندما أصاب مكة وباء عارم، فكتب له الإمام (عليه السلام): **((كل التفاح))**[١]، فصورة الأمر هنا دلّت على الوقاية، وأخذ العلاج للتخلص من شر هذا الوباء الذي أصاب جل أهل مكة آنذاك، وهذه الصورة من الأمر تشير إلى عدم اقتصار دور الأئمة (عليهم السلام) على الجانب العقائدي، كما يرى بعض الباحثين.

وفي هذا المضمار أيضا ما ورد عن الإمام الهادي (عليه السلام) في جوابه لرجل يشكو البخر [٢] ، إذ قال: **((كل التمر البرنى))**[٣]، وكتب له آخر يشكو يبسا، فأجابه: **((كل التمر البرنى على الريق ، واشرب على الماء))**[٤]، وهنا أيضا قد أمر الإمام الهادي (عليه السلام) مواليه بأخذ العلاج الذي كان قوامه الغذاء الطبيعي الصحي، ففي الأول التمر، وفي الثاني التمر مع الماء، ولا بد من أنّ لهذين المكونين من فوائد جمة لا تقتصر على ما أراد السائل وحسب.

تلونت توقيعاتهم (عليهم السلام) بين أمر حقيقي صادر من جهة الاستعلاء، وبين صور تمظهر بها الأمر على غير معناه الحقيقي، فتارة تأتي للحفاظ على قوم، وتأتي لتهديد من يستحق التهديد والتوبيخ أخرى، في الوقت الذي رفلت توقيعاتهم (عليهم السلام) بالنصّح والإرشاد، من ذلك ما ورد عن الإمام الكاظم (عليه السلام) في معرض جوابه لرجل كتب يشكو له الدين، وضعفه عن تسديده، فكتب

---

(١) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ١٠٨/٣، وكذلك في مكاتيب الأئمة: ٤٣٣/٤.

(٢) البَخَرُ: ريحٌ كريهةٌ من الفم ،العين: ٢٥٩/٤.

(٣) المحاسن: ٥٣٣/٢، مكاتيب الأئمة: ١٧٤/٦.

(٤) المصدر السابق نفسه: ٥٣٣/٢، مكاتيب الأئمة: ١٧٤/٦.

له الإمام (عليه السلام): ((**اصبر تؤجر ، فإنك إن لم تصبر لم تؤجر ولم ترد قضاء الله عز وجل**))[١]، فهنا الأمر لا على نحو الإلزام والوجوب، وإنّما للنصّح والإرشاد، وقد تقدم في الفصل الثاني من الباب الأول ذكر الصبر وتفريعاته، والملاحظ في التوقيع أنّ الإمام الكاظم (عليه السلام) قد علل أمره بالصبر، فإنّه إنْ صبر على ما يمر به من ضيق الحال فإنّ الله (سبحانه وتعالى) لا يضيع أجره.

أما إذا لم يصبر، فإنّ الأجر الذي أراد الله (سبحانه وتعالى) أن يثبته له لن يحصل عليه، فضلا على عدم مقدرته على رد ما الله (سبحانه وتعالى) كاتبه عليه، فلا هو صبر واكتسب الأجر، ولا هو بعدم صبره ردَّ قضاء الله وقدره.

وقد حاكاه الإمام الجواد (عليه السلام) بالنصّح في معرض جوابه لرجل من مواليه قد آذاه الدين الفادح، فكتب الإمام الجواد (عليه السلام): ((**أكثر من الاستغفار ، و رطّب لسانك بقراءة ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾**[٢]))[٣]، فأمْرُه بإكثار الاستغفار مرده لقوله تعالى: ﴿ **وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ** ﴾ [هود/٥٢]، فبالاستغفار يتنزل الرزق، والله (سبحانه وتعالى) سيرسل السماء عليهم مدرارا.

وأما القرآن الكريم فكلّه عبر، وبقراءته تتنزل الرحمة على قارئه، فالإنسان بكلا الحالتين سيزداد رزقه، ويخرج من ضيق الحال الذي هو فيه.

أيضا ما ورد عن الإمام الجواد (عليه السلام) في معرض جوابه لعلي بن مهزيار حينما كاتبه يستعلمه عن أمر الروايات الصادرة عن آبائه، التي اختُلف فيها في الإتمام والتقصير في الحرمين، فأجابه (عليه السلام) على نحو التلطف واللين، كما يشي بذلك السياق، إذ قال: ((**قد علمت يرحمك**

---

(١) مشكاة الأنوار في غرر الاخبار: ٥٨، مكاتيب الأئمة: ٤٤٤/٤.

(٢) القدر: ١.

(٣) فضائل القرآن الكريم وخواص سوره وآياته: ٦٤/٢، مكاتيب الأئمة: ٤٠٨/٥.

الله فضل الصلاة في الحرمين على غيرهما فإني أحب لك إذا دخلتهما أن لا تقصر وتكثر فيهما الصلاة))[١]، فتجد حلاوة الألفاظ، ورقتها، وتناغمها، في الأمر، فافتتح كلامه بالدعوة له، ثم أردف قائلا: (فإني أحب لك)، ففي الحقيقة أنّ الصيغة، صيغة الأمر، إلاّ أنّ الإمام الجواد (عليه السلام) لم يصرح بذلك، وإنّما أفهمه بطريقة لطيفة، وما هذا التصرف إلا لعظيم منزلة علي بن مهزيار عند الإمام (صلوات الله وسلامه عليه).

ومما لم يُذكر غيره في التوقيعات ما ورد عنه (عليه السلام) أيضا، في معرض جوابه لرجل من مواليه يسأله جواز التظليل على نفسه وعلى عمته وهو محرم، وقد اشتد عليهما الحر، فأجابه الإمام الجواد (عليه السلام) بقوله: **((ظلل عليها وحدها))**[٢]، فظاهر النصّ يشير لجواز التظليل على عمة السائل فقط، وبهذا يكون الكلام قد تضمن نهيا باطنا، يمنع السائل من التظليل على نفسه، ولم ترد هذه الصورة بحسب ما لدينا من نصوص إلاّ في هذا التوقيع الذي بين يدي القارئ.

ومن غريب صيغ الأمر على صورة الدعاء التي وردت في توقيعاتهم (عليهم السلام)، ما جاء عن الإمام الهادي (عليه السلام) في دعائه لرجل سأله أن يدعو له ليزداد عمره، فكتب (عليه السلام): **((تصير إلى رحمة الله خير لك فتوفى الرجل بالخزيمية))**[٣]، فلربّما ببقاء هذا الرجل على قيد الحياة، لا يُأمن على نفسه من ارتكاب الموبقات، أو لربّما أنّ هناك ثمة ما يهدد أمنه، فيخرج بما وقع عليه من البلايا من ربقة الإسلام، ومن ثمَّ ستحبط أعماله.

وفي البشارة ما ورد عن الإمام العسكري (عليه السلام) في معرض جوابه لسائل كتب يشكو إليه أذى جاره الذي كان ملاصقا لداره، فطلب من الإمام (عليه السلام) أنّ يدعوا له بالفرج منه، فرجع

---

(١) الكافي: ٥٢٥٢/٤، مكاتيب الأئمة: ٣٥٦/٥.
(٢) الاستبصار فيما اختلف من الاخبار: ١٨٥/٢، مكاتيب الأئمة: ٣٦٤/٥.
(٣) بحار الأنوار الجامعة لأخبار الأئمة الأطهار، ٦٦/٤٩، مكاتيب الأئمة، ٦٢/٦.

الجواب: ((**أبشر بالفرج منه سريعا وأنت مالك داره**))[١]، فالأمر جاء من الإمام العسكري (عليه السلام) على نحو البشارة والتبشير، فعلى ما يبدو أن الرجل قد بلغ عنده السيل الزبى، فلم يعد يحتمل أذى جاره، لحد بلغ معه أنّ موت جاره يُعد بشارة وفرجا عنده، وهذه الصورة من الأمر قد تفرد بها الإمام العسكري (عليه السلام).

مما تقدم سابقا يتضح لنا عند تتبع ما لدينا من نصوص، إنّ صور الأمر متكثرة ومتنوعة، فمنها ما هو على المعنى العام الحقيقي، ومنها ما أخذ منحا مجازيا، فتمظهر بصورة الوعيد والتهديد تارة، وبصورة النصّح والإرشاد أخرى، على حين لم تقتصر صور الأمر عندهم على ما مر فشملت العلاج والتداوي، والدعاء والبشارة، وغيرها الكثير.

(١) المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء: ٣٢٩/٤، مكاتيب الائمة: ٣٠٩/٦.

المبحث الثالث: النهي:

النهي: ((وله حرف واحد، وهو (لا) الجازمة في نحو قولك: لا تفعل، وهو كالأمر في الاستعلاء. وقد يستعمل في غير طلب الكفّ أو الترك ؛ كالتهديد؛ كقولك لعبد لا يمتثل أمرك: لا تمتثل أمرى!))[١]، وذهب بعض العلماء أنّ المطلوب بالنهي: ((نفي الفعل، وأما حكاية الخطيبي الخلاف أنّ مطلوبه الكف أو الترك فغلط؛ لأن الكف هو الترك والترك فعل وهو غير نفى الفعل))[٢]، وقد حصل نقاش معمق حول الترك وتفرعاته، فهل أن المراد من النهي الترك الفوري، أم أنّه على تمهل فيه لكن الترك مطلوب؟، والكثير من التساؤلات التي تدخلنا في الأبواب الفقهية والعقائدية.

لقد شغلت صورة النهي الحقيقية في توقيعات المعصومين حيزا كبيرا، لا سيما في التوقيعات الفقهية، منها على نحو الاختصار، ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في جوابه لرجل كان يقضي شهر رمضان، وبينما هو في أيام قضائه، إذ أصابته الجنابة، فلم يغتسل حتى طلع الفجر، فكتب إليه (عليه السلام) يسأله ما الذي يفعله وهو على هذه الحالة، فكتب له الإمام الصادق (عليه السلام): ((**لا تصم هذا اليوم وصم غدا**))[٣]، فهو أمر حقيقي لم يظهر بصورة أخرى غير ما أُريد به، وأما نهيه (عليه السلام) عن صيام هذا اليوم فمرده لتفاصيل فقهية، تناولتها كتب الفقه.

وفي هذا المضمار أيضا، ما ورد عن الإمام الكاظم (عليه السلام) في معرض جوابه لشخص كتب يسأله عن أم ولد لرجل، كان أبوه قد وهبها له، وقد ولدت من ابن الشخص الواهب أولادا، وبعد ذلك زعمت بأنّ أباه كان قد وطئها قبل أن يهبها له، فكتب له الإمام (عليه السلام): ((**لا تصدق إنما**

---

(١) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ٤٦٩/١.
(٢) المصدر السابق نفسه: ٤٧٠/١.
(٣)مكاتيب الأئمة: ٤/ ١٦٩.

تهرب من سوء خلقه))[١]، فهو نهي حقيقي على نحو ترك التصديق بما تقوله الجارية، وقد علل الإمام الكاظم (عليه السلام) كذب الجارية؛ لكون الشخص الموهبة له سيء الخلق، فأرادت أن تهرب منه لهذه الخصلة الذميمة فيه.

وإنّ النهي كغيره من أساليب الإنشاء يكون على صور عديدة، وسنذكر نماذج من توقيعات أهل البيت (عليهم السلام)، بهذا الشأن، من ذلك ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في جوابه لرجل سأله عن صلاته في مسجده بالناس، أيقصر في الصلاة، أم يصلي في داره ويطيل؟ ، فأجابه الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله: **((صلِّ بهم وأحسن الصلاة ولا تثقل))**[٢]، فظاهر النصّ يدل على أنّ الإمام الصادق (عليه السلام)، إنّما نهاه عن التثقيل في الصلاة من باب الإرشاد؛ لئلا يتثاقل الناس من الصلاة، وبهذا العمل ستُحببُ صلاة الجماعة للناس، ولا ينفكون عنها، على الأقل من كان بقرب دار السائل.

وما جاء هذا النصّح إلاّ للحفاظ على صلاة الجماعة؛ لما لها من تأثيرات دينية واجتماعية، إذ إنّ في صلاة الجماعة أثرا فعالا في توطيد أواصر الأخوة والمحبة بين الآخرين، من جانب، من جانب آخر فإنّ في الجماعة تمظهرا متماسكا يثير الخوف في قلب العدو، وفي قلب من يتربص بهم الدوائر.

ومن هذا الباب أيضا ما ورد عن الإمام الجواد (عليه السلام) في معرض جوابه لمن سأله الاقتصار على قراءة سورة القدر في فرائضه وفي غيرها، أم يقرأ معها غيرها؟ أو أنّ لها حدا معينا يعمل به؟ فكتب له الإمام الجواد (عليه السلام): **((لا تدع من القرآن قصيره وطويله ، ويجزيك من قراءة إنا أنزلناه يومك وليلتك مائة مرة))**[٣]، فهو نهي على سبيل الإرشاد لما فيه خير الدنيا والآخرة،

---

(١) الكافي: ٥٦٦/٥، مكاتيب الأئمة: ٤٤٢/٤.

(٢) مكاتيب الأئمة: ٤/ ١٦٨.

(٣) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة (آل البيت): ٤٦٤/١٧، مكاتيب الأئمة: ٤٠٩/٥-٤١٠.

فإن القرآن الكريم كما وصف نفسه، بأنّه: ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا** ﴾ [الإسراء/٨٢]، فقصير آياته وطويلها، فيها الشفاء، والآجر، والتعاليم الدينية والدنيوية، فمع وجود حدود خاصة لسور معينة إلاّ أنّ بقية السور هي الأخرى لها أهميتها.

وفي قبال الإرشاد والنصّح في توقيعاتهم (عليهم السلام) هناك توبيخ وشدة لمن يستحقها، ففي جواب الإمام الكاظم (عليه السلام) لرجل قد كرر عليه السؤال عن شرب الفقاع، وفي كل أسألته يكتب للإمام يصف له الفقاع، فأجبه الإمام الكاظم (عليه السلام): ((**لا تشربه ولا تراجعني فيه**))[١]، ففي جواب الإمام الكاظم (عليه السلام) لهجة توبيخية قد بثَّ أصدائها السياق، فكلماته تصدح بالتوبيخ، بل بالشدة فيه؛ لكون الفقاع أحد المنجسات العشرة التي عددها الإسلام المقدس.

أما نهيه (عليه السلام) للسائل عن مراجعته مرة أخرى؛ لأن السائل لم يكتف بالجواب الأول ولا الثاني، بل ما فتأ يكاتب الإمام مرارا وتكرارا، مما يعني أنّ السائل لا يبغي اتباع الحق، والعمل بما يأمر به الشرع المقدس.

والجدير بالذكر هنا أنّ التوبيخ وإنْ كان ظاهره الشدة، إلاّ أنّ الباطن –كما يرى الباحث– أنّ التوبيخ يدخل ضمن الإرشاد، على الأقل مع بعض الموالين، فما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في حديثه المشهور: ((ليت السياط على رؤوس أصحابي ، حتى يتفقهوا في الحلال والحرام))[٢]، فالإمام الصادق (عليه السلام) لا يبغي توبيخ أصحابه أو مواليه، وإنّما لأجل تعلم الحلال والحرام؛ أي الفقه، وهذا –كما يراه الباحث– من باب حثهم على ما فيه صلاحهم في الآخرة والأولى، لا على سبيل القسوة والشدة.

---

(١) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة (آل البيت): ٢٥/٣٦٠-٣٦١.

(٢) معالم الدين وملاذ المجتهدين: ٢٦.

وفي هذا المضمار أيضا ما ورد عن الإمام العسكري (عليه السلام) في معرض جوابه لرجل سأله عن ختان الأولاد في اليوم السابع كما ورد عن الأئمة الأطهار، فإنّ الأرض تشكو إلى الله من بول الأغلف، فالسائل على علم بكل هذه التفاصيل، إلا أنّ حجامي بلدهم ليس لهم حذق بذلك، بل لا يختتون الأطفال في اليوم السابع، كما ذكر السائل، بيد أنّ حجامي اليهود يفعلون ذلك، فهل يجوز لهم أنّ يختتوا أطفال المسلمين؟، فأجابه الإمام (عليه السلام) بقوله: ((**يوم السابع فلا تخالفوا السنن إن شاء الله**))[١]،فهنا التوبيخ للجميع، لحجامي بلده، وله أيضا؛ لأن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) قد أمر أنْ يُختن الاطفال يوم السابع، فليس لأحد الاجتهاد قبال النصّ، ليخالف السنن.

ومما لاحظه الأئمة الأطهار (عليهم السلام) في توقيعاتهم هي المصلحة العامة لجميع شيعتهم، من ذلك ما ورد عن الإمام الكاظم (عليه السلام) في جوابه لوزير هارون المشهور علي بن يقطين، إذ كاتب الإمام (عليه السلام) يستأذنه في الخروج من عمل السلطان، بسبب ما يشكله البقاء معهم من ضيق لصدره، واستياء من عملهم، فكتب له الإمام (عليه السلام): ((**لا آذن لك بالخروج من عملهم ، واتق الله**))[٢]، فالملاحظ في التوقيع أنّ الإمام الكاظم (عليه السلام) قد راعى مصلحة الشيعة العامة؛ لكون مقام الوزير آنذاك له خطره في البلاط، فإنّه منصب حساس في تسيس الأمور وعقدها، أو إبطالها، فببقاء الوزير متسنما منصبه لربّما ينقذ أرواح الكثير من الشيعة من أنْ تُزهق، فصحيحٌ أنّ ابن يقطين يتألم من البقاء معهم، بل أنّ حياته في مرمى خطرهم، فلا يأمن على نفسه من اغتيالهم له، وقتلهم إياه في أي لحظة ما، إلاّ أنّ بقائه يصب في صالح كل القاعدة الشيعية، لاستنقاذهم من مكامن الخطر.

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٤٨٨/٣، مكاتيب الائمة: ٣١٧/٦.

(٢) قرب الإسناد: ٣٠٥-٣٠٦، مكاتيب الأئمة:٤٧٠/٤، وفيه زيادة تفيد في سبب منع الإمام (عليه السلام) لعلي بن يقطين.

هذا من جانب، من جانب آخر فإنّ الشيعة بوجود وزراء من بني جلدتهم في البلاط، يعطيهم دعامة قوية تمكّنهم من رفع رؤوسهم عاليا، ولهم كلمة الفصل في كثير من الأمور، فمع اتساع القاعدة الشيعية وارتفاع منسوب النخب، أصبح وجود وزراء شيعة في البلاط الحاكم ضرورة ملحة؛ لتوطيد أواصرهم، فلا تكون في بوتقة الضياع والاندثار.

من ذلك أيضا ما ورد عن الإمام العسكري (عليه السلام) حينما تجمع مواليه يترصدون خروجه في وقت ركوبه، فخرج توقيعه (عليه السلام) لشيعته: ((**ألا لا يسلمن علي أحد ، ولا يشير إلي بيده ولا يومئ فإنكم لا تؤمنون على أنفسكم**))[١]، فالتوقيع يشي بالوحشية الكبيرة التي تمارسها السلطة الغاشمة آنذاك، مما يعني أنّ السلطة كانت تتربص الدوائر بالشيعة، فما أنّ يروا أدنى ضوء يشير لتواجدهم في مكان ما، حتى يبادروا لإقصاء جميع من يجدوه، فالسلام خطر على أنفسهم وكذلك الإشارة والإيماء، أو كل فعل يدل على أنّهم من شيعته (عليه السلام).

إنّ الإمام العسكري (عليه السلام) يتكبد المعيشة غريبا، مؤثرا على نفسه أرواح مواليه، فهو حريص عليهم أشد الحرص لئلا تطالهم يد السلطة، فتقتلهم أو تعذبهم أو تشردهم، فلربّما يصبحوا جثث خامدين، أو يكونوا مشردين في الأزقة والآفاق.

وقد تكون المحافظة على أصل المذهب، فلا تقتصر المحافظة على رجالاته فقط، من ذلك ما ورد عن الإمام الهادي (عليه السلام)، في مكاتبته لبعض مواليه: ((**لا تلحوا في المتعة ، وإنما عليكم إقامة السنة ولا تشتغلوا بها عن فرشكم وحرائركم فيكفرن ويدعين على الأمرين [كذا] لكم بذلك ، ويلعنونا**))[٢]، فالنهي عن ممارسة زواج المتعة بكثرة، لا لأنه غير جائز؛ وإنّما بسبب الإكثار منه

---

(١) بحار الأنوار الجامعة لأخبار الأئمة الأطهار: ٢٦٩/٥٠.

(٢) خلاصة الإيجاز في المتعة: ٥٧، مكاتيب الأئمة: ١٥٤/٦.

والإلحاح فيه، ومن ثمَّ فإنّ نساء الرجال الذين يتزوجون زواج المتعة بكثرة، سيكفرن بهذا الدين الذي يأمر بترك الفراش، والإكثار من زواج المتعة، كما يبدو لهنَّ أنّ الدين كذلك.

ولا يقتصر فعلهنَّ على الكفر بالدين، وإنّما سيدعينَّ على أصحاب هذا الدين ويلعننهم؛ بسبب أنّ أزواجهن قد تركوهنَّ، فليس المراد من الأمر بزواج المتعة، الإكثار منه، وإنّما إقامة السنة وإحياؤها، فالنهي هنا على سبيل الحفاظ على المذهب وأصحابه، من تشتت الناس عنه، ومجَّ ما يأمر به من سنن وفرائض.

إنّ البعض لا يقدر قيمة نفسه، فيزجها في لجج الفتن، وتلاطم الأمواج، مما يجعل من نفسه مرمىً للإهانة والتحقير، من هذه النماذج هم الواقفة الذين وقفوا على الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)؛ لأسباب دنيوية، فمن صور تحقيرهم ما ورد عن الإمام الجواد (عليه السلام) في جوابه لرجل كاتبه عن الصلاة وراء من يقول بالوقف، فأجابه الإمام الجواد (عليه السلام): ((**لا تصل وراءه**))[١]، وبهذا التحقير فإنّ الإمام الجواد (عليه السلام) قد أسقط الشرعية عنهم، بل وأمر بالاستخفاف بهم فلا يصل أحدٌ ورائهم.

وقد وردت صورتان للنهي في توقيعات الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، الأولى هي إظهار إعجازهم أمام الناس، وتنبئهم ببعض الغيب؛ ليحافظوا على أرزاق مواليهم، فما ورد عنه (عليه السلام) في جوابه لرجل من مواليه قد كتب إليه يسأله عن الدخول في شراء ثمار من نواح شتى مع صديق له شراكة، فكتب له الإمام العسكري (عليه السلام): ((**لا تدخل في شيء من ذلك . ما أغفلك عن الجراد والحشف**))[٢]، وقد ذكر صاحب المكاتبة أنّ الجراد قد وقع على الثمار فأفسد جله، وما

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٣٧٩/١، مكاتيب الأئمة: ٣٥٣/٥.

(٢) مستدرك سفينة البحار: ٥٠/٢، مكاتيب الأئمة: ٣٠٨/٦.

تبقى منه قد تحشف، فلو لا إخبار الإمام العسكري (عليه السلام) بذلك، لوقع في بلاء، لا يعلم الخروج منه إلاّ الله (سبحانه وتعالى).

أما الصورة الأخرى التي وردت في توقيعاته (عليه السلام) هي الوقاية من الأمراض، إذ ورد في معرض جوابه (عليه السلام) لرجل سأله عن أكل البطيخ على الريق؛ لأنه كان مشغوفا به كثيرا، فأجابه الإمام العسكري (عليه السلام): **((لا تأكله على الريق فأنه يولد الفالج))**[1]، فصورة النهي التي وردت في التوقيع قد جاءت للوقاية من الأمراض التي يسببها سوء الأكل في بعض الأوقات، فالنهي هنا قد جاء للحفاظ على صحة الشخص الموالي من الوقوع في مخاطر الأمراض.

([1]) كشف الغمة في مغرفة الأئمة: ٣/٢٢٠، مكاتيب الأئمة: ٦/٣٠٨.

المبحث الرابع: الشرط:

إنّ لأسلوب الشرط قوة رابطة بين الجملتين، فأكثر جمل الشرط تكون الأولى سببا لحصول الثانية، أو سببا في عدم حصولها، فالشرط هو: ((أحد أساليب نظم الجملة ، يقوم على تعليق عبارتين ، كثيراً ما تكون الأولى سبباً للثانية ، أو مرتبطة بها على معنى من المعاني))[١] .

لقد أثار هذا الأسلوب اهتمام الدارسين في مجالي النحو والبلاغة ، وفي سياق الجمل المركبة[٢] ، وتكمن أهميته في أنَّه يعتمده كثير من المنشئين لعرض ما كمن في صدورهم ، بما يحتوي الشرط من صور وتعابير ذوات البعد العقلي والفني ، وذوات النفس الطويل والمريح في العرض [٣]، وإنّ في تنوع أدواته وكثرتها قد أصبح أسلوبا مرنا استهوى أنامل الكتاب، وحناجر المتكلمين؛ ولذا فإنّ أسلوب الشرط قد شغل مساحة كبيرة في توقيعات الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، بأدواته المتنوعة، ومعانيها المختلفة.

وأول هذه الأدوات ورودا في توقيعات الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، هي الأداة (إنْ)، التي غالبا ما تستعمل للمعاني المحتملة الوقوع، والمشكوك في وقوعها[٤]، وهذا ما نجده في جواب الإمام الحسن (عليه السلام) لمعاوية بن أبي سفيان، حينما كاتبه معاوية يخبره بأنّه قد صالحه على أنّ الأمر يكون للإمام من بعد معاوية، وقد وكد هذا الصلح بعهد الله وميثاقه، وبذمة رسوله أيضا، وأراد من خلال كتابه أنّ يبين للإمام الحسن (عليه السلام) أنّه شديد الوفاء بعهده الذي عاهد عليه؛ لكون أشد ما أخذ الله على عباده الوفاء بالعهود والعقود، وإنّ معاوية قد أضاف للبند الأول في العقد أنّه لا يبغي

---

(١) قواعد النحو العربي وفق نظرية النظم : ٣٥١ .

(٢) ينظر اللغة الشعرية ، دراسة في شعر حميد سعيد : ١٩٨

(٣) ينظر دعاء الإمام علي (عليه السلام) دراسة نحوية أسلوبية : ١٢٥.

(٤) ينظر معاني النحو : ٤ / ٤٤٨ .

الإمام الحسن (عليه السلام) غائلة ولا مكروها، فضلا على إعطائه للإمام الحسن (عليه السلام) ألف ألف درهم في كل سنة من بيت المال، فأجابه الإمام الحسن (عليه السلام) قائلا: ((**إنْ أمنت الناس بايعتك**))[١]، وهذا التشكيك من قبل الإمام الحسن (عليه السلام) في أمان معاوية للناس، يدلنا على أنّ معاوية سيأمّنهم شكليا؛ أي في الظاهر فقط.

ويشير أيضا إلى أنّ الإمام الحسن (عليه السلام) يؤثر على جميع حقوقه، حياة الناس، بل أمنهم، فهو مستعد لمبايعة معاوية بن أبي سفيان، إذ ما أمن الناس.

وكذلك وردت هذه الأداة في جواب الإمام الكاظم (عليه السلام) لعلي بن يقطين حينما أراد الخليفة العباسي آنذاك أن يدخل دارا في المسجد الحرام، عندما بنى المسجد الحرام، ولم يبق فيه سوى هذا الدار، بيد أنّ صاحب الدار قد امتنع عليهم فلم يسمح لهم بذلك، فكان جوابه (عليه السلام): ((**إن كانت الكعبة هي النازلة بالناس فالناس أولى بفنائها ، وإن كان الناس هم النازلون بفناء الكعبة فالكعبة أولى بفنائها.**))[٢]، فقد تكرر استعمال الأداة مرتين في النصّ، ليؤكد على امتناع احتمال أن تكون الكعبة هي النازلة في الناس، فكما تقدم آنفا، من أنّ هذه الأداة تستعمل لما هو مشكوك في حصوله، فكيف إذا تكررت في السياق مرتين؟!!!، مما يعني أنّ الإمام الكاظم (عليه السلام) قد أكد أنّ ليس لصاحب الدار أن يمتنع عليهم؛ ولذا قد ذكرت الرواية في الذيل، إنّ الخليفة العباسي عندما قرأ الكتاب، قد أمر بهدم تلك الدار.

وقد استُعملت الأداة (لو) بمعناها الوضعي الذي يعني: ((امتناع الشيء لامتناع غيره))[٣]، في توقيع الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) في معرض جوابه لمعاوية بن أبي سفيان حينما كاتبه

---

(١) مكاتيب الأئمة: ٣/٣٩-٤٠.

(٢) تفسير العياشي: ١/١٨٥-١٨٦، مكاتيب الأئمة: ٤/٤١٥.

(٣) معاني الحروف : ١٠١ .

يطلب منه أنّ يقاتل الخوارج، فكتب له: **((لو آثرت أن أقاتل أحدا من أهل القبلة لبدأت بقتالك فإني تركتك لصلاح الأمة وحقن دمائها))**[١] فلو إنّ الإمام الحسن (عليه السلام) أراد أنّ يُقاتل أحدا من المسلمين، لبدأ بقتال معاوية، فهو أحق من غيره بأنّ يُقاتَل، إلاّ أنّ الإمام الحسن (عليه السلام) لم ير الأرضية ممهدة لقتال القوم، فنأى بجانبه عن الحرب؛ حفظ لدماء القلة من أنصاره على وجه الخصوص، وحفظ دماء المسلمين على وجه العموم، فهو لم يقاتل الخوارج؛ لعدم رغبته بمقاتلة أي أحد.

وقد تأتي هذا الأداة لا بمعناها الوضعي، فقد ترد بمعنى تأخر حصول فعل الشرط وجوابه؛ وإنّ تُستعمل هذه الأداة –كما يرى الباحث–؛ لعدم وجود حد معلوم، وسنين معينة، فتستعمل هذه الأداة في هذا الخصوص، من ذلك ما ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام) في جوابه لموالٍ يشكو إليه جفاء أهل واسط له، وحملهم عليه، إذ كانوا عصابة مؤذية، كثيرا ما تؤذيه، فكتب له الإمام الرضا (عليه السلام): **((إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق أوليائنا على الصبر في دولة الباطل فاصبر لحكم ربك ، فلو قد قام سيد الخلق لقالوا : " يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون))**[٢]، فإنّ سيد الخلق سيقوم لا محالة، وهذا من المؤكدات في العقيدة الشيعية الاثني عشرية، وإنّ أهل الباطل سيقولون هذا القول، ويندمون على ما جرحوا في حياتهم السابقة، وإنّما استعمل الإمام الرضا الأداة (لو) كما يرى الباحث؛ هو لعدم تحديد قيام الإمام المهدي روحي لتراب مقدمه الفداء، بوقت معين، وإنّما ليس لظهوره وقيامه توقيت، بل من وقّت ظهوره يكون كذابا مفتري، فلعله هو السبب وراء استعمال الإمام الرضا (عليه السلام) لهذه الأداة.

---

(١) الغدير في الكتاب والسنة والأدب : ١٧٣/١٠، مكاتيب الأئمة : ٤٨/٣-٤٩.

(٢) الكافي: ٢٤٧/٨، مكاتيب الأئمة: ٢٦١/٥.

وقد ورد استعمال (من الشرطية) التي تستعمل للعاقل تارة، ولغير العاقل أخرى، وللجن ثالثة [١] في توقيع الإمام الهادي (عليه السلام)، إذ ورد عنه في معرض جوابه لرجل سأله عن العمل مع بني العباس، وأخذ ما أمكنه من أموالهم، فهل له رخصة في ذلك؟ وإذا كانت له الرخصة، فكيف المذهب في ذلك؟ فأجاب (عليه السلام): ((**من فعل ذلك فليس مدخله في العمل حراماً ، بل أجراً وثواباً**))[٢]، فهنا جاءت (من الشرطية) للعاقل الذي يدخل في عمل السلطان؛ لينفع بهذا العمل أصحابه، وبني جلدته.

وفي هذا المضمار أيضا ما ورد عن الإمام العسكري (عليه السلام) في معرض جوابه لسائل يسأل عن الوصي الذي يجب عليهم طاعته، فكتب له الإمام العسكري (عليه السلام): ((**من سأل آية أو برهانا فأعطي ما سأل ، ثم رجع عمن طلب منه الآية عذب ضعف العذاب . ومن صبر أعطي التأييد من الله . والناس مجبولون على حيلة إيثار الكتب المنشرة . نسأل الله السداد ، فإنما هو التسليم أو العطب ولله عاقبة الأمور**))[٣]، فورد استعمالها مرتين في هذا النصّ، فالأولى عمن سأل البرهان والآية والبينة، وقد أُعطي البينة التي لا مجال للشك فيها، ومع ذلك فإنّه يرجع عن التصديق بها، ويتراجع عن طلبه أيضا، فمن كان قعل كذلك فإنّه سيعذب ضعف العذاب كما أشار لذلك الإمام العسكري (عليه السلام).

أما الاستعمال الآخر، ففي بيان أجر من صبر على ما يمر به من فتن، وتلاطم أمواجها في خضم ناكر منها ومؤيد من هناك، في الوقت الذي التزام آخرون بالصمت والحياد، فمن يصبر في ظل

---

(١) ينظر معاني النحو: ٨٨/٤.

(٢) مستطرفات السرائر (باب النوادر): ١٢٦، مكاتيب الأئمة: ١٤٣/٦.

(٣) تحف العقول عن آل الرسول: ٤٨٦، مكاتيب الأئمة: ٢٦٤/٦-٢٦٥.

هذه الظروف، فإنّ الله (سبحانه وتعالى) سيعطيه التأييد؛ ليثبت به قلبه، فلا تزغه الأهواء، وقد استُعملت (من الشرطية) في كلا الموضعين للعاقل.

واستُعملت (إذا) الشرطية أيضا في توقيعات المعصومين (عليه السلام)، والأصل في هذه الأداة ((أن تكون للمقطوع بحصوله ولكثير الوقوع))[١]، كما إنَّ المتكلم يستطيع من خلالها أن يعلق شيئاً على شيء[٢]، وقد ورد استعمالها في ما جاء من جوابٍ عن الإمام الصادق (عليه السلام)، حينما كاتبه رجل من مواليه يسأله عن مسألة فقهية قد غاب أحد أركان الشاهدين عليها، على حين أنكر من بقى ولم يشهد، فوقع الرجل في حيرة من أمره، فهل له أن يأتي بالبينة حتى يشهدوا له بذلك، أم لا يجوز له حتى يجتمع الشهود؟، فأجابه الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله: ((**إذا كان في ذلك صلاح أمر القوم فلا بأس إن شاء الله**))[٣]، فالإمام الصادق (عليه السلام) قد علّق جواز ذلك على صلاح أمر القوم، فإنّ لم يكن في هذا التصرف صلاحهم فلا داع لاستعماله، وربّما أنّ جواز فعل ذلك –أي عرض البينة– هو صلاح أمر القوم، فأصبح صلاحهم محللا لعرض البينة.

من هذا الباب أيضا ما ورد عن الإمام الكاظم (عليه السلام) في معرض جوابه لشخص كتب له يسأله عن إعطاء الزكاة لقوم يقولون بمقالة يونس، فأجابه (عليه السلام): ((**نعم ، أعطهم فإن يونس أول من يجيب علينا إذا دعا**))[٤]، وقد أضاف صاحب المكاتيب: ((قال: كنا جلوسا بعد ذلك فدخل علينا رجل، فقال: قد مات أبو الحسن موسى (عليه السلام)، وكان يونس في المجلس، فقال يونس: يا معشر أهل المجلس، إنه ليس بيني وبين الله إمام إلا علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، فهو

---

(١) شرح المفصل : ٩ / ٤ .

(٢) ينظر في النحو العربي نقد وتوجيه : ٢١٩ .

(٣) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة (آل البيت): ٢٩٥/٢٧، مكاتيب الأئمة: ١٩٠/٤.

(٤) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: ٢٢٩/٩، مكاتيب الائمة: ٤٦٧/٤.

إمامي))[١]، وهذا السرد يساعد في فهم معنى كلام الإمام (عليه السلام) –إن يونس أول ما يجيب علينا– أن يونس هو من سيعين لهم الإمام بعد العبد الصالح؛ لما اشتهر آنذاك من الطوائف التي تعددت، كالواقفية والتناسخية والحلولية، وغيرهم، فتعلق شرف يونس ومن قال بقوله، بإجابته ولي الله حينما يدعوه.

(١) مكاتيب الأئمة: ٤/٤٦٧-٤٦٩.

الباب الثاني: الدراسة الفنية.

الفصل الثالث: الدلالة.

- التكرار
- الجناس
- السجع
- المقابلة
- التمثيل
- الاستعارة
- الكناية

المبحث الأول: التكرار:

التكرار هو: ((ذكر الشيء مرتين أو أكثر لداع))[١]، فالتكرار ما لم يكن لداع معين فيصبح حينها أحد العيوب المخلة بالفصاحة، ويكون الكلام: ((الخالي عن التكرار أفضل من المشتمل عليه وإن لم يكن مخلا بالفصاحة)) [٢].

وقد قيدّ البعض ورود التكرار لنكتة؛ وذلك لأجل: ((أن يكون إطنابا؛ لأن التكرار إذا كان لغير نكتة كان تطويلا، فلما كان التطويل ظاهرا في التكرار عند عدم النكتة قيد بها، وهذا بخلاف الإيضاح بعد الإبهام وذكر الخاص بعد العام فلا يكون كل منهما تطويلا أصلا؛ لأنه لا بد فيهما من النكتة، ولذا لم يقيدهما بها)) [٣].

وللتكرار دواع استعمالية كثيرة، منها: ((التأكيد وتقرير المعنى في النفس... استمالة المخاطب لقبول الخطاب... طول الكلام... تعدد المتعلق تعظيمًا لشأنه... قصد الاستيعاب)) [٤]

وإنّ الغرض الذي مثّل طابعا عاما بحسب ما لدينا من نصوص، هو التأكيد وتقرير المعنى في النفس وتوضيحه، من ذلك ما ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) في معرض جوابه لرجل كتب إليه يسأله عن حج ابن له كان معه عن أمه –أم الرجل السائل–، فسؤاله هو: هل تجزي هذه الحجة عن حج الإسلام؟ فكتب له الإمام (صلوات الله وسلامه عليه): ((**لا، وكان ابنه صرورة** [*] **وكانت أمه**

---

(١) البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع: ٢٤٥.

(٢) بحث: حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢ هـ): ٦٦٣/٢.

(٣) المصدر السابق نفسه: ٦٩٦/٢.

(٤) ينظر: البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع: ٢٤٥.

(*) يقال: رجلٌ صَرُورَةٌ، للذي لم يحجَّ ،الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٧١١/٢.

صرورة))[١]، فكرر الإمام الباقر (عليه السلام) مفردة (صرورة) التي تشير للشخص الذي لم يحج؛ لتقرير المعنى وتوضيحه، فيعرف الشخص السائل أنّ ابنه لم يحج، وكذلك أمه، مما يعني أنّ الحجة التي حجها تكون عن نفسه لا عن أمه.

وهذا التكرار قد استعمله الإمام الباقر (عليه السلام)؛ لأجل توضيح الأحكام الفقهية، وصون مضامينها من أن تكتنفها الغموض.

وفي هذا المضمار أيضا ما ورد عن الإمام الكاظم (عليه السلام) في جوابه لرجل يسأله عن الجنب أيتنور أم لا، فكتب له الإمام الكاظم (عليه السلام): **((النورة تزيد الجنب نظافة ، ولكن لا يجامع الرجل وهو مختضب ولا تجامع امرأة مختضبة))**[٢]، فواضح من التوقيع أنّ الإمام الكاظم (عليه السلام) قد قصد بتكرار مفردة (مختضبة/ مختضب) التوضيح والتفصيل للحكم؛ لئلا يلتبس على الناس، فأفاد هذا التكرار قوة في المعنى، ورصانة في الحكم، لا يمكن أن تتأتى هذه القوة عن طريق الاستعمال الواحد للمفردة.

وعن الإمام الرضا (عليه السلام) في جوابه لرجل سأله عن مقدار الفطرة الواجب دفعه، أيدفعه بالصاع المدني، أم بالصاع العراقي، فكتب له الإمام (عليه السلام): **((الصاع ستة أرطال بالمدني وتسعة أرطال بالعراقي))**[٣]، فكُررت مفردة (صاع) مرتين؛ للتفصيل وزيادة الوضوح.

كما يشير هذا التفصيل لعظمة قلوبهم (عليهم السلام)، وطهارة أنفسهم؛ إذ أنّهم (عليهم السلام) لا يسأمون من كثرة الرد والسؤال، كما لا يبخلون بالإجابة، بل لا يقتصرون على المقدار المتعين، فإنّهم يكثروا من التوضيح، ويزيدوا من التأكيد.

---

(١) مكاتيب الأئمة: ٤/١٩٦-١٩٧.

(٢) الخرائج و الجرائح: ٢/٦٥٢، دلائل الإمامة: ٣٢٤، ومكاتيب الأئمة: ٤/٤٠٢.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ٢/١٧٦، مكاتيب الأئمة: ٤/٤٠٩.

المبحث الثاني: السجع:

السجع لغةً: ((سَجَعَ الرجلُ إذا نطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن كما قيل: لِصُّها بَطَلٌ، وتمرها دَقَلٌ، إن كثُر الجيش بها جاعوا، وإن قلّوا ضاعوا يَسْجَعْ سَجْعا فهو ساجع وسجّاع وسجّاعة. والحمامةُ تَسْجَعُ سَجْعا إذا دعت، وهي سَجُوع ساجعة، وحمام سُجَّع سواجعُ))[١].

أما في الاصطلاح فهو: ((اتفاق اللفظ في آخر الجمل بالحرف الواحد)) [٢]، ويرى بعض العلماء: ((أن السجع منهي عنه في الأدعية بل وفي الكلام أيضا)) [٣]، إلاّ أنّ في الحقيقة قد استُعمل السجع كثيرا حتى في الأدعية، من هنا لا نجد وجها للمنع عنه، فقد ورد في جواب الإمام الكاظم (عليه السلام) لرجل من مواليه كتب يشكو إليه من وجع أصابه، فكتب له الإمام الكاظم (عليه السلام): ((**يا من لا يضام ولا يرام ، يا من به تواصل الأرحام صل على محمد وآل محمد ، وعافني من وجعي هذا**))[٤]، فقد استعمل الإمام الكاظم (عليه السلام) السجع في الدعاء، وغيره كثير من الأدعية التي أوردها المعصومون (عليهم السلام) فيها السجع.

وللسجع سوء استعمال، وآخر حسن، كما قيل: ((لبَعض الأدباء: مَا أحسن السجع؟ قَالَ: مَا خف على السّمع قيل: مثل مَاذَا؟ قَالَ: مثل هَذَا)) [٥]، فقد عنى الأديب بأن تكون عبارات السجع قصيرة، في الوقت الذي تؤدي فيه العبارة ذاتها المعنى المطلوب؛ ولذا قد قسم البلاغيون السجع إلى طويل وقصير، والقصير: ((أحسن لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السامع ولدلالته على قوة

---

(١) العين: ٢١٤/١.

(٢) الرسائل الأدبية: ٢٤٣.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة: ٢١٩/١.

(٤) الدعوات: ١٩٠، مكاتيب الأئمة: ٤٥٨/٤.

(٥) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: ٥١٠.

المنشئ. وأحسن القصير ما كان من لفظين نحو ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [١] . منه ما يكون من ثلاثة إلى عشرة، وما زاد عليها فهو من الطويل. ومنه ما يقرب من القصير بأن يكون تأليفه من إحدى عشرة إلى اثنتي عشرة، وأكثره خمس عشرة لفظة ...وفي الإتقان قالوا أحسن السّجع ما كان قصيرا وأقله كلمتان، والطويل ما زاد على العشر، وما بينهما متوسّط كآيات سورة القمر))[٢].

وللسجع ثلاثة أضرب:

١-السجع المرصع: ((هو أن تكون الألفاظ مستوية الأوزان، متفقة الأعجاز، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾[٣] وكقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[٤]))[٥].

٢-السجع المطرَّف: ((هو أن تتفق الكلمتان في حرف السجع لا في الوزن، كالرميم والأمم))[٦].

٣-السجع المتوازي: ((هو أن يراعى في الكلمتين الوزن، وحرف السجع، كالمحيا والمجرى، والقلم والنسم))[٧].

---

(١) المدثر: ١-٤.
(٢) موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون: ٩٣٠.
(٣) الغاشية: ٢٥-٢٦.
(٤) الانفطار: ١٣-١٤.
(٥) التعريفات: ٥٥-٥٦.
(٦) التعريفات: ١١٧.
(٧) المصدر السابق نفسه: ١١٨.

وأول نصّ يطالعنا في السجع، هو ما ورد عن الإمام الحسين (عليه السلام) في جوابه لأخٍ له قد كاتبه يستبطأه في مكاتبته، فكتب له الإمام الحسين (عليه السلام): **((يا أخي ليس تأكيد المودة بكثرة المزاورة ولا بمواترة المكاتبة ولكنها في القلب ثابتة وعند النوازل موجودة))**[١]، وهذا أحد ضروب السجع المطرّف؛ لكون كلمات السجع متفقة في حرف السجع، وكذلك الوزن، فجميع السجعات قد خُتمت بالتاء المربوطة، وبالتالي شكلَّ نسقا موسيقيا حمل في طياته التلطف للأخوة.

ومن جماليات هذا النصّ أنّه تكّون من عبارات قصيرة، جعلت منه نصّا متلاحقا، لا تنفك أحدى عباراته عن الأخرى، ففي قوله (عليه السلام): **(تأكيد المودة بكثرة المزاورة ولا بمواترة المكاتبة)**، فكما ترى أنَّ كل هذه السجعات قد تكونت من عبارتين فقط.

أما في الشطر الأخير من التوقيع فقد تكونت السجعات من ثلاث عبارات، إلا أنّها لم تُخل بجمال اللحن، وانسكاب العبارات، وحسن الوقع في السمع.

ومن السجع المتوازي ما ورد عن الإمام السجاد (عليه السلام) في جوابه للخليفة الأموي حينما كاتبه يستوهبه سيف رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولمّا أبى عليه الإمام السجاد (عليه السلام)، قد بعث الأموي إليه يهدده بالقتل ، أو بقطع رزقه من بيت المال، فأجابه (عليه السلام): **((أما بعد فإن الله ضمن للمتقين المخرج من حيث يكرهون ، والرزق من حيث لا يحتسبون ، وقال جل ذكره : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[٢] فانظر أينا أولى بهذه الآية))**[٣]، فالعبارات في السجعة الأولى أربع أربع عبارات، وفي السجعة الأخرى أربع عبارات أيضا، كما أنّ الوزن في السجعتين هو ذاته.

---

(١) بغية الطلب في تأريخ حلب: ٢٥٨٩/٦، في مكاتيب الأئمة: ١٥٢/٣.

(٢) الحج: ٣٨.

(٣) بحار الأنوار الجامعة لأخبار الأئمة الأطهار: ٩٥/٤٦، مكاتيب الأئمة: ١٧٧/٣.

وقد اتفق عجزيهما على حرفين، و هما (الواو، والنون)، فشكلّ جرسه لحنا موسيقيا أخاذا، قد أوصل الإمام (عليه السلام) عن طريقه رسالتين للخليفة الأموي، أحدهما أنّ المعايير التي يسير عليها الإمام (صلوات الله وسلامه عليه) هي معايير قرآنية بحتة، لا تأثير للهوى عليها، ولو بقيد أنملة.

والأخرى، قد راعى الإمام (صلوات الله وسلامه عليه) الجانب السلطوي الفتاك، فكتب له ما يناسبه من المدارة والتقية.

ومن السجع المرصع ما ورد عن الإمام الجواد (عليه السلام) في جوابه لأحد مواليه عن رجل خطب إلى آخر فطالت به الأيام والسنون، فلا يعلم ما يفعل، فكتب له الإمام الجواد (عليه السلام): **((لا يجب عليه إلاّ ما عقد عليه قلبه وثبتت عليه عزيمته))**[١]، فهو سجع اتفقت قافيتاه، إذ إنّ في السجعة الأولى ورد (عقد عليه قلبه)، وفي السجعة الأخرى (ثبتت عليه عزيمته)، فكما ترى أن الألفاظ متقابلة، والقوافي متفقة، مما أكسبه رونقا خاصا، أوضح عن طريقه ما يريد من إبلاغ الحكم، في الوقت الذي جعل (عليه السلام) جرس الألفاظ هو الذي ينبأ عما انطوى فيه من أحكام.

وكذلك ما ورد عن الإمام الهادي (عليه السلام) في جوابه لرجل من خُلص مواليه يسأله عما قاله الهشامان [٢] في الجسم والصورة، فكتب له (عليه السلام): **((دع عنك حيرة الحيران واستعذ بالله من الشيطان، ليس القول ما قال الهشامان))**[٣]، فتجد جمال انسباك العبارة، وتتابعها، وما أعطاها هذا الحسن والجمال، هي مجموعة عوامل قد تضافرت؛ لتنتج هذا الرونق، منها:

---

(١) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة (آل البيت): ٢٩٨/٢٠، مكاتيب الأئمة: ٣٧٩/٥.

(٢) أحدهما: هشام بن الحكم الأموي (ت ٤٠٣هـ)، الأعلام: ٣٣٥/٧، والآخر هو: هشام بن سالم، وهو رأس الفرقة الهشامية، وقد كان مفرطا في التجسيم والتشبيه؛ لأنه زعم أنّ ربه على صورة الإنسان، لكنه ليس بلحم ودم، بل نور ساطع، ينظر: الوافي بالوفيات: ٢٠٥/٢٧.

(٣) الكافي: ١٠٥/١، مكاتيب الأئمة: ١٧/٦.

- الحفاظ على عدد العبارات المستعملة في كل سجعة.
- الحفاظ على الوزن في استعمال السجعات.
- استعماله لحرفين في القافية، مما يزيد في حسن الوقع في القلب.

المبحث الثالث: الجناس:

الجناس من المصطلحات التي عدّها العلماء مندرجة تحت التوسع، لا عربية الأصل [١]؛ لذا قد عرّفه كل صاحب علم من زاوية نظره الخاص، فالجناس عند: ((البديعيين اتِّفَاق الْكَلِمَتَيْنِ فِي كل الْحُرُوف أَو أَكْثَرهَا مَعَ اخْتِلَاف الْمَعْنى، (الْجِنْس) الأَصْل وَالنَّوْع))[٢]، وتعريف المحدثين أكثر دقّة، وهو: ((أن يتشابه اللفظان نطقا ويختلفا معنى))[٣] .

وللجناس نوعان، يتضمن كل نوع منه أقسام متعددة، فالنوعان، هما:

الأول: الجناس التام، وهو: ((ما اتّفق فيه اللفظان المتجانسان في أربعة أمور هي: نوع الحروف، وعددها، وهيئتها، وترتيبها، كقوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ**﴾[٤]، فالساعة الأولى تعني القيامة، والساعة الثانية تعني مدّة من الزمن))[٥].

---

(١) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ٢٨٢/٢.
(٢) المعجم الوسيط: ١٤٠/١.
(٣) ينظر: علوم البلاغة(البديع والبيان والمعاني): ١١٤.
(٤) الروم: ٥٥.
(٥) علوم البلاغة(البديع والبيان والمعاني): ١١٤.

الثاني: الجناس غير التام: ((وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو أكثر من الأمور الأربعة السابقة. وهو على أنواع أيضا:

أ- الجناس الناقص: وهو ما اختلف فيه اللفظان في عدد أحرفهما فقط.

ب- إذا اختلفا في أنواع الحروف اشترط ألّا يقع الاختلاف بأكثر من حرف.

ت- إذا اختلفا في ترتيب الحروف سميّ الجناس جناس القلب))[١].

ومما ورد في توقيعاتهم (عليهم السلام) من باب الجناس، ما ورد عن الإمام علي (عليه السلام) في جوابه لرجلين قد تنازعا في أمر ما، وقد كاتبا الإمام عليا (عليه السلام) أنّ يتجشم عناء الحضور، فكتب لهما (عليه السلام): ((**العِلمُ يؤتى ولا يأتي**))[٢]، وهو من الجناس غير التام؛ لاختلافه في أنواع الحروف، وقد حقق اشتراط البلاغيون من أنّ الاختلاف يجب أن يقع بحرف واحد فقط.

فاللفظ الأول دلّ على أنّ الأشخاص هم من يجب عليهم أن يأتوه، واللفظ الآخر دلّ على أنّ العالم وغير العالم لا يستويان، بل للعالم على غير العالم فضل، فلا يأتي العالم لغير العالم، فكما ترى أنّ اللفظان متماثلان في الأحرف والنطق -بعيدا عن الحركات الأعرابية-، إلاّ أنّهما مختلفان بالمعنى.

وعنه أيضا (عليه السلام) في معرض جوابه لرجل كاتبه يسأله العطاء، فكتب له الإمام (عليه السلام): ((**شككت في حربنا فشككنا في عطائك**))[٣]، فالاختلاف هنا أيضا في حرف واحد، فهو من الجناس غير التام، فماثلت (شككت) الأولى (شككنا) الأخرى من حيث اللفظ، وافترقت عنها في المعنى، ففي الأولى جاءت بمعنى الظن والتردد في العقيدة، وفي الأخرى جاءت بمعنى المنع والقطع.

---

(١) ينظر: علوم البلاغة(البديع والبيان والمعاني): ١١٦-١١٨.

(٢) مكاتيب الأئمة:١/٥٤.

(٣) مكاتيب الأئمة: ١/٢٦٢، دعائم الإسلام: ١/٣٩٢.

المبحث الرابع: المقابلة:

المقابلة هي: ((أنّ يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، كقوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾[١]))[٢]، وقد تتركب المقابلة من: ((طباق وملحق به. مثال مقابلة اثنين باثنين قوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾[٣] وقول النبي (عليه السلام): "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنْزَع من شيء إلا شانه"[٤]))[٥]، مما تقدم يتضح لنا معنى المقابلة، من أنّها تركيب لفظي يكون الشطر الأول منه بمعنى، ويأتي الشطر الآخر منه بمعنى آخر يقابله، ولربّما أنّ الشطر الأول يتكون من مفردتين، فالشطر الآخر يقابله بكلمتين أيضا، وهكذا فإن كان ثلاثة فثلاثة، وإن أربعة فأربعة، وهكذا دواليك.

---

(١) الليل: ٤-١٠.

(٢) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ٣٠٣.

(٣) التوبة: ٨٢.

(٤) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: ٣/٤١٥.

(٥) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: ٤/٥٨٠.

وللمقابلة ركنان أساسيان تقوم بلاغتها عليهما، وهما: ((كثرة المقابلات والتضاد الحقيقي، فإذا اجتمعَا معًا كان أبلغَ وإذا تفرقَا حاذ كلٌّ جانبًا من البلاغة))[١].

مما ورد في توقيعات المعصومين (عليهم السلام) من المقابلة، هو ما ورد عن الإمام الحسين (عليه السلام) في معرض جوابه لرجل قد سأله أن يخبره بخير الدنيا والآخرة، فكتب له (عليه السلام): ((**من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس**))[٢]، فالتماس رضا الله (سبحانه وتعالى) بسخط الناس، على طرفي نقيض مع التماس رضا الناس بسخط الله (عز وجل)، وبالتالي ستكون النتائج لاتباع أحد النجدين، متضادة أيضا، فالطريق الأول سيتكفل الله (سبحانه وتعالى) بإكفائه مؤنة الناس، وهو غاية ما يرجوه الشخص؛ لكون الطلب من غير الله ذلة، وأما الطريق الآخر، فيوكله الله (عز وجل) فيه للناس.

وهذا النص قد جمع في طياته كثرة المقابلات، والتضاد الحقيقي، مما جعل منه نصّا غاية في البلاغة، وآية في الحلاوة.

من ذلك أيضا ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في جوابه للخليفة العباسي الذي ألح في قدومه للبلاط، ولما أجابه الإمام الصادق (عليه السلام) بنصّ قد أقحمه عن طريقه بشر ما خطط له، كتب الخليفة للإمام، أنّ سبب الدعوة هو النصح، فكتب الإمام الصادق (عليه السلام): ((**من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصحبك**))[٣]، فالدنيا عالم مختلف عن عالم الآخرة، وكذلك طلاب العالَمَينِ مختلفون، وبالتالي سينعكس هذا الاختلاف على وجهات النظر لكلا الطرفين، فمن

---

(١) البيان والبديع: ٣٩٨.
(٢) مكاتيب الأئمة:١٥٣/٣.
(٣) المصدر السابق نفسه: ١٤٠/٤.

أرادا الدنيا لا ينصحك بالتراجع عن اقتراف الذنوب والآثام واتباع الهوى، بل لربّما يزين هذا العمل؛ لينال شيئا مما تطمع له أنفسهم.

على حين من أراد الآخرة، فلا يصحبه إطلاقا؛ لكون مبتغى كل منهما مختلف عن الآخر، فنصّ الإمام الصادق (صلوات الله وسلامه عليه)، قد أوضح عن طريق وجيز كلماته، أبرز القواعد التي تمكن الشخص من تمييز صنوف الناس، وأنواعهم.

وفي هذا المضمار أيضا ما ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام) في معرض جوابه لرجل يسأله عن دَين له على رجل قدره ثلاثة آلاف درهم وكانت هذه الدراهم تنفق بين الناس تلك الأيام، بيد أنّ الأيام تبدلت، والدهور تصرفت فلم تعد الدراهم من الأموال التي يتعاطها الناس في وقته، فهل له أنّ يأخذ ما أعطاه عينا، أم يأخذ منه ما يصرف في وقته الحاضر بقيمة الذي أعطاه إياه، فكتب له الإمام الرضا (عليه السلام): ((**لك أن تأخذ منه ما ينفق بين الناس كما أعطيته ما ينفق بين الناس**))[1]، بهذا النصّ المليء بالبلاغة العالية، قد أعطى الإمام الرضا (عليه السلام) جواب مسألة فقهية قد أنقذ عن طريقها حق الشخص من أن يهدر؛ لكون الدراهم التي أعطاها الرجل أصبحت دون قيمة في وقت التسديد، بمعنى أنّه أخذ أموالا لا قيمة لها، على حين أعطى اموالا ذات قيمة كبيرة في وقتها.

فالمقابلة بين: (تأخذ منه) وبين (أعطيته) قد أثبت الحق للدائن من المديون، كما أعطت نصّا بليغا حمل الجمال في طياته، وأخرج الرونق بأبهى آياته.

ومن هذا الباب أيضا ما ورد عن الإمام الهادي (عليه السلام) في معرض جوابه لرجل يسأله عن العلم المنقول لهم عنه (عليه السلام) وعن آبائه الكرام، وإنّ هذا الكم المعرفي قد اختلف بعضه عن البعض الآخر، مما جعل بعض الموالين في حيرة من أمرهم لا يعلمون ما هو الصحيح، فوقع (عليه

([1]) الكافي: ٢٥٢/٥، مكاتيب الأئمة: ١٥٤/٥.

السلام): ((**ما علمتم أنّه قولنا فألزموه ، وما لم تعلموه فردوه إلينا**))[١]، فالضابطة في أخذ الحديث عنهم عليهم هي الاطمئنان الناتج من المدارك العقلائية بأنّه عنهم (صلوات الله وسلامه عليهم)، فإذا ما حصل شك خالج القلب، فما على الموالي سوى أن يرده لهم، أو للسياقات المتيقنة من أنّها عنهم، فيتكشف حينها الغبار عن الحقيقة، وتتجلى واضحة، لا يشوبها الشك.

وعن إمامنا العسكري (عليه السلام) أيضا، ما ورد عنه في جوابه لرجل كتب له يسأله عن صلاة المسافر في أول الليل، فكتب له (عليه السلام): ((**فضل صلاة المسافر من أول الليل كفضل صلاة المقيم في الحضر من آخر الليل**))[٢]، فالنصّ وإن كانت فيه إجابة عن مسألة فقهية إلا أنّه (عليه السلام)، قد أجابه بنصّ بليغٍ منمقٍ، يعلوه الجمال، ويتفايض منه الحسن.

فقابل (صلوات الله وسلامه عليه) صلاة المسافر من أول الليل، بصلاة المقيم في آخر الليل، وهي أحدى أروع المقابلات التي وردت عنهم (عليهم السلام) في هذا المضمار، والتي تُعد غيض من فيض بلاغتهم، وفصيح بيانهم.

---

(١) مستطرفات السرائر (موسعة ابن إدريس): ١٢٧، مكاتيب الأئمة: ٧٧/٦.

(٢) الحدائق الناظرة في أحكام العترة الطاهرة: ٢٣١/٦، مكاتيب الأئمة: ٣٢٨/٦.

المبحث الخامس: التمثيل:

التمثيل في اللغة: ((التَّمْثِيل و (عِنْد البيانيين) إِلْحَاق أَمر بِأَمْر لصفة مُشْتَرَكَة بَينهمَا كتشبيه الرجل بالأسد فِي الشجَاعَة و (تَشْبِيه المسجونين) أَخذ البصمات اللَّازِمَة وَكِتَابَة الْأَوْصَاف على استئمارة خَاصَّة لتحديد الشخصية))[١].

وأما في الاصطلاح فهو: ((عقد مماثلة بين أمرين، أو: أكثر، قصد اشتراكهما في صفة: أو: أكثر، بأداة: لغرض يقصد المتكلم للعلم))[٢]، وللتشبيه أركان أربعة قد يحذق بعضها وقد تأتي كاملة، فأركانه كالتالي[٣]:

(١) الممثل له: هو الأمر الذي يُراد الحاقه بغيره.

(٢) الممثل به: هو الأمر الذي يلحق به المشبه.

(٣) المثال: هو الوصف المشترك بين الطرفين، ويكون في المشبه به، أقوى منه في المشبه – وقد يُذكر وجه الشبه في الكلام، وقد يُحذف كما سيأتي توضيحه.

---

(١) المعجم الوسيط: ٤٧١.

(٢) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ٢١٩.

(٣) المصدر السابق نفسه: ٢١٩.

(٤) أسلوب التمثيل: هي اللفظ الذي يدلُ على التمثيل، ويربط الممثل بالممثل به، وقد تَذكر الأداة في التمثيل، وقد تحذف.

وفي الحقيقة أنّ للتمثيل تقسيمات عديدة، فقد يقسم إلى: حسي وعقلي، وقد يقسم إلى مفرد ومركب، وغيرها الكثير من التقسيمات التي اعتنت بشرحها وتفصيلها كتب البلاغة.

إنّ للتمثيل: ((روعة وجمال، وموقع حسنٌ في البلاغة: وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي، وإدنائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحاً ويكسبُها جمالا وفضلا، ويكسوها شرفا ونُبلا، فهو فن واسع النطاق، فسيح الخطو، ممتدُ الحواشي مُتَشعب الأطراف مُتوعر المسلك، غامض المدرك، دقيق المجرى غزير الجدَوى))[١]، يتضح لنا مما تقدم أنّ للتمثيل جمالا بلاغيا يرتقي في النصّ لمضان الحسن والروعة، وهو مع ما له من جمال ورقة في الأسلوب، فإنّه يُعين كثيرا في فهم بعض ما أُشكل فهمه؛ لكونه يقرب البعيد، ويخرج الخفي.

مما تقدم يتضح لنا أنّ استعمال التمثيل لا يأتي دائما للحسن والجمال، وإنّما لتقريب معنا بعيدا عن الذهن، أو غير مفهوم، من ذلك ما ورد عن الإمام علي (عليه السلام) في معرض جوابه عن مجموعة مسائل بعث بها معاوية إليه، منها سؤاله عن أول شيء اهتز على وجه الأرض، فأجابه الإمام علي (عليه السلام): ((**أما أول شيء اهتز على الأرض فهي النخلة، ومثلها مثل ابن آدم إذا قطع رأسه هلك وإذا قطعت رأس النخلة إنما هي جذع ملقى**))[٢]، فالتمثيل هنا تمثيلًا حسي [٣]؛ لكونه مدرك بأحد الحواس الخمسة، وهو تمثيل مرسل [٤]؛ لوجود أسلوب التمثيل (مثل) في السياق، إذن الممثل له

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ٢١٩.

(٢) الغارات، ١٨٧-١٨٩

(٣) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ٢٢١.

(٤) ينظر: المصدر السابق نفسه: ٢٣٨.

هي (النخلة)، والممثل به (ابن آدم)، وأسلوب التمثيل (مثل)، أما المثال فلم يُحذف من السياق وقد ذُكر في النصّ، فالمثال بينهما هو هلاكهما بقطع رأسهما، وهو تمثيلي؛ لكون الصورة منتزعة من مجموعة أمور.

إن النخلة التي مثلها أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بابن آدم هو تمثيل حقيقي ليس فيه من المجاز شيء؛ لما ورد عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) حول خلق النخلة، إذ ورد في مسند أبي يعلى: ((أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم وليس من الشجر يلقح غيرها))[١] ، و بهذا لا يكون التمثيل مجازيا؛ لأن آدم هو أبو البشرية كلها، فلا غرابة من أن تكون النخلة هي عمة البشرية كلها، وهي مخلوقة من نفس الطينة.

أما تمثيل النخلة بابن آدم من حيث قطع الرأس فهو تمثيل بغاية الروعة، إلا أن المفارقة ليست في التمثيل، وإنما في موت النخلة، فالمعروف أن كل الأشجار عندما يقطع رأسها لا تموت بذلك؛ لأنها ستغذى بواسطة الجذور، فما السر في موت النخلة إذ قطع رأسها بالرغم من وجود الجذور فيها أيضا؟!!.

لنتعرف أولا على السر في رأس الإنسان، الذي بقطعه تقطع حياة الشخص، بالرغم من عمل القلب الذي يعمل عمل الجذور في الأشجار.

رأس الإنسان هو المسؤول عن كل العمليات التي يقوم بها ، وهو المسؤول عن حركة الأعضاء، وهو الذي تتصل به الأوداج الأربعة التي بقطعها يموت الشخص، إذن فهو بمكانة المحرك الرئيسي الذي يدير جميع الوظائف، فعندما يقطع الرأس تقطع الشرايين معه مسببة ما يشبه الصدمة للقلب، فيتوقف الجسم عن العمل منهيا بذلك الحياة.

---

(١) مسند أبي يعلى: ٣٥٣/١.

اما رأس النخلة فهو: ((الجمار ... وهي شيء أبيض لين))[١]بقطعه أيضا ستتشكل صدمة لقلب النخلة –اللب–،[٢] فإذا: ((جز رَأس النَّخْلَة يَبِسَتْ فَلَا تلقح وَلَا تورق بعد))[٣] وتصبح حينها كما وصفها أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (عليهما السلام) (جذع ملقى)، إلا اللهم أنّ تُمس بيد مصطفً من الله (سبحانه وتعالى) كما حدث مع السيدة مريم حين هزت الجذع فبدأ يُتساقط رطبا جنيا، مما تقدم يتضح لنا تماثل النخلة بابن آدم تماثلا كبيرا، من حيث الخلق، والتكريم، وكذلك طريقة الموت.

وقد ورد استعمال الـ(الكاف) في توقيع الإمام الهادي (عليه السلام) في جوابه لرجل سأله عن التوبة النصّوح، فكتب له (عليه السلام): ((**أن يكون الباطن كالظاهر وأفضل من ذلك**))[٤]، فيكون الظاهر والباطن على حدٍ سواء، فكما أنّ الظاهر الذي طالما اهتم الإنسان بأنّ يظهره على أحسن وجه، وأبهى صورة، كذلك يجب أن يكون الباطن، فلا يقتصر اهتمام الإنسان على الجوارح، بل لا بد من الاهتمام أيضا بالجوانح، وإعطاءها جل الاهتمام.

هذا من جانب، من الجانب الآخر لعل المقصود بتماثل الظاهر والباطن هو التخلص من النفاق، فيُظهر الإنسان عين ما يبطن تماما، فالتوبة النصّوح تتحقق، بندم الضمير وتأنبه، وبتصديق هذا الندم بالأفعال.

المثال هنا محذوف، وتقديره أن يكون الباطن كالظاهر بالنقاوة والصدق والمثابرة.

---

(١) البحر الرائق: ٥٣٤/٤.

(٢) مقال على الشبكة المعلوماتية: mawdoo3.com

(٣) تنزيه الانبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء: ١٣٠/١.

(٤) معاني الاخبار: ١٧٤، مكاتيب الأئمة: ٢١٧/٦.

ومن استعمال (الكاف) أيضا ما ورد عن الإمام العسكري (عليه السلام) في معرض جوابه لرجل قد اختلج في صدره مسألتان، أحداهما عن الإمام المهدي (عليه السلام)، بم يقضي؟، فأجابه الإمام (عليه السلام): ((**سألت عن القائم إذا قام يقضي بين الناس بعلمه كقضاء داود ولا يسأل البينة**))[١]، فالإمام المهدي (صلوات الله وسلامه عليه) يقضي كقضاء نبي الله داود (عليه السلام)، وذلك بما له من اطلاع على بعض الغيب، فلا يسير وفق النواميس الطبيعية، كالسؤال عن البينة أو الشهود أو القسم، وفي هذا التوقيع جميع أركان التمثيل موجودة، فالممثل له (الإمام المهدي (عليه السلام)، والممثل به (نبي الله داود (عليه السلام)، وأسلوب التمثيل (الكاف)، والمثال مذكور أيضا في النصّ، إذ أنّهما عليهما السلام يقضيان من دون السؤال عن البينة.

(١) الخرائج والجرائح: ١/٤٣١-٤٣٢، مكاتيب الأئمة: ٦/٢٧٤.

المبحث السادس: الاستعارة:

الاستعارة في اللغة: ((الاسْتِعارةُ والعَارَةُ والعارِيَّةُ. وتَعَوَّرْتُ الشَّيْءَ: اسْتَعَرْتَه، ويُقال: الزَّمَانُ يَسْتَعِيرُه ثِيَابَه: إذا كَبِرَ وخَشِيَ المَوْتَ. والمُسْتَعارُ: المُتَدَاوَلُ. وفَرَسٌ مُعَارٌ: سَمِيْنٌ. وعَوَّرْتُ عنه: كذَّبْتَ عنه. وعَوَّرْتُ الرَّكِيَّةَ: كَبَسْتَها))[١] .

أما في الاصطلاح فإنّ الاستعارة هي أن: ((يكون للَّفظ أصلٌ في الوضع اللغوي معروفٌ تدلُّ الشواهد على أنه اخْتُصَّ به حين وُضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غيرَ لازمٍ، فيكون هناك كالعارِيَّة))[٢]، وما يُستعمل اللفظ على سبيل الإعارة، إلا لأجل البلاغة في التمثيل [٣]، ولاستعمال المبالغة في التمثيل دواع عدة، منها: لأجل التأكيد على أهمية الأمر الذي استُعير لأجله اللفظ، أو من أجل تقرير المعنى في النفس وتوضيحه، وغيره الكثير من الاستعمالات المختلفة والدواعي المتنوعة.

---

(١) المحيط في اللغة: ١١٨/١.

(٢) أسرار البلاغة: ٣٠.

(٣) ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: ٤٧٥/٣.

وللاستعارة ضربان، الأول حسي وهو كقولك: رأيتُ أسدًا، وأنت تريد الرجل الشجاع، فالأسد من المحسوسات، والآخر: عقلي، كقولك: أبديتُ نورًا، وأنت تريد إلقاء الحجة والبرهان [١]، مما تقدم يتضح لنا أنّ لا بد لكل استعارة من حقيقة، ولا بد لها من معنا مشترك بين المستعار والمستعار منه [٢].

وللاستعارة أربعة أركان: ((

(١) اللفظ المستعار.

(٢) المعنى المستعار منه، وهو المشبّه به.

(٣) المعنى المستعار له، وهو المشبّه.

(٤) القرينة الصارفة عن إرادة ما وُضِع له اللّفظ في اصطلاحٍ به التخاطب. والقرينة دليلٌ من المقال، أو من الحال، أو عقليٌّ صرْف))[٣].

أما أنواع الاستعارة فهي تُقسم من حيث حذف المشبه والمشبه به إلى نوعين، كالآتي: ((فإن حذفت المشبه وصرحت بالمشبه به فهي الاستعارة التصريحية، وإن حذفت المشبه به وأبقيت شيئاً من لوازمه فهي الاستعارة المكنية))[٤].

فأول نصّ يطالعنا في الاستعارة هو ما ورد عن إمام البلاغة والبيان، علي بن أبي طالب (عليه السلام)، في معرض جوابه على مجموعة من الاسئلة قد بعث بها معاوية إليه، فمن الأجوبة قوله

---

(١) ينظر: المصدر السابق نفسه: ٣/٤٧٥-٤٧٦.

(٢) ينظر: علم البيان: ٢١.

(٣) البلاغة العربية: ٢/٢٣٠.

(٤) البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع: ٤٤.

(عليه السلام): ((**وأول شيء ضج على الأرض واد باليمن وهو أول واد فار منه الماء**))[١]، الضجيج في اللغة يقال لـ: ((البَعير، وضَجاجُ القَومِ وهو لجَبُهم))[٢]، فهو للحيوان وللإنسان، وبمعنى أدق للأحياء دون الجمادات، والوادي كما هو معروف من الجمادات.

قد استعار الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) مفردة (الضجيج)؛ ليعطي معنى، يشي بقوة الماء المنبعث من الوادي وشدته؛ لكون الضجيج يعتلي منه الصراخ، وتنتشر منه الجلبة، مما يعني هيجان مستمر من دون استقرار، فيولد حالة من الزعزعة والفوران ولربّما التخبط في بعض الأحيان، فأفادت الاستعارة في تشكيل صورة وهاجة، للماء الفائر، من الوادي الذي ضجّ على الأرض، وهي من الاستعارة الحسية.

ومن النصوص أيضا ما ورد عن الإمام الحسين (عليه السلام)، في جوابه لأخيه الإمام الحسن (عليه السلام)، حينما عاتبه عن بذل الأموال في سبيل الشعراء، فكتب له (عليه السلام): ((**أَنْت أعلم مني أَن خير المَال مَا وقى الْعرض**))[٣] ، فالمتعارف عليه أنّ الذي يقي العرض هو الإنسان ذاته، أما بيده أو بلسانه، أو بوسيلة من الوسائل المعينة؛ لكونه أحرص الناس على عرضه، بل لربّما يصبح الإنسان أكثر حرصا على عرضه من العرض ذاته.

قد استعار الإمام الحسين (عليه السلام) مفهوم الوقاية من الإنسان أي من الكائن الحي، للمال الذي هو جماد، وإنّما استعار الإمام الحسين (عليه السلام) هذا المفهوم للمال؛ لكونه أحد الوسائل التي يستعملها الإنسان في وقاية عرضه، كأن يسكت أفواه البعض من أنّ يتعرضوا له بسوء، أو بأنّ يفتحها

---

(١) الغارات، ١٨٧-١٨٩.

(٢) العين: ٤/٦.

(٣) هداية الأمة إلى أحكام الأئمة: ٣٥٩/٧، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة(آل البيت): ٥٥٧/٢١، العوالم، ٦٧، نزهة الناظر و تنبيه الخاطر: ٨٣، تاريخ ابن معين: ١٠١/٢.

لمدحهم وذكر فضلهم، من هنا حذف الإمام الحسين (عليه السلام) الفاعل الحقيقي للوقائية، وأعار وظيفته للمال، وهي من الاستعارة الحسية؛ لكون المال من المحسوسات.

وفي هذا المضمار أيضا ما ورد عنه (عليه السلام)، في مكاتبته لأخ له يستبطأه في المجيء، فكتب له (عليه السلام): ((**يا أخي ليس تأكيد المودة بكثرة المزاورة ولا بمواترة المكاتبة ولكنها في القلب ثابتة وعند النوازل موجودة**))[١]، فالمودة لها آثار تجعل الإنسان يفتدي من يوده بروحه وجسده، بل بكل ما يملك؛ لئلا يصيبه مكروها ما، فبسبب عظيم الأثر الذي تتركه المودة على تصرفات الشخص وأفعاله قد قُدمت على الفاعل لها، والمتمثل بها، فالمودة ليست من الأشياء الحسية، بل من الأمور العقلية.

وعن الإمام الصداق (عليه السلام) في معرض جوابه لرجل شامي كتب إليه يسأله التزود من علومهم، والنهل من موردهم، فوقع (عليه السلام) في رقعته: ((**أما بعد، فإنّ حديثنا حديث هيوب ذعور، فإن كنت ترى أنك تحتمله، فاكتب لنا والسلام**))[٢]، الهيوب في اللغة: ((الّذي يُرَى له هَيْبة))[٣]، أما الذعور فهي صفة للمرأة، فيقال: ((امرأة ذَعور: وهي التي تُذعَر [من كل شيء]))[٤]، فالصفتان اللتان استعارهما الإمام الصادق (عليه السلام) لكلامهم، قد أُخذا من صفات كائنات حية عاقلة، فالهيوب مفردةٌ تُقال للرجل، على حين الذعور مفردةٌ تُقال للمرأة، وإنّ المناسبة بين المستعار منه والمستعار له واضحة جلية، إذ أنّ الإنسان قد يهابه الناس، أو هو يهاب الناس، وقد يكون على درجة من الخوف أو من الحذر تجعله يذعر من كل شيء.

---

(١) بغية الطلب في تأريخ حلب: ٢٥٨٩/٦، ومكاتيب الأئمة: ١٥٢/٣.

(٢) مكاتيب الأئمة: ٨٧/٤-٨٨.

(٣) العين: ٩٨/٤.

(٤) الغريب المصنف: ٣٩٩/٢.

من هنا فإنّ حديثهم (عليهم السلام) هو حديث تهابه الناس؛ لما فيه من غور بعيد، ومنطق فريد، ورؤيا خاصة، فلا يحتمله أي أحد، ولا يُوفق لفهمه من هب ودب، فلربّما يتعرض الشخص للقتل أو السجن أو التعذيب، في تطبيق جزئية من جزئياته، أو الحفاظ على أحد مضموناته.

وفي هذا الباب أيضا ما ورد عن الإمام الكاظم (عليه السلام) في جوابه للخليفة العباسي حينما كتب إليه يستفتيه عن هدم البيوت الواقعة بالقرب من الكعبة المشرفة، فكتب له (عليه السلام): ((**إن كانت الكعبة هي النازلة بالناس فالناس أولى بفنائها ، وإن كان الناس هم النازلون بفناء الكعبة فالكعبة أولى بفنائها**))[١]، فالنزول بمكان ما من صفات الكائن الحي العاقل المختار، لا من صفات الجمادات، وإنّما استعار الإمام هذه المفردة للكعبة، من أجل توضيح أنّ الكعبة المشرفة لا تنزل بالناس، وإنّما هم من نزلوا بساحتها، ورفلوا بفنائها، فهي من لها الحق الأول، عليهم وعلى سائر الأماكن الأخرى.

هذا من جانب ومن جانب آخر، أراد توضيح أسبقية التواجد في المكان المتنازع فيه، فعن طريق تأكيد نزول الناس بفناء الكعبة، تأكيدا على أسبقية تواجدها.

وعن الإمام الجواد (عليه السلام) في معرض جوابه لرجل سأله عن شخص خطب إلى رجل فطالت به الأيام والسنون، فما يفعل والحال هذه، فكتب له (عليه السلام): ((**لا يجب عليه إلا ما عقد عليه قلبه وثبتت عليه عزيمته**))[٢]، العقد والتعاقد عادة ما يكون بين شخصين معينين وفق ضوابط وشروط معينة، وقد شدد الله (سبحانه وتعالى) على الوفاء بالعقود إذ قال في محكم كتابه العزيز: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ**﴾ [المائدة/١٠١]، فالعقود من الأمور المهمة في الإسلام؛ لضمان حقوق المتعاقدين، ولئلا تُتجاوز حدود الله (عز وجل).

---

(١) تفسير العياشي: ١/١٨٥-١٨٦، مكاتيب الأئمة: ٤/٤١٥.

(٢) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة (آل البيت): ٢٠/٢٩٨، مكاتيب الأئمة: ٥/٣٧٩.

الجميل في هذا النصّ أنّ الإمام الجواد (عليه السلام) قد جعل الأمر الذي أقدم عليه الرجل بصفة المتعاقد مع شخص ما على أمر معين؛ ليبين عن طريق استعارةِ هذه المفردة للقلب على أهمية ما أقدم عليه وعلى خطره وأثره البليغ في المجتمع، وليبين أيضا للشخص المتقدم وجب الوفاء بالعقد.

وعنه (عليه السلام) أيضا في وصيته لرجل طلب منه النصح والإرشاد، فكتب له (عليه السلام): ((**توسد الصبر واعتنق الفقر . وارفض الشهوات . وخالف الهوى . واعلم أنك لن تخلو من عين الله فانظر كيف تكون**))[١]، التوسد في اللغة: ((أن يضع الإنسان رأسه على الوسادة... والوساد: هو كل ما يوضع تحت رأسه، أكان من تراب أو من الحجارة)) [٢]، أو يد الإنسان أو شيء آخر يمكن للإنسان أن يضع عليه رأسه.

المتضح من المعنى اللغوي لمفردة (توسد) هو التوسد على الأمور المادية لا المعنوية، إلا أنّ الإمام الجواد (عليه السلام) قد استعار هذه المفردة من المفهوم الحسي للمفهوم المعنوي؛ ليعطي للصبر هالةً يلتف حول حماها من يريد السعادة الأخروية والراحة الدنيوية، فيكون هو الملجأ حين يشتد الوطيس، وللروح خير أنيس.

كما أفادت هذه الاستعارة التأكيد على صيرورة الصبر المنتهى والمرجع للأمور جميعها، فلا يخرج أي أمر عن مفهومهِ، ولا يندرج تحته ما يُغاير مأمولهِ.

أما الاستعارة الأخرى في النصّ فهي في قوله (عليه السلام): (اعتنق الفقر)، والاعتناق في اللغة: ((الاختيار والاتباع، ومنه اعتنق الرجلان، إذا جعل كل منهما يداه على عنق الآخر في الحرب أو غيره)) [٣]، وهذه المفردة هي الأخرى قد استعارها الإمام (عليه السلام) من المفهوم المادي للمفهوم

---

(١) تحف العقول عن آل الرسول: ٤٥٥، مكاتيب الأئمة: ٤٤٣/٥.

(٢) ينظر: العين: ٢٨٤/٧.

(٣) المعجم الغني: ٣٤٧١-٣٤٧٢.

المعنوي، وفي الحقيقة أنّ الفقر هو أحد صور الصبر عمّا تتوق له النفوس، فتنسجم الاستعارة الأولى بالاستعارة الأخرى؛ لتُنتج أسلوب عيش طالما أحبه الأنبياء وأوصيائهم، وفضلوه على ما سواه من أساليب.

ومن صور الاستعارة الأخرى ما ورد عنه أيضا (عليه السلام) في جوابه لرجل كتب إليه يُخبره بتلف كبير في البز الذي حُمل إليه، فوقّع بخطه (عليه السلام): ((**إن أنفسنا وأموالنا من مواهب الله الهنيئة و عواريه المستودعة يمتع بما متع منها في سرور وغبطة ويأخذ ما أخذ منها في أجر وحسبة. فمن غلب جزعه على صبره حبط أجره ونعوذ بالله من ذلك**))[١]، الاستعارة هنا في قوله (عليه السلام): (غلب جزعه)، فالغلب في اللغة: ((غَلَبَ يغلِبُ غَلَباً وغَلَبةً. والغِلابُ: النَّزاعُ. والمُغَلَّبُ: الذي يَغلِبُه أقرانه فيما يمارس. والمُغَلَّبُ قد يكون المفضل على غيره. والأَغْلَبُ: الغليظ الشديد القصرة))[٢] ، فجميع المعاني تشير لارتباط هذا المفهوم بالمصداق الحسي الخارجي.

فأُقيم الجزع هنا مقام الند للصبر، فأصبح كل من الجزع والصبر شخصان يترتب على غلب أحدهما للآخر آثارا يقطف ثمارها الغالب أو المغلوب في يوم لا تُقبل فيه شفاعة، ولا يُتقرب بعمل غير ما قدم.

---

(١) تحف العقول عن آل الرسول: ٤٥٦، مكاتيب الأئمة: ٤٢٥/٥.

(٢) العين: ٤٢٠/٤.

المبحث السابع: الكناية:

الكناية: ((أن تتكلم بشئ وتريد به غيره وقد كتبت بكذا عن كذا وكنوت أيضا كناية فيهما ورجل كان وقوم كانون والكنية بضم الكاف وكسرها واحدة الكنى واكتنى فلان بكذا وهو يكنى بأبي عبد الله ولا تقل يكنى بعبد الله وكناه أبا زيد وبأبي زيد تكنية وهو كنيه كما تقول سميه قلت وكناه كذا وبكذا بالتخفيف يكنيه كناية ذكره الفارابي وكنى الرؤيا هي الأمثال التي يضربها ملك الرؤيا يكنى بها عن أعيان الأمور))[١]

إنّ الكناية مصطلح تطلق على معنيين: ((١- المعنى المصدري الذي هو فعل المتكلم، أعني ذكر اللفظ الذي يراد به لازم معناه مع جواز إرادته معه.

٢- اللفظ المستعمل فيما وضع له، لكن لا ليكون مقصودا بالذات، بل لينتقل منه إلى لازمه المقصود لما بينها من العلاقة واللزوم العرفي، وعلى هذا التعريف فهي حقيقة لاستعمال اللفظ فيما وضع له، لكن لا لذاته، بل لينتقل منه إلى لازمه فمعناه مراد لغيره مع استعمال اللفظ فيما وضع له، واللازم مراد لذاته، لا مع استعمال اللفظ فيه، فهو مناط الإثبات والنفي والصدق والكذب))[٢]، مما تقدم يتضح لنا

---

(١) مختار الصحاح: ٢٩٨.

(٢) علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع: ٣٠١.

أنّ الكناية تبطن معنً غير ما يُظهره اللفظ، فأحيانا يتلفظ المتكلم بكلام لا يريد معناه الوضعي الحقيقي، وإنما ملازم هذا اللفظ الذي أطلقه، فيكون ذكر الكلام لا لمعناه الوضعي، بل لمعناه الملازم.

وإنّ الكناية تفترق عن المجاز بأمر جوهري، فالكناية: ((لا يمتنع معها إرادة المعنى الأصلي، فيسوغ في المثالين المتقدمين أن تريد أنه واسع الصدر حقيقة، وأنها تنام حقا إلى وقت الضحى، وقد تمتنع إرادة المعنى الأصلي فيها أحيانا لخصوص الموضوع، نحو: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} كناية عن الاستيلاء والملك، {وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} كناية عن قوة التمكن وتمام القدرة، إلى غير ذلك.

أما قرينة المجاز فتمنع من إرادة المعنى الأصلي، فلا يسوغ إرادة الأسد المفترس في قولك: رأيت أسدا في الميدان يضرب يمينا وشمالا))[١].

وقد اختلف العلماء بين مدح الكناية تارة، وبين ذمها أخرى، فمنهم من يراها مبهمة فلا تقوم مقام الإفصاح والتبيين، كما قال أحد العرب عن خطبة قد بقى صاحبها يخطب: ((إلى الليل فما أعاد فيها كلمة ولا معنى فقيل لأبي يعقوب: هلا اكتفى بالأمر بالتواصل عن النهي عن التقاطع؟ أو ليس الأمر بالصه هو النهي عن القطيعة؟ قال: أو ما علمت أن الكناية والتعريض لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والكشف))[٢]، والبعض يراها منقصة في الكلام: ((بل الترخّص منّي فيه عند حكاية تحكيها أو رواية ترويها، تنقّصها الكناية ويذهب بحلاوتها التعريض))[٣].

على حين عدها صاحب كتاب الرسائل من الكلام البليغ، إذ قال: ((وربما كانت الكناية أبلغ في التعظيم، وأدعى إلى التقديم، من الإفصاح والشرح. وربما أتى من السكوت بما يعجز القول عنه وقد

---

(١) علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع: ٣٠٢.
(٢) البيان والتبيين: ١١٥/١.
(٣) عيون الأخبار: ٤٥-٤٦.

بلغ أقصى حاجته وغاية أمنيته بالإيماء ة الإشارة، حتى يكون تكلُّف القول فضلاً، والكلام خطلا))[١]، وللكناية تقسيمات متنوعة، من حيثيات مختلفة، نترك سردها هاهنا طلبا للاختصار.

من جميل ما ورد في الكناية، هو ما جاء عن الإمام علي (عليه السلام) في جوابه لرجل سأله العطاء، فأجابه الإمام (عليه السلام): ((**شككت في حربنا فشككنا في عطائك**))[٢]، لم يرد ذكر قصة هذا الرجل في المصادر، سوى أنّه تخلف عن قتال الباغيين، ولم يشهد للإمام علي (عليه السلام)، وعلى وفق هذا السبب، الذي مُنع من خلاله الرجل من العطاء، يكون قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (شككت في حربنا)، كناية عن امتناعه تقديم النصّرة لإمام زمانه، وإنّما قد ذكر الإمام (عليه السلام) مفردة (شككت)؛ لكون منشأ التخلف عنه (عليه السلام) هو الشك في أحقيته، مما دفعه للامتناع عن الالتحاق بركبهم.

أما الشطر الآخر من النصّ، فقوله (عليه السلام): (شككنا في عطائك)؛ أي منعنا عطائك، وقطعناه نظرا لما أنت عليه من الشك والخذلان، وهذا القول من قبيل قوله تعالى: ﴿ **نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ**﴾[التوبة/٦٢]، ومن الحقيقة بمكان، إنّ هذا النصّ من أروع نصوص الكناية؛ لما فيه من مقابلة في الألفاظ، واختلاف في المعنى، فلقد عبّر (عليه السلام) عن الموطنين بـ(شككت، شككنا)، إلاّ أنّ الاستعمال الأول دلّ على الجهل بالحقيقة، والتخبط في معرفة الحق، على حين دلّ الاستعمال الآخر على المعاملة بالمثل؛ ليطلع الشخص على قبيح عمله وفعله.

وقريب من جمال هذا الأسلوب، ورقة ألفاظه، وتناغم عبارته، ما ورد عن الإمام الحسن (عليه السلام) في جوابه لمعاوية بن أبي سفيان، حينما سُلم الأمر لمعاوية، فوجدوا الخوارج منفذا لقتاله، فما

([١]) الرسائل للجاحظ: ٣٠٧.

([٢]) مكاتيب الأئمة: ٢٦٢/١، دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت (الرسول عليه وعليهم أفضل السلام): ٣٩٢/١.

كان لمعاوية إلا أنّ يكاتب الإمام الحسن (عليه السلام)، طالبا منه مقاتلة الخوارج، فكتب له الإمام الحسن (عليه السلام): ((**لو آثرت أن أقاتل أحدا من أهل القبلة لبدأت بقتالك فإني تركتك لصلاح الأمة وحقن دمائها**))[١]، أهل القبلة هم المسلمون جميعا بمختلف طوائفهم، ومنهم الخوارج، مما يعني أنّ الإمام عليه بتركه مقاتلة معاوية، يراه بأنّه أشدُ ظلما وأذى من الخوارج أنفسهم، بل من جميع أهل القبلة، فهو لم يقاتل أكثر الناس خبثا وظلما؛ حرصا على صلاح الأئمة، وحقن دمائها، فكيف يُتوقع منه أنّ يقاتل قوما هم أقل خبثا وخطرا منه؟.

فتعبيره (عليه السلام) بترك مقاتلة أهل القبلة، كناية عن أنّ معاوية قد تخطى حدود الظلم والبغي.

في النصّ السابق قد تبين لنا أنّ هناك شخصا شديد الخطر والظلم على الأمة جميعها، على حين قد حظيت شخصية عظيمة بالذكر في توقيعاتهم (عليهم السلام)، ألا وهو أبو طالب (عليه السلام)، فقد ورد في جواب الإمام الرضا (عليه السلام) لمن سأله عن صحة الخبر القائل: بأنّ أبا طالب (عليه السلام) في ضحضاح من نار يغلي منه رأسه، فأجابه (عليه السلام): ((**بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإنك إن شككت في إيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار**))[٢]، ففي هذا النصّ كناية عن أنّ هذه الشخصية العظيمة، أكثر الناس إيمانا، إذ بمجرد أنّ يشك المرء بإيمان هذا الشخصية المعطاءة، يكون مصيره إلى النار والعياذ بالله (تعالى)، مما يدلّ على عمق إيمان هذا الرجل وصدقه وثباته، واستقرار حقيقته في القلب أيضا، وإلا ما كان لمجرد أن يشك الإنسان بإيمانه يكون مصيره إلى النار.

قد يُصر الإنسان على شيء يجهل عمقه ومداه، وقد يصل به الإصرار حدا يغتم معه إذا ما تحقق ما أراد، فإنّ في سؤال رجل من أخيار الموالين للأئمة (عليهم السلام) شيئا من هذا الإصرار، إذ أنّه قد كاتب الإمام الصادق (عليه السلام) يسأله الدعاء له بأنّ يكون ممن ينتصر الله (سبحانه) به

---

(١) الغدير في الكتاب والسنة والأدب : ١٠/١٧٣، مكاتيب الأئمة : ٣/٤٨-٤٩.

(٢) إيمان أبي طالب: ٨١-٨٢، مكاتيب الأئمة: ٥/٢٩٦.

لدينه، إلا أنّ الإمام الصادق (عليه السلام) لم يجبه إلى مسألته، مما جعل الرجل يغتم لذلك، بيد أنّه قد وجد جوابا يماثل ما سأل عنه أحد أصحابه، إذ قد كتب له الإمام الصادق (عليه السلام): ((**يرحمك الله، إنما ينتصر الله لدينه بشر خلقه**))[1]، فإنّ الله (سبحانه وتعالى) ينتصر لدينه عن طريق شرار خلقه، فلو عصاه من يعرفه، سلط عليه من لا يعرفه، فيسومه سوء العذاب من غير رحمة ورأفة، أو مخافة من الله (تعالى) ورهبة؛ لكونه لا يعرف الله (سبحانه وتعالى)؛ أي أنّه قد ظلم وتجبر واستكبر، فلم يعد يراعي حدود الله (سبحانه وتعالى)، ولا يخاف من عقابه وعذابه.

إنّ في امتناع الإمام الصادق (عليه السلام) عن إجابة الرجل، كناية عن أنّه من أهل الخير والصلاح، لا من الأشرار الطلاح.

([1]) مكاتيب الأئمة:٤/٣٣٣.

الخاتمة

الخاتمة:

وبعد الخوض في غمار البحث توصل الباحث لجملة من النتائج، أهمها:

- ✓ قد احتلت التوقيعات الفقهية حيزا كبيرا في نتاجاتهم؛ لأسباب عديدة، منها: حفظ الدين ونشر تعاليمه الصحيحة، وكذلك تلبية لحاجة الناس الملحة في معرفة أحكامهم الصحيحة، إذ أنّهم يمجون كل دين أو حكم من جهة السلطة.
- ✓ قد وردت في مكاتباتهم توقيعات سياسية، واجتماعية، وغيبية، وغيرها الكثير من الموضوعات.
- ✓ أوضحوا (عليهم السلام) أهم أركان التوحيد، كالأحدية والواحدية والصمدية، إذ إنّها من أدق التفاصيل وأعمقها، والتي لا يمكن التعاطي معها عن طريق المقاربة من هنا، والمناوشة من هناك، فإنّنا لا نبالغ إذ قلنا: إنّ هذا المرتكزات الثلاث، هي التوحيد، وهي أصل الإيمان بالله تعالى، والوقوف على أهم مرتكزات المعرفة السليمة.
- ✓ فضلا على تبيين خطورة التعامل مع الوصف، قد أكدوا على أنّ القاعدة ذاتها، إنْ حُذف حرف واحد منها سيؤدي حتما إلى خلل كبير في البنية المعلوماتية، قد يصل في بعض الأحيان إلى الإشراك.
- ✓ فرّق المعصومون (عليهم السلام) بين الاسم والمسمى؛ لخطورة الخلط بين المفهومين، فإنّ من عبد الاسم دون المسمى بها، فقد أشرك وكفر، بل يجب عبادة الله سبحانه وتعالى الأحد الواحد الصمد المسمى بهذه الاسماء التي وصف الله بها نفسه، دون الاسماء.
- ✓ أكدوا (عليهم السلام) على أهمية الإمامة، وضرورتها، وبيان واجبهم المناط بهم من قبل الله سبحانه وتعالى، ومن قبل رسوله الكريم، إذ أنّهم يمثلون خزنة العلم، وسدنة القرآن الكريم، وما فيه من تعاليم رصينة، وبأنّ الإمامة لا تكون إلا بالنص من الله سبحانه وتعالى عن طريق رسوله الكريم.

- ✓ أدرك المعصومون (عليهم السلام) أنّ مسألة الإمامة ستُسيل لعاب هواة السلطة والحكم، فيبدؤوا بمحاربتهم وقتلهم، في الوقت الذي يخطط البعض لنيل المطمع ذاته، بيد أنّ الطريقة مختلفة تماما، فهم لا يريدون القتل والدماء، وإنّما يلج إلى الفتنة من العقيدة ذاتها، فيغالي بإمامه؛ ليستلم هو منصب الإمام بزعمه؛ لذا قد عين المعصومون (عليهم السلام) الإمام الذي يليه، والذي يجب اتباعه، فهو مفترض الطاعة.
- ✓ مهدّ الأئمة (عليهم السلام) الطريق لتقبل فكرة غيبة الإمام المعصوم عن الأنظار، وفرشوا الأرضية لذلك، عن طريق التحدث عنه، وعزو أخذ الأحكام الفقهية من أناس معينين لهم مكانتهم الخاصة، بل حتى الأمور العقائدية والكلامية، قد أوعز بها الأئمة لأشخاص ثقات.
- ✓ أخبروا ببعض صفات النار، كمفهوم جزئي مندرج تحت المعاد.
- ✓ اشعر الاستشراف بعض المخالفين بارتباط هذا البيت العلوي خصوصا بالسماء وتعاليمها، على حين زاد يقين مواليهم عن طريق مشاهدة معاجزهم بأم العين.
- ✓ أكدت غرائب أحكامهم، على أنّ أمرهم صعب مستصعب، وأنّ حديثهم (عليهم السلام) حديث هيوب ذعور، كما قال الإمام الصادق عليه السلام.
- ✓ حاربت توقيعاتهم (عليهم السلام) بوادر الفتنة التي أجج نارها الغلاة، فاسقطوا هالة أفكارهم، وسلبوا الشرعية عنها، وأوضحوا للناس مدى تخبطهم بالباطل، فضلا على فضح مخططات الغلاة ، وكشف زيف دعواهم، قد أمروا شيعتهم بالاستخفاف بهم، وعدم الاحتفال بمجيئهم، ومعلوم ما لهذا التصرف من إحباط معنويات العدو من جهة، ومن جهة أخرى يعطي هذا التصرف أسلوب يتبعه الموالون في التعامل مع هكذا أناس.
- ✓ لقد زخرت توقيعاتهم (عليهم السلام) بمختلف الصنوف الفنية، فتجد أساليب الإنشاء، من استفهام وأمر ونهي وتقديم وتأخير وشرط، وغيرها، وكذلك أساليب البلاغة، من سجع وتشبيه وكناية ،وغيرها.

- ✓ لقد حظي مبحث الألفاظ بمساحة جيدة في توقيعاتهم (عليهم السلام)، فذكروا الضمائر والزمان والمكان، وحتى الألفاظ الغريبة، لم تخلو من ذكر لها في نتاجاتهم.
- ✓ لقد شكّلت ضمائر المخاطبة والغيبة في توقيعات المعصومين (عليهم السلام) ظاهرة لا يمكن اغفالها، فلا يكاد توقيع يخلو منها، ولعل السبب وراء ذلك أنّهم (عليهم السلام) علماء الأمة ولا أحد غيرهم، فمن البديهي أنّ تنهال عليهم الأسئلة من كل حدب وصوب، بمختلف مسائلها من الفقهية والاجتماعية والمعيشية وغيرها، فلا بد حينها أن يوجهوهم (عليهم السلام) إلى فعل أمور ما، أو نهيهم عنها، أو توضيح أمور أخرى لهم، من هنا شغلت ضمائر المخاطبة والغيبة مساحة شاسعة في التوقيعات، فضلا على الاختصار والتكثيف، بَيْدَ أنّ هذا لا يمنع من استعمال ضمائر المتكلم بمختلف صنوفها في توقيعاتهم (عليهم السلام)، فالمتتبع لتوقيعاتهم يجدهم قد استعملوا (ياء المتكلم، وتاء الفاعل، والضمير نا، وأنا) بحسب ما يقتضيه المقام.
- ✓ لمتتبع لتوقيعات الأئمة (عليهم السلام) يجد أنّ استعمال الضمائر كان متفاوتا بعض الشيء، فكما قدمنا سابقا من أنّ ضمائر المخاطب والغيبة قد شغلت مساحة واسعة من التوقيعات، تاركة لضمائر المتكلم فسحة ليست بالقليلة، وإنّ ضمائر المتكلم هي الأخرى قد تفاوتت في الاستعمال، فكان لياء المتكلم النصيب الأوفر في التوقيعات، على حين قاربها ضمير التفخيم قليلا في الاستعمال، في الوقت الذي قل منسوب تاء الفاعل فيه.
- ✓ قد ورد ذكر الزمن في توقيعات المعصومين (عليهم السلام) تارة رمزي، واخرى مصرحا به، في الوقت الذي استُعمل الظرف بدلا عنه.
- ✓ غلبت السمة الفقهية على التوقيعات التي تناولت موضوع المكان، بيد أنّها لم تقتصر على ذلك، بل اشتمل بعضها على إظهار المعجزة، واشتمل البعض الآخر على تبيين أهمية بعض الأماكن أخرويا.

- ✓ ذُكرت في توقيعاتهم (عليهم السلام) الأماكن السماوية أيضا، أذ لم تقتصر علتى ذكر الأماكن الأرضية فقط.
- ✓
- ✓ لم تقتصر توقيعاتهم (عليهم السلام) على المعطى السياسي أو الثقافي والاجتماعي، بل امتدت لتطال التعاليم الوقائية، والاستعمالات العلاجية.
- ✓ أُستعملت أغلب صور الاستفهام في توقيعاتهم، سواءً الصريحة، أم ما يأتي بصورة الاستفهام.
- ✓ كذلك الأمر، فقد استُعمل بمعناه الحقيقي، وبمعناه المجازي أيضا.
- ✓ قد كثُرت في الاستعمال المجازي للأمر صورة الإباحة، وقد كثُرت هذه التوقيعات في الجانب الفقهي.
- ✓ قد استعمل المعصومون (عليهم السلام) في توقيعاتهم صورا جديدة للأمر، كالحفاظ على شيعتهم من المخاطر، أو الإهانة، أو القتل، وكالأمر بالتداوي وأخذ العقاقير أيضا.
- ✓ لقد شغلت صورة النهي الحقيقية في توقيعات المعصومين عليهم السلام حيزا كبيرا، ولا سيما في التوقيعات الفقهية.
- ✓ استُعمل التوبيخ في بعض الموارد في توقيعاتهم للنصح والإرشاد، كما كان يفعل الإمام الصادق (عليه السلام) مثلا مع أصحابه، فيرى الباحث أنّه من باب حثهم على ما فيه صلاحهم في الآخرة والأولى، لا على سبيل القسوة والشدة.
- ✓ راعوا (عليهم السلام) بتوقيعاتهم في النهي جانب المحافظة على المذهب وأصله، وعلى رجالاته أيضا؛ لئلا تطالهم يد التعذيب والقتل.
- ✓ استُعملت أدوات الشرط بالتساوي في توقيعاتهم (عليهم السلام)، وقد ورد استعمالها على الجانب الحقيقي للأداة تارة، وتارة أخرى على الجانب المجازي.
- ✓ غلبت سمة التوضيح وتقرير المعنى في النفس على جل نصوص التكرار.

- ✓ حمل السجع في توقيعاتهم آيات الجمال، وأجراس الروعة، ورونق التنميق، فجميع أسجاعهم منسبكة العبارات.
- ✓ مثلَّ القرآن الكريم، وكذلك السنة النبوية، أهم عنصري التناص في توقيعاتهم (عليهم السلام)، فلم يعدوا لغيرها، بحسب ما لدى الباحث من نصوص.
- ✓ غلبت الاستعارة من المفهوم الحسي للمفهوم العقلي على الاستعارات التي أحصاها الباحث جميعها، فكل الاستعارات التي ذُكرت في البحث، هي استعارة من مفهوم حسي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وأفضل الصلاة على محمد وآله الطيبين الطاهرين

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

الكتب:

- الأبواب (رجال الطوسي): الشيخ أبى جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، ت: جواد القيومي الأصفهاني، ط١، رمضان المبارك ١٤١٥هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- الاحتجاج: أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخرسان، د.ط، ١٣٨٦هـ، دار النعمان للطباعة والنشر- النجف الأشرف.
- اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): لشيخ الطائفة أبى جعفر الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تصحيح وتعليق: المعلم الثالث ميرداماد الاسترابادي، ت: السيد مهدي الرجائي، د.ط، ١٤٠٤هـ، بعثت- قم، النشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.
- الأدب المقارن: مناهج جامعة المدينة العالمية، كود المادة: GAR٥٥٢٣ ، الناشر: جامعة المدينة العالمية.
- الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين: للعلامة المحقق المتكلم محمد طاهر بن محمد حسين الشيرازي النجفي القمي (ت ١٠٩٨هـ)، السيد مهدي الرجائي، ط١، ١٤١٨هـ، مطبعة الأمير، الناشر : المحقق.
- إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان: العلامة الحلي أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي (ت ٦٤٨هـ)، ت: الشيخ فارس الحسون، ط١، ١٤١٠هـ، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- أرشيف ملتقى أهل التفسير
- الأزمنة والأمكنة: أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (ت٤٢١هـ)، ت: خليل المنصور، ط١، ١٤١٧هـ، دار الكتب العلمية بيروت.
- الاستبصار فيما اختلف من الأخبار: شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، حققه وعلق عليه: السيد حسن الموسوي الخرسان، ط٤، ١٣٦٣ش، خورشيد، الناشر: دار الكتب الإسلامية- طهران، بازار سلطاني.
- الاستنصار في النص على الأئمة الاطهار: الامام العلامة أبي الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي (ت ٤٤٩هـ)، د.ت، ط٢، ١٤٠٥هـ، الناشر: دار الأضواء- بيروت- لبنان.

- أسرار الآيات: صدر الدين محمد الشيرازي (ت١٠٥٠هـ)، مقدمة وتصحيح: محمد خواجوى، د.ط، محرم الحرام ١٤٠٢هـ، چاپخانه وزارت فرهنگ و آموزش عالى، الناشر: انتشارات انجمن اسلامى حكمت و فلسفه ايران.
- أسرار العربية: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ)، د.ت، ط١، ١٤٢٠هـ، دار الأرقم بن أبي الأرقم.
- الأسلوب والأسلوبية ؛ نحو بديل ألسني في النقد الأدبي: عبد السلام المسدي ، ط٣ ، د . ت ، الدار العربية للكتاب – تونس .
- الاصطلاحات الفقهية في الرسائل العلمية: الشيخ ياسين عيسى العاملي (معاصر)، ط١، ١٤١٣هـ، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان.
- الأصول الستة عشر: نخبة من الرواة، ط٢، ١٤٠٥هـ، مهدية، الناشر: دار الشبستري للمطبوعات– قم– إيران.
- أصول الكافي: ثقة الإسلام أبى جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكلينى الرازى رحمه الله (ت ٣٢٨–٣٢٩هـ)، ترجمة وشرح: سيد هاشم رسولي، د.ط، الناشر: انتشارات علمية اسلامية.
- إعانة الطالبين: للعلامة أبي بكر المشهور بالسيد البكري ابن السيد محمد شطا الدمياطي، د.ت، ط١، ١٤١٨هـ، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت– لبنان
- الاعتقادات في دين الإمامية: للشيخ الصدوق رحمة الله عليه (ت ٣٨١هـ)، ت: عصام عبد السيد، ط٢، ١٤١٤هـ، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت– لبنان.
- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ)، د.ت، ط١٥، أيار/مايو ٢٠٠٢م، الناشر: دار العلم للملايين.
- الأعلام من الصحابة والتابعين: الحاج حسين الشاكري (معاصر)، د.ت، ط٢، ١٤١٨هـ، ستارة، الناشر: المؤلف.
- إعلام الورى بأعلام الهدى: أمين الإسلام الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري (ت ٥٤٨هـ)، ت: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، ربيع الاول ١٤١٧هـ، ستارة– قم، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث– قم المشرفة.
- أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ)، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، د.ط ، دار المعارف للمطبوعات– بيروت– لبنان.
- الأمالي: للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، ت: قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة – قم، ط١، ١٤١٧هـ، الناشر : مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة.

- الإمام الكاظم سيد بغداد، وحاميها، وشفيعها: الشيخ علي الكوراني العاملي (معاصر)، د.ت، ط١، ١٤٣١هـ.
- الأمان من أخطار الأسفار والأزمان: جمال العارفين رضي الدين السيد علي بن موسى بن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث– قم المشرفة، ط١، صفر ١٤٠٩هـ، مهر– قم.
- أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت ٢٧٩هـ)، ت: الدكتور محمد حميد الله، د.ط، ١٩٥٩م، مطابع دار المعارف بمصر، الناشر: معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر.
- الإنصاف في ما تضمنه الكشاف من الاعتزال: الامام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري المالكي (ت ٦٨٣هـ)، الطبعة الأخيرة، ١٣٨٥هـ، الناشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم – خلفاء.
- الأنوار الساطعة في شرح زيارة الجامعة: الشيخ جواد بن عباس الكربلائي (معاصر)، مراجعة: محسن الأسدي، ط١، ١٤٢٨هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان– شارع المطار.
- الإيضاح: للشيخ الأجل الأقدم الفضل بن شاذان الأزدي النيسابوري (ت٢٦٠ هـ)، عنى بتحقيق الكتاب وخرج أحاديثه وقدم له السيد جلال الدين الحسيني الأرموي، ط١، ١٣٦٣ش، الناشر : مؤسسة انتشارات وچاپ دانشگاه تهران.
- إيمان أبي طالب: الإمام الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم أبي عبد الله ، العكبري ، البغدادي (ت٤١٣ هـ)، ت: مؤسسة ، البعثة، ط٢، ١٤١٤هـ، الناشر : دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان.
- آيات الغدير: الشيخ علي الكوراني العاملي (معاصر)، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة، ذو الحجة ١٤٢٢هـ، ستارة – قم، لناشر: دار السيرة.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي " قدس الله سره " (ت ١١١١هـ)، د.ت، الطبعة الثانية المصححة، ١٤٠٣هـ، الناشر : مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان.
- البحر الرائق: للشيخ الإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود المعروف بحافظ الدين النسفي(ت ٧١٠ هـ)، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، ط١، ١٤١٨هـ، الناشر : منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

- البدء والتاريخ: أبو زيد أحمد بن سهل البلخي (ت٥٠٧هـ)، ، قد اعتنى بنشره وترجمته من العربية إلى الفرنسوية الفقير المذنب كلمان هوار قنصل الدولة الفرنسوية وكاتب السر ومترجم الحكومة المشار إليها ومعلم في مدرسة الألسنة الشرقية في باريز، ب.ط، ١٨٩٩م، برطرند– شهر پاريس، الناشر : قد اعتنى بنشره وترجمته من العربية إلى الفرنسية كلمان هوار.
- البديع في نقد الشعر: أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (ت ٥٨٤هـ)، ت: الدكتور أحمد أحمد بدوي، الدكتور حامد عبد المجيد، مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى، د.ط، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – الإقليم الجنوبي – الإدارة العامة للثقافة.
- براهين الحج للفقهاء والحجج: سماحة الفقيه الكبير آية الله العظمي المدني « الكاشاني » (ت ١٣٦٦هـ)، د.ت، د.ط، من نشريات المدرسة العلمية للمعظم له كاشان إيران.
- البرهان في تفسير القرآن: العلامة المحدث المفسر السيد هاشم الحسيني البحراني (ت ١١٠٧ هـ)، ت: قسم الدراسات الاسلامية مؤسسة البعثة – قم، د.ط.
- بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد " ع ": للثقة الجليل والمحدث النبيل شيخ القميين أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ " الصفار "(ت ٢٩٠هـ)، تقديم وتعليق وتصحيح العلامة الحجة : الحاج ميرزا محسن " كوچه باغي "، ب.ط، ١٤٠٤هـ، المطبعة : مطبعة الأحمدي – طهران، الناشر : منشورات الأعلمي – طهران.
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: عبد المتعال الصعيدي، د.ت، ط١٧، ١٤٢٦هـ، مكتبة الآداب.
- بغية الطلب في تأريخ حلب: عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (ت ٦٦٠هـ)، ت: د. سهيل زكار، د.ط، دار الفكر
- البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع: الأستاذ الدكتور حسن إسماعيل عبد الرازق أستاذ البلاغة بكلية اللغة بالعربية بالزقازيق (ت ١٤٢٩هـ)، د.ت، ط١، ٢٠٠٦م، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة – مصر.
- البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ)، د.ت، ط١، ١٤١٦هـ، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت.
- البيان في تفسير القرآن: للإمام الأكبر زعيم الحوزة العلمية السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت ١٤١٣هـ)، د.ت، ط٤، ١٣٩٥هـ، الناشر : دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان

- البيان والتبيين: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، د.ت، د.ط، ١٤٢٣هـ، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- تاج العروس من جواهر القاموس: للإمام محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي (ت ١٢٠٥هـ)، دراسة وتحقيق: علي شيري، د.ط، ١٤١٤هـ، دار الفكر- بيروت، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- تاريخ ابن معين: الإمام يحيى بن معين بن عون المري الغطفاني البغدادي (ت ٢٣٣هـ)، ت: عبد الله أحمد حسن، د.ط،: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، الناشر : دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت.
- تأريخ الأدب العربي: أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف (ت ١٤٢٦ هـ)، د.ت، ط١، ١٩٦٠-١٩٩٥م، دار المعارف- مصر.
- تأريخ الأمم والملوك (الطبري): الإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، مراجعة وتصحيح وضبط : نخبة من العلماء الأجلاء، ط٤، ١٤٠٣هـ، الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان.
- تأريخ بغداد أو مدينة السلام: الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، دراسة وتحقيق: مصطفي عبد القادر عطا، ط١، ١٤١٧هـ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
- تبصرة المتعلمين في أحكام الدين: الإمام جمال الدين الحسن بن يوسف المطهر المعروف بالعلامة الحلي المتوفى (ت ٧٢٦ هـ)، تقديم : الشيخ حسين الأعلمي، ت : السيد أحمد الحسيني ، الشيخ هادي اليوسفي، ط١، ١٣٦٨ش، مطبعة أحمدي، الناشر : انتشارات فقيه – طهران.
- التبيان في تفسير القرآن: شيخ الطائفة أبى جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، ط١، رمضان المبارك ١٢٠٩هـ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، الناشر : مكتب الإعلام الإسلامي
- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: عبد العظيم المنذري (ت ٦٥٦هـ)، ضبط أحاديثه وعلق عليه : مصطفى محمد عماره، ١٤٠٨ – ١٩٨٨ م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان.
- التحرير الطاووسي: الشيخ حسن بن زين الدين صاحب المعالم (ت١٠١١ هـ)، ت: فاضل الجواهري ، ط١، ١٤١١هـ، سيد الشهداء عليه السلام- قم، الناشر : مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي – قم المقدسة.

- تحف العقول عن آل الرسول: الشيخ الثقة الجليل الأقدم أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني رحمه الله من أعلام القرن الرابع، عنى بتصحيحه والتعليق عليه: علي أكبر الغفاري، ط٢، ١٤٠٤هـ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- التداوي بالأعشاب: الدكتور أمين رويحة (معاصر)، د.ت، الطبعة السابعة مزيدة ومنقحة، الناشر : دار القلم – بيروت – لبنان.
- التشريف بالمنن في التعريف بالفتن (الملاحم والفتن): رضي الدين أبي القاسم
- التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط١، ١٤٠٣هـ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان.
- التعليقة على المكاسب: آية الله المجاهد السيّد عبد الحسين اللاري قدس سره (ت ١٣٤٢)، تحقيق ونشر : اللجنة العلمية للمؤتمر – مؤسسة المعارف الإسلامية، ط١، ١٤١٨هـ، پاسدار اسلام – قم، الناشر : مؤسسة المعارف الإسلامية.
- التفسير الصافي: فيلسوف الفقهاء ، وفقيه الفلاسفة ، أستاذ عصره ووحيد دهره ، المولى محسن الملقب بـ " الفيض الكاشاني " (ت ١٠٩١هـ،)، صححه وقدم له وعلق عليه: العلامة الشيخ حسين الأعلمي، ط٢، ١٤١٦هـ، مؤسسة الهادي – قم المقدسة، الناشر : مكتبة الصدر – بطهران.
- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن): أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، ت: محمود محمد شاكر، د.ط، دار التربية والتراث – مكة المكرمة –.
- تفسير العياشي: المحدث الجليل أبي النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي رضوان الله عليه (ت ٣٢٠هـ)، ت: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، د.ط، الناشر : المكتبة العلمية الإسلامية – طهران.
- تفسير القرآن الكريم(تفسير شبر): للعلامة المحقق الجليل السيد عبد الله شبر (ت ١٢٤٢هـ)، راجعه الدكتور حامد حفني داود أستاذ كرسي الأدب في كلية الألسن العليا بالقاهرة، ط٣، وتمتاز على الطبعة الأولى بزيادات اصطلاحات هامة، ١٣٨٥هـ، الناشر : السيد مرتضى الرضوي.

- تفسير القمي: لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي (رحمه الله) (من أعلام قرني ٣ – ٤ هـ) (ت نحو ٣٢٩هـ)، صححه وعلق عليه وقدم له حجة الاسلام العلامة: السيد طيب الموسوي الجزائري، ط٣، صفر ١٤٠٤هـ، الناشر : مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر – قم – ايران.
- تفسير المحيط الأعظم والبحر الخظم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم: العارف الكامل والوليّ الواصل مولانا السيدر حيدر الآملي المتجلّى والمتوفى في القرن الثامن (ت ٧٨٢هـ)، حقّقه وقدّم له وعلّق عليه: السيد محسن الموسوي التبريزي، ط٤، ١٤٢٨هـ، الأسوة، الناشر : مؤسسه فرهنگی و نشر نور علي نور.
- التفسير المنير للزحيلي (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج): د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، د.ت، ط٢، ١٤١٨هـ، الناشر: دار الفكر المعاصر – بيروت، دمشق.
- تفسير عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت ٢١١هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبدة، ط١، ١٤١٩هـ، الناشر: دار الكتب العلمية.
- تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: العلامة المفسر المحدث الأديب الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي من اعلام القرن الثاني عشر (ت ١١٢٥هـ)، ت: حسين درگاهي، ط١، شعبان ١٤٠٧هـ، الناشر : مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي.
- تفسير مجاهد: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت ١٠٤هـ)، ت: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، ط١، ١٤١٠هـ، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر.
- تفسير مقتنيات الدرر: الحاج مير سيد علي الحائري الطهراني أعلى الله مقامه المعروف بالمفسر (ت ١٣٥٣هـ)، د.ت، د.ط، ١٣٣٧ ش، مطبعة الحيدري بطهران، الناشر : الشيخ محمد الآخوندي مدير دار الكتب الإسلامية.
- تفسير نور الثقلين: المحدث الجليل العلامة الخبير الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي قدس سره (ت ١١١٢هـ)، صححه وعلق عليه أشرف على طبعه الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، ط٤، ١٤١٢هـ، مؤسسة إسماعيليان، الناشر : مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع – قم.
- تكملة معاجم العربية: رينهارت بيتر آن دُوزِي (ت ١٣٠٠هـ)، نقله إلى العربية وعلق: محمَّد سَليم النعَيمي، وجمال الخياط، ط١، من ١٩٧٩ – ٢٠٠٠م، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية.
- تنزيه الانبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء: أبو الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي المعروف بـ «ابن خمير» (ت ٦١٤هـ)، ت: محمد رضوان الداية، ط١، ١٤١١هـ، الناشر: دار الفكر المعاصر – لبنان.

- تهذيب الاحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد رضوان الله عليه: شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدر (تـ٤٦٠ هـ)، حققه وعلق عليه سيدنا الحجة السيد حسن الموسوي الخرسان، ط٣، ١٣٦٤ش، خورشيد، الناشر : دار الكتب الإسلامية – طهران.
- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (تـ ٣٧٠هـ)، ت: محمد عوض مرعب، ط١، ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي– بيروت.
- التوحيد: الشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي (تـ ٣٨١هـ)، صححه وعلق عليه: المحقق البارع السيد هاشم الحسيني الطهراني، د.ط، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- الثاقب في المناقب: ابن حمزة الطوسي (تـ ٥٦٠هـ)، ت: الأستاذ نبيل رضا علوان، ط٢، ١٤١٢هـ، الصدر – قم المقدسة، الناشر : مؤسسة أنصاريان – قم المقدسة –.
- الثقات: الإمام الحافظ محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي (تـ ٣٥٤ هـ)، د.ت، ط١، ١٣٩٣هـ، مجلس دائرة المعارف العثمانية . بحيدر آباد الدكن الهند، الناشر : مؤسسة الكتب الثقافية.
- جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والاسناد: المولى العلامة الكامل والفاضل الصالح الفالح محمد بن علي الأردبيلي الغروي الحائري قدس الله تعالى أسراره (تـ ١١٠١هـ)، د.ت، د.ط.
- الجرح والتعديل: الامام الحافظ شيخ الاسلام أبى محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي(تـ ٣٢٧ هـ)، د.ت، ط١، ١٣٧١هـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الدكن – الهند، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- جلاء الأفهام فِي فضل الصَّلَاة وَالسَّلَام على مُحَمَّد خير الْأَنَام: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (تـ ٧٥١هـ)، ت: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط، ط٢، ١٤٠٧هـ، الناشر: دار العروبة – الكويت.
- جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (تـ ٣٢١هـ)، ت: رمزي منير بعلبكي، ط١، ١٩٨٧هـ، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: السيد أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي بك مدير مدارس فؤاد الأول . ووليّ العهد بشبرا بمصر (تـ ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، د.ط، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.

- جواهر الكلام (في شرح شرائع الإسلام): شيخ الفقهاء وإمام المحققين الشيخ محمد حسن النجفي (ت ١٢٦٦هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عباس القوچاني، ط٢، ١٣٦٥ش، خورشيد، دار الكتب الإسلامية – طهران.
- حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (المتوفى: ٧٩٢ هـ): محمد بن عرفة الدسوقي، ت: عبد الحميد هنداوي، د.ط، المكتبة العصرية، بيروت.
- الحاشية على أصول الكافي: السيّد بدر الدين بن أحمد الحسيني العاملي (ت ١٠٢٠هـ)، جمعها ورتبها السيد محمد تقي الموسوي سنة ١٠٩٤ ، ت: علي الفاضلي، ط١، ١٤٢٥هـ، دار الحديث، الناشر : دار الحديث للطباعة والنشر.
- الحدائق الناظرة في أحاكم العترة الطاهرة: العالم البارع الفقيه المحدث الشيخ يوسف البحراني قدس سره (ت ١١٨٦هـ)، د.ت، د.ط، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- حروف المعاني والصفات: عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت ٣٣٧هـ)، ت: علي توفيق الحمد، ط١، ١٩٨٤م، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.
- حياة الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي، د.ت، ط١، ١٣٩٤هـ، مطبعة الآداب – النجف الأشرف.
- حياة الإمام الرضا عليه السلام: السيد جعفر مرتضى العاملي، د.ت، د.ط، ١٣٩٨هـ، الناشر : دار التبليغ الإسلامي.
- الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام: السيد جعفر مرتضى العاملي، ب.ت، ط١، ١٤١٤م، دار السيرة– بيروت، الناشر : دار السيرة – بيروت.
- الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام: السيد جعفر مرتضى الحسيني العاملي، ب.ت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- خاتمة المستدرك: الميرزا الشيخ حسين النوري الطبرسي (ت١٣٢٠ هـ)، ت: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، ط١، رجب ١٤١٥هـ، ستارة – قم، الناشر : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث – قم – ايران.
- الخرائج والجرائح: للفقيه المحدث والمفسر الكبير قطب الدين الراوندي قدس سره (ت ٥٧٣ هـ)، ت: مؤسسة الإمام المهدي (ع) / بإشراف السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، ط١، ذي الحجة ١٤٠٩هـ، المطبعة العلمية –قم، الناشر : مؤسسة الإمام المهدي – قم المقدسة

- خلاصة الإيجاز في المتعة: الإمام الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم أبي عبد الله العكبري البغدادي(ت ٤١٣ هـ)، ت: الشيخ علي أكبر زماني نزاد، ط٢، ١٤١٤م، الناشر : دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان.
- الدر النظيم: الشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم بن فوز بن مهند الشامي المشغري العاملي (ت ٦٦٤هـ)، د.ت، د.ط، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية: لعلامة المحقق المحدث الشيخ يوسف بن أحمد البحراني صاحب (الحدائق) (ت١١٨٦ هـ)، ت: شركة دار المصطفى صلى الله عليه وآله لإحياء التراث، ط١، ١٤٢٣هـ، الناشر : شركة دار المصطفى صلى الله عليه وآله لإحياء التراث.
- دعاء الإمام علي (عليه السلام) دراسة نحوية أسلوبية : محمد إسماعيل عبد الله ، رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الكاتبة ، كلية التربية ، جامعة بابل ، ٢٠٠٥ م .
- دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل البيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام: القاضي الأجل أبي حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي قدس الله روحه (ت ٣٦٣هـ)، ت: آصف بن علي أصغر فيضي، د.ط، ١٣٨٣هـ، الناشر : دار المعارف – القاهرة.
- الدعوات:
- دلائل الإمامة: للمحدث الشيخ أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري الصغير من أعلام القرن الخامس الهجري، ت: قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة – قم، ط١، ١٤١٣م، الناشر : مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة.
- رجال تركوا بصمات على قسمات التأريخ: السيد لطيف القزويني، د.ت، د.ط.
- الرجعة في أحاديث الفريقين: الشيخ نجم الدين الطبسي، د.ت، د.ط.
- الرد على الجهمية والزنادقة: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، ت: صبري بن سلامة شاهين، ط١، الناشر: دار الثبات للنشر والتوزيع.
- الرسائل الأدبية: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الملقّب بالجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، قدّم لها وبوّبها وشرحها: الدّكتور علي أبو ملحم، ط٢، ١٤٢٣هـ، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- رسائل الشهيد الثاني: الشيخ زين الدين بن علي العاملي المشهور بالشهيد الثاني (ت ٩٦٥هـ)، ت: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية – قسم احياء التراث الاسلامي – المشرف على التحقيق : رضا المختاري، ط١، ١٤٢١هـ،

مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، الناشر : مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامي (مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي).

- الرسائل للجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، د.ط، ١٣٨٤هـ، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة.
- رسائل ومقالات تبحث في مواضيع فلسفية وكلامية وفقهية وفيها الدعوة إلى التقريب بين المذاهب: العلامة المحقق جعفر السبحاني، د.ت، ط١، ١٤١٩، اعتماد– قم، الناشر : مؤسسة الإمام الصادق (ع) – قم.
- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: وحيد عصره وفريد دهره وأروع أهل زمانه وأزهدهم المولى محمد تقي المجلسي (ت ١٠٧٠هـ)، نمقه وعلّق عليه وأشرف على طبعه: السيد حسين الموسوي الكرماني والشيخ علي پناه الإشتهاردي، د.ط، الناشر : بنياد فرهنك اسلامي حاج محمد حسين كوشانپور.
- روضة الواعظين: الشيخ العلامة زين المحدثين محمد بن الفتال النيسابوري الشهيد في سنة ٥٠٨(هـ) من أعلام القرنين الخامس والسادس الهجريين، تقديم : السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، د.ط، الناشر : منشورات الشريف الرضي – قم.
- رياض السالكين في شرح صحيفة الساجدين صلوات الله عليه: العلامة الأريب والفاضل الأديب السّيّد عليّ خان الحسيني الحسني المدني الشيرازي قدّس سرّه (ت ١١٢٠هـ)، ت: السيد محسن الحسيني الأميني، ط٤، محرم الحرام ١٤١٥هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي.
- زبدة التفاسير: المولى فتح الله بن شكر الله الشريف الكاشاني قدس سره (ت ٩٨٨ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة المعارف الإسلامية– قم– إيران، ط١، ١٤٢٣هـ،عترت.
- الزهد: الحسين بن سعيد الكوفي الأهوازي أبي محمد من أعلام الرواة للقرن الثاني والثالث الهجري، تحقيق وإخراج وتنظيم: ميرزا غلام رضا عرفانيان، د.ط، ١٣٩٩هـ، المطبعة العلمية– قم.
- السيرة النبوية– دروس وعبر: مصطفى بن حسني السباعي (ت ١٣٨٤هـ)، د.ت، ط٣، ١٤٠٥هـ، الناشر: المكتب الإسلامي.
- شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام: المحقق الحلي (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق مع تعليقات : السيد صادق الشيرازي، ط٢، ١٤٠٩هـ، أمير –قم، الناشر : انتشارات استقلال – طهران.

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (ت ٧٦٩هـ)، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢٠، ١٤٠٠هـ، الناشر: دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه.
- شرح أصول الكافي: مولي محمد صالح المازندراني (ت ١٠٨١هـ)، تحقيق مع تعليقات : الميرزا أبو الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح : السيد علي عاشور، ط١، ١٤٢١هـ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الناشر : دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان.
- شرح المفصل: موفّق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت٦٤٣هـ)، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: الدكتور إميل بديع يعقوب، ط١، ١٤٢٢هـ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- شرح المقاصد في علم الكلام: سعد التفتازاني (ت ٧٩٢هـ)، د.ت، ط١، ١٤٠١هـ، باكستان – دار المعارف النعمانية، الناشر : دار المعارف النعمانية.
- شرح بلوغ المرام: عطية بن محمد سالم (ت ١٤٢٠هـ)، د.ت، د.ط.
- شرح قطر الندى وبل الصدى: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، ت: محمد محيى الدين عبد الحميد، ط١١، ١٣٨٣هـ، الناشر: القاهرة
- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧٨هـ، الناشر : دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- شرح نهج البلاغة: كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت٦٧٩هـ)، عنى بتصحيحه عدّة من الأفاضل وقُوبِلَ بعِدَّة نُسَخ مَوثوقٌ بها، ط١، ١٣٦٢هـ، چاپخانه دفتر تبليغات اسلامي، الناشر : مركز النشر مكتب الاعلام الاسلامي – الحوزة العلمية – قم – ايران.
- الشفاء الروحي: عبد اللطيف البغدادي، د.ت، د.ط.
- صبح الأعشى في صناعة الأنشاء: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت ٨٢١هـ)، د.ت، د.ط ،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، ت: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، ١٤٠٧هـ، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت.

- الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم: العلامة المتكلم الشيخ زين الدين أبي محمد علي بن يونس العاملي النباطي البياضي (ت٨٧٧هـ)، صححه وحققه وعلق عليه محمد الباقر البهبودي، ط١، ١٣٨٤هـ، الحيدري، الناشر : المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.
- طب الأئمة عليهم السلام: عبد الله وحسين بن سابور الزيات (ابني بسطام النيسابوري) (ت ٤٠١هـ)، وضع المقدمة العلامة السيد محمد مهدى السيد حسن الخراسان، ط٢، ١٤١١هـ، أمير – قم، الناشر : انتشارات الشريف الرضي.
- عجالة المعرفة في أصول الدين: الشيخ الإمام الفقيه العلامة ظهير الدين أبي الفضل محمد بن سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي من أعلام القرن السابع الهجري، ت: السيد محمد رضا الحسيني الجلالي، ط١، ربيع الأول ١٤١٧هـ، ستارة – قم، الناشر : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث – قم.
- العروة الوثقى: آية الله العظمى السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي (ت ١٣٣٧هـ)، ت: مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٧هـ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣ هـ)، ت: الدكتور عبد الحميد هنداوي، ط١، ١٤٢٣هـ، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.
- العقد الفريد: أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، د.ت، ط١، ١٤٠٤هـ، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت.
- علل الشرائع: الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي ابن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ره (ت ٣٨١هـ)، تقديم : السيد محمد صادق بحر العلوم، د.ط، ١٣٨٥هـ، الناشر : منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها – النجف الأشرف.
- علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع: أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، د.ت، د.ط.
- علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، ت: مؤسسة صاحب الامر (عج)ن ط١، ١٥ شعبان ١٤١٦هـ، نشاط– أصفهان، الناشر : مؤسسة صاحب الأمر عجل الله فرجه.
- عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال: للمحدث الكبير المتتبع الخبير الشيخ عبد الله البحراني الأصفهاني (ت ١١٣٠هـ)، ت: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ط١، ١٤٠٧هـ، أمير– قم، الناشر : مدرسة الإمام المهدي (عج) بالحوزة العلمية – قم المقدسة.
- عوائد الإيام: للفاضل المحقق المولى احمد بن محمد مهدي النراقي (ت ١٢٤٥هـ)، ت: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٧هـ، الناشر : مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي.

- العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، ت: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، د.ط، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
- عيون اخبار الرضا: للشيخ الأقدم والمحدث الأكبر أبي جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي قده (ت٣٨١هـ)، صححه وقدم له وعلق عليه :العلامة الشيخ حسين الأعلمي، ط١، ١٤٠٤هـ، مطابع مؤسسة الأعلمي – بيروت – لبنان، الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان.
- عيون الأخبار: أبي محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينَوَريّ (ت ٣٧٦هـ)، شرحه وضبطه وعلّق عليه وقدّم له ورتّب فهارسه: الدكتور يوسف علي طويل أستاذ الأدب الأندلسي في الجامعة اللبنانية دكتوراه دولة في الفلسفة والآداب من جامعة مدريد، ط٢، ١٤٢٤هـ، الناشر : منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية.
- عيون المعجزات: المحدث الجليل الشيخ حسين بن عبد الوهاب(من علماء القرن الخامس)، د.ت، د.ط، ١٣٦٩هـ، الحيدرية –نجف، الناشر : محمد كاظم الشيخ صادق الكتبي.
- الغارات: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي (ت ٢٨٣هـ)، ت: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، د.ط.
- غاية المرام في علم الكلام: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت ٦٣١هـ)، ت: حسن محمود عبد اللطيف، د.ط، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة.
- الغدير في الكتاب والسنة والأدب: الحبر العلم الحجة المجاهد شيخنا الأكبر الشيخ عبد الحسين احمد الأميني النجفي (ت ١٣٩٢هـ)، د.ت، ط٤، ١٣٩٧، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان.
- غريب الحديث للخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، ت: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، د.ط، ١٤٠٢هـ، دار الفكر – دمشق.
- غريب الحديث: أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت ٢٧٦ هـ)، ت: الدكتور عبد الله الجبوري، ط١، ١٤٠٨هـ، الناشر : دار الكتب العلمية – قم.
- الغريب المصنف: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت ٢٢٤ هـ)، ت: صفوان عدنان داوودي، د.ط، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- الغيبة: شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، ت: الشيخ عباد الله الطهراني و الشيخ على احمد ناصح، ط١، شعبان ١٤١١هـ، بهمن، الناشر : مؤسسة المعارف الإسلامية – قم المقدسة.

- فتح الباب في الكنى والألقاب : أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (ت ٣٩٥هـ)، ت: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، ط١، ١٤١٧هـ، الناشر: مكتبة الكوثر – السعودية – الرياض.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري: الإمام الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، د.ت، ط٢، الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان.
- فردوس الحكمة في الطب: لابي الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري (ت ٢٦٠هـ)، قد اعتنى بنسخه وتصحيحه من نسخة برلين والموزة البريطانية وغوتا ونسخة حكيم خواجة كمال الدين: الدكتور محمد زبير الصديقي مدير الشعبة العربية بجامعة لكنو، د.ط، ١٩٢٨هـ، مطبع آفتاب – برلين.
- الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (توفي نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، د.ط، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
- الفصول المهمة في أصول الأئمة: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق وإشراف : محمد بن محمد الحسين القائيني، ط١، ١٤١٨هـ، نگين – قم، الناشر : مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا (ع).
- فضائل القرآن الكريم وخواص سوره وآياته: الشيخ عبد اللّه الصالحي النجف آبادي، د.ت، ط١، الناشر : المؤلف.
- فقه الإمام جعفر الصادق (ع): محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ)، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر – قم ردمك : ٩٦٤-٤٣٨-٢٣٧-٤، ط٢.
- فقه الطب: تأليف وتجميع: مركز المعجم الفقهي، د.ت، د.ط، ١٤١٢هـ.
- الفقه المنسوب للإمام الرضا عليه السلام: علي ابن بابويه القمي (ت ٣٢٩هـ)، ت: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث – قم المشرفة، ط١، شوال ١٤٠٦هـ، الناشر : المؤتمر العالمي للإمام الرضا (ع) – مشهد المقدسة.
- الفقه على المذاهب الأربعة ومذهب أهل البيت: عبد الرحمن الجزيري ، الغروي ، مازح، د.ت، ط١، ١٤١٩هـ، الناشر : دار الثقلين.
- فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه: محمد صالح الشنطي، د.ت، ط٥، ١٤٢٢هـ، دار الأندلس للنشر والتوزيع – السعودية / حائل.
- فنون التحرير الصحفي بين النظرية والتطبيق ((المقال الصحفي)): محمود أدهم، د.ت، د.ط، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية.
- فهرست اسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي): الشيخ الجليل أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي الأسدي الكوفي (ت ٤٥٠هـ)، د.ت، ط٥، ١٤١٦.

- الفوائد الطوسية: العلامة المحدث المتبحر الخبير الشيخ محمد بن الحسن العاملي ره (ت ١١٠٤هـ)، علق عليه وصححه العالمان المتتبعان: الحاج السيد مهدي اللازوردي والشيخ محمد درودي، د.ط، شعبان ١٤٠٣، المطبعة العلمية– قم.
- الفوائد الملية لشرح الرسالة النفلية: زين الدين الشهيد الثاني (ت ٩٦٥هـ)، ت: مركز الأبحاث الإسلامى (المحقق : محمد حسين مولوي ، المساعدون : اسماعيل بيك المندلاوي ، حسان فرادي ، السيد حسين بني هاشمي ، محمد حسين مشهداني)، ط١، ١٤٢٠هـ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، الناشر : مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي.
- في النحو العربي نقد وتوجيه : د : مهدي المخزومي ، د . ت، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير: العلامة محمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد عبد السلام، ط١، ١٤١٥هـ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت.
- قادتنا كيف نعرفهم؟: آية الله العظمى السيد محمد هادي الحسيني الميلاني (ت ٣٠ رجب ١٣٩٥هـ)، تحقيق وتعليق وإشراف : السيد محمد علي الميلاني، الطبعة الأولى منقحة، ١٤٢٦هـ، شريعت– قم.
- القاموس الفقهي لغة واصطلاحا: الدكتور سعدي أبو حبيب، د.ت، ط٢، ١٤٠٨هـ، الناشر : دار الفكر – دمشق – سوريا.
- القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط٨، ١٤٢٦هـ، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.
- قرب الإسناد: الشيخ الجليل أبي العباس عبد الله بن جعفر الحميري من اعلام القرن الثالث الهجري (ت ٣٠٤هـ)، ت: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، ط١، ١٤١٣هـ، مهر– قم، الناشر : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث – قم.
- قواعد النحو العربي وفق نظرية النظم : الدكتورة سناء حميد البياتي ، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ٢٠٠٣ م .
- الكافي: ثقة الاسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي رحمه الله (ت ٣٢٨– ٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري، ط٥، ١٣٦٣ش، حيدري، الناشر : دار الكتب الإسلامية – طهران.

- الكامل في التأريخ: الشيخ العلامة عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير(ت ٦٣٠هـ)، د.ت، د.ط، ١٣٨٦هـ، دار صادر – دار بيروت، الناشر : دار صادر للطباعة والنشر – دار بيروت للطباعة والنشر.
- كشاف القناع عن متن الإقناع: للشيخ منصور بن يونس البهوتي الحنبلي (ت ١٠٥١ هـ)، قدم له :الأستاذ الدكتور كمال عبد العظيم العناني، ت: أبو عبد الله محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، ط١، ١٤١٨هـ، الناشر : منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
- كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء: للعلامة الشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت ١٢٣٨هـ)، ت: مكتب الإعلام الإسلامي – فرع خراسان – المحققون : عباس التبريزيان ، محمد رضا الذاكري (طاهريان) وعبد الحليم الحلي، ط١، ١٤٢٢هـ، ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، الناشر : مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامى (مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي).
- كشف الغمة في مغرفة الأئمة: العلامة المحقق أبى الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ت ٦٩٣هـ)، د.ت، ط٢، ١٤٠٥هـ، الناشر : دار الأضواء – بيروت – لبنان.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، ت: عدنان درويش – محمد المصري، د.ط، مؤسسة الرسالة– بيروت.
- كمال الدين وتمام النعمة: للشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبى جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، صححه وعلق عليه: على أكبر الغفاري، د.ط، محرم الحرام ١٤٠٥هـ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- كنز الفوائد للكراجي: أبي الفتح محمد بن علي الكراجكي (ت ٤٤٩هـ)، د.ت، ط٢، ١٣٦٩ش، غدير، الناشر : مكتبة المصطفوي – قم.
- اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٧٧٥هـ)، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط١، ١٤١٩هـ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت –لبنان.
- لسان العرب: للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، د.ت، د.ط، محرم الحرام ١٤٠٥هـ، الناشر : نشر أدب الحوزة.

- لسان الميزان: الحافظ شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، د.ت، ط٢، ١٣٩٠هـ، الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان.
- اللغة الشعرية ، دراسة في شعر حميد سعيد : محمد كنوني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٧ م .
- اللمع في العربية: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، ت: فائز الفارس، د.ط، الناشر: دار الكتب الثقافية – الكويت.
- اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء عليها السلام: المولى محمد علي بن أحمد القراچه داغي التبريزي الأنصاري (ت ١٣١٠هـ)، ت: دار فاطمة للتحقيق – السيد هاشم الميلاني بمساعدة معاونية شؤون التعليم والتحقيق في وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، ط١، ٢١ رمضان ١٤١٨هـ، مؤسسة الهادي، الناشر : دفتر نشر الهادي – قم – ايران.
- مائة قاعدة فقهية: السيد محمد كاظم المصطفوي، د.ت، الطبعة الثالثة المنقحة، ١٤١٧هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧هـ)، ت: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، د.ط، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة.
- مجمع البحرين: للعالم المحدث الفقيه الشيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، ت: السيد أحمد الحسيني، ط٢، ١٣٦٢ش، چاپخانهء طراوت، الناشر : مرتضوي
- مجمع البيان في تفسير القرآن: أمين الاسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري (ت ٥٤٨هـ)، حققه وعلق عليه: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، قدم له: الإمام الأكبر السيد محسن الأمين العاملي، ط١، ١٤١٥هـ، الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان.
- مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان للفقيه المحقق المدقق وحيد عصره وفريد دهره المولى أحمد الأردبيلي قدس سره (ت ٩٩٣هـ)، صححه ونمقه وعلق عليه وأشرف على طبعه : الحاج آقا مجتبى العراقي والحاج شيخ علي پناه الاشتهاردي والحاج آقا حسين اليزدي الأصفهاني، د.ط، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- مجموعة رسائل: القاضي سعيد القمي (ت١١٠٣هـ)، الناسخ: محمد محسن الفاني، تأريخ النسخ: ١٢٠٦هـ.

- المحاسن: الشيخ الثقة الجليل الأقدم أبي جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٧٤هـ)، عنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: السيد جلال الدين الحسيني المشتهر بالمحدث، د.ط، ١٣٧٠هـ، الناشر : دار الكتب الإسلامية – طهران.
- المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء: المحقق العظيم والمحدث الكبير الحكيم المتأله محمد بن المرتضى المدعو بالمولى محسن الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، ط٢، مهر– قم، الناشر : دفتر انتشارات اسلامى وابسته به جامعه مدرسين حوزه علميه قم.
- المحيط في اللغة: إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (المتوفى: ٣٨٥هـ)، د.ت، د.ط.
- مختار الصحاح: الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت ٧٢١هـ)، ضبط وتصحيح : أحمد شمس الدين، ط١، ١٤١٥هـ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
- المختصر:
- مدارك العروة: سماحة آية الله الشيخ علي پناه الإشتهاردي (دام ظله)، د.ت، ط١، ١٤١٧هـ، أسوة، الناشر : دار الأسوة للطباعة والنشر.
- مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر: العلم العلامة السيد هاشم البحراني " قدس سره " (ت ١١٠٧هـ)، ت: الشيخ عزة الله المولائي الهمداني، ط١، ١٤١٣هـ، بهمن، الناشر : مؤسسة المعارف الإسلامية – قم – ايران.
- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: العلاّمة شيخ الاسلام المولى محمد باقر المجلسي (ره) (ت ١١١١هـ)، قدّم له : العلم الحجّة السيّد مرتضى العسكري إخراج ومقابلة وتصحيح السيد هاشم الرّسولي، ط٢، ١٤٠٤هـ، مروي، الناشر : دار الكتب الإسلامية.
- مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام: للعلامة الفهام الفاضل الجواد الكاظمي المتوفى أواسط القرن الحادي عشر، علق عليه وأخرج أحاديثه : الشيخ محمد باقر شريف زاده – أشرف على تصحيحه السيد محمد تقي الكشف، د.ط، چاپخانه حيدري.
- مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام: زين الدين بن علي العاملي (قدس سره) " الشهيد الثاني " (ت ٩٦٥هـ)، ت: مؤسسة المعارف الإسلامية، ط١، ١٤١٣، همن – قم، الناشر : مؤسسة المعارف الإسلامية – قم – إيران.

- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: خاتمة المحدثين الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ)، ت: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى المنقحة، ١٤٠٨هـ، الناشر : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث – بيروت – لبنان.
- مستدرك سفينة البحار: للعلامة البحاثة الحاج الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره (ت ١٤٠٥هـ)، تحقيق وتصحيح نجد المؤلف الحاج الشيخ حسن بن علي النمازي، د.ط، ١٤١٨هـ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- مستدركات علم رجال الحديث: العلامة الحجة المحقق الشيخ علي النمازي الشاهرودي (ت ١٤٠٥هـ)، د.ت، ط١، ربيع الآخر ١٤١٢هـ، شفق – طهران، الناشر : ابن المؤلف.
- مستطرفات السرائر (باب النوادر): الشيخ الجليل أبي عبد الله محمد بن أحمد بن إدريس العجلي الحلي (ت ٥٩٨هـ)، تحقيق وتقديم: السيّد محمّد مهدي السيّد حسن الموسوي الخرسان، ط١، ١٤٢٩هـ، الناشر : العتبة العلوية المقدسة.
- مسند أبي يعلى: الامام الحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت ٣٠٧هـ)، حققه وخرج أحاديثه حسين سليم أسد، د.ط، الناشر : دار المأمون للتراث.
- مشرق الشمسين وأكسير السعادتين (الملقب بمجمع النورين ومطلع النيرين): الشيخ البهائي العاملي (ت ١٠٣١هـ)، د.ت، د.ط، منشورات مكتبة بصيرتي– قم.
- مشكاة الأنوار في غرر الاخبار: العالم الجليل ثقة الإسلام أبي الفضل علي الطبرسي المتوفى في أوائل القرن السابع الهجري، ت: مهدي هوشمند، ط١، ١٤١٨هـ، دار الحديث.
- مصباح المنهاج، الطهارة: السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم، د.ت، ط١، ١٤١٧هـ، الهادي، الناشر : مكتب سماحة آية الله العظمى السيد الحكيم.
- المصطلحات: إعداد مركز المعجم الفقهي، د.ت، د.ط.
- المصطلحات: إعداد مركز المعجم الفقهي، د.ت، د.ط.
- معالم الدين وملاذ المجتهدين: الشيخ السعيد جمال الدين الحسن نجل الشهيد الثاني زين الدين العاملي (ت ١٠١١هـ)، ت: لجنة التحقيق، د.ط، الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ " قم.
- معالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري، د.ت، د.ط، ١٤١٠هـ، الناشر : مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان.

- معاني الاخبار: للشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، عني بتصحيحه: علي أكبر الغفاري، د.ط، ١٣٧٩هـ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- معاني الحروف : علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (ت ٣٨٤هـ)، د.ت، د.ط.
- معاني النحو: الدكتور فاضل صالح السامرائي، د.ت، ط١، ١٤٢٠هـ، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن.
- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة: الإمام الأكبر زعيم الحوزات العلمية السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي قدس سره الشريف (ت ١٤١٣هـ)، د.ت، ط٥، ١٤١٣هـ.
- معجم الغني: عبد الغني أبو العزم، د.ت، د.ط.
- معجم ألفاظ الفقه الجعفري: الدكتور أحمد فتح الله، د.ت، ط١، ١٤١٥هـ، مطابع المدوخل – الدمام.
- معجم الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت ٣٩٥هـ)، ت: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم».
- معجم اللغة العربية المعاصرة: الدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، د.ت، ط١، ١٤٢٩هـ، الناشر: عالم الكتب.
- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: الدكتور محمود عبد الرحمن عبد المنعم مدرس أصول الفقه بكلية الشريعة و القانون، د.ت، د.ط، الناشر : دار الفضيلة.
- معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، د.ت، د.ط، الناشر : مكتبة المثنى – بيروت – لبنان و دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.
- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، د.ت، د.ط، الناشر: دار الدعوة.

المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة: (إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار)، د.ت، د.ط، الناشر: دار الدعوة.

- معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، د.ط، ١٤٠٤هـ، مكتبة الإعلام الإسلامي، الناشر : مكتبة الإعلام الإسلامي.

- المغرب في ترتيب المعرب: ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِيّ (تـ ٦١٠هـ)، د.ت، د.ط، الناشر: دار الكتاب العربي.
- مفتاح الفلاح في عمل اليوم والليلة من الواجبات والمستحبات والآداب: بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني العاملي المعروف بالشيخ البهائي قدس الله سره تعالى (تـ ١٠٣١هـ)، د.ت، د.ط، الناشر : منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان.
- المفيد من معجم رجال الحديث: محمد الجواهري، د.ت، ط٢، ١٤٢٤هـ، المطبعة العلمية، الناشر : مكتبة المحلاتي – قم – ايران.
- مقابس الأنوار ونفائس الأسرار في أحكام النبي المختار وآله الاطهار: الشيخ أسد الله الكاظمي (تـ ١٢٣٧هـ)، تصحيح ومقابلة النسخ : السيد محمد علي الشهير بسيد حاجي آقا ابن المرحوم محمد الحسيني اليزدي، د.ط.
- المقتصر من شرح المختصر: المحقق الفقيه جمال الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن فهد الحلّي (تـ ٨٤١هـ)، ت: السيد مهدي الرجائي، ط١، ١٤١٠هـ، مطبعة السيد الشهداء (ع) – قم، الناشر : مجمع البحوث الاسلامية.
- مقدمة ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون : ابن خلدون ، د . ت، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان.
- مقدمة في أصول الدين: الشيخ وحيد الخراساني، د.ت، د.ط.
- المقنعة: فخر الشيعة أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد رحمه الله (تـ ٤١٣هـ)، ت: مؤسسة النشر الإسلامي، ط٢، ١٤١٠هـ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- مكاتيب الأئمة: علي الأحمدي الميانجي، تحقيق ومراجعة: مجتبى فرجي، ط٥، ١٤٢٦هـ، دار الحديث– قم، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر.
- ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار: العلم العلامة الحجّة فخر الأمّة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي (تـ ١١١١هـ)، ت: السيد مهدي الرجائي، د.ط، ١٤٠٦هـ، مطبعة الخيام – قم، الناشر : مكتبة آية الله المرعشي – قم.
- الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (تـ ٥٤٨هـ)، د.ت، د.ط، الناشر: مؤسسة الحلبي.

- من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام دروس في السلوك والتربية وقيم الحياة الطيبة: عبد العظيم المهتدي البحراني، د.ت، ط١، ١٤٢١هـ، المطبعة العلمية– قم، الناشر : انتشارات شريف الرضي – قم – ايران.
- من لا يحضره الفقيه: للشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، ط٢، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- منتهى المقال في أحوال الرجال: الرجالي الخبير أبي علي الحائري الشيخ محمد بن إسماعيل المازندراني (ت ١٢١٦هـ)، ت: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث، ط١، ربيع الأول ١٤١٦هـ، ستاره – قم، الناشر : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التّراث – قم.
- المنطق: الشيخ محمد رضا المظفر (قدس سره) (ت ١٣٨٣هـ)، د.ت، د.ط، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام: آية الله العظمى السيد عبد الأعلى السبزواري (ت ١٤١٤هـ)، د.ت، ط٤، ١٤١٣هـ، فروردين، الناشر : مكتب آية الله العظمى السيد السبزواري (قده).
- موسوعة الإمام الجواد: السيد الحسيني القزويني، إشراف : أبي القاسم الخزعلي، ط١، ذو الحجة ١٤١٩هـ، أمير – قم، الناشر : مؤسسة ولي العصر (ع) للدراسات الإسلامية – قم المشرفة.
- موسوعة الإمام العسكري عليه السلام: مؤسسة ولي العصر (عج) للدراسات الإسلامية، ت: السيد محمد الحسيني القزويني ، السيد محمد الموسوي ، الشيخ عبد الله الصالحي ، الشيخ مهدي الإسماعيلي ، السيد أبو الفضل الطباطبائي، ط١، ذو القعدة، ١٤٢٦هـ، شريعت، الناشر : مؤسسة ولي العصر عليه السلام للدراسات الإسلامية – ايران – قم.
- موسوعة الإمام الهادي عليه السلام: اللجنة العلميّة في مؤسّسة وليّ العصر للدراسات الإسلاميّة، بإشراف سماحة السيّد محمد الحسيني القزويني ، السيّد أبو الفضل الطباطبائي، الشيخ مهدي الإسماعيلي، السيّد محمد الموسوي، الشيخ عبد الله الصالحي، ط١، محرم الحرام ١٤٢٤هـ، شريعت، الناشر : مؤسّسة وليّ العصر (عليه السلام) للدراسات الإسلاميّة – قم المشرّفة.
- موسوعة المصطفى والعترة: حسين الشاكري، د.ت، ط١، ١٤١٧هـ، ستارة، الناشر : نشر الهادي – قم – ايران.
- موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، ت: د. علي دحروج، نقل النص

الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، ط١، ١٩٩٦م، مكتبة لبنا ناشرون- بيروت.

- موسوعة مكاتيب الأئمة من أبناء الإمام الكاظم والرضا والجواد صلوات اللّه عليهم: الشيخ عبد اللّه الصالحي النجف آبادي، د.ت، ط١، الناشر : المؤلف.
- الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي قدس سره (ت ١٤٠٢هـ)، د.ت، د.ط، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- النحلة الواقفية: الحاج حسين الشاكري، د.ت، ط١، ١٤١٨هـ، ستارة، الناشر : المؤلف.
- نزهة الناظر و تنبيه الخاطر: الشيخ الجليل الحسين بن محمد بن الحسن بن الحلواني من أعلام القرن الخامس، ت: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ط١، ١٤٠٨هـ.
- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: عدد من المختصين بإشراف الشيخ، صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، ط٤، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة.
- النظام القرآني مقدمة في المنهج اللفظي: المفكر القصدي الكبير السيد عالم سبيط النيلي رحمه الله تعالى، د.ت، ط٢، ٢٠٠٣م، مكتبة بلوتو- بغداد.
- نقد الرجال –التفرشي: الرجالي المحقق السيد مصطفى بن الحسين الحسيني التفرشي من اعلام القرن الحادي عشر، ت: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، ط١، شوال ١٤١٨هـ، ستارة – قم، الناشر : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث – قم.
- نهاية الأرب في فنون الأدب: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣هـ)، د.ت، ط١، ١٤٢٣هـ، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.
- نهاية التقرير في مباحث الصلاة: سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد الفاضل اللنكراني مد ظله (ت ١٣٨٣هـ)، ت: مركز فقه الأئمة الأطهار عليهم السّلام، الطبعة الثالثة- الأولى محققة، ١٤٢٠هـ، بهمن – قم، الناشر : مركز فقه الأئمة الأطهار عليهم السّلام.
- نهج البلاغة: مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، شرح الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبدة، ط١، ١٤١٢هـ، النهضة – قم، الناشر : دار الذخائر – قم – ايران.

- نور البراهين أو أنيس الوحيد في شرح التوحيد: للعلامة المحدث الجليل السيد نعمة الله الموسوي الجزائري (تـ ١١١٢هـ)، ت: السيد مهدي رجائي، ط١، ١٤١٧هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- الهداية (في الأصول والفروع): الشيخ الأقدم أبي جعفر الصدوق حمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (تـ ٣٨١هـ)، تحقيق ونشر : مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، ط١، رجب المرجب ١٤١٨هـ، اعتماد – قم، الناشر : مؤسسة الإمام الهادي (ع).
- هداية الأمة إلى أحكام الأئمة عليهم السلام: شيخ المحدثين وفقيه أهل البيت محمد بن الحسن الحرّ العاملي (تـ ١١٠٤هـ)، ت: قسم الحديث في مجمع البحوث الإسلامية، ط١، ١٤١٢هـ، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدسة، الناشر : مجمع البحوث الإسلامية – مشهد – ايران.
- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (تـ ٧٦٤هـ)، أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، د.ط، ١٤٢٠هـ، دار إحياء التراث– بيروت.
- الوافي: للمحدث الفاضل والحكيم العارف الكامل محمد محسن المشتهر بالفيض الكاشاني قدس سره (تـ ١٠٩١هـ)، عني بالتحقيق والتصحيح والتعليق عليه والمقابلة مع الأصل ضياء الدين الحسيني « العلامة » الأصفهاني، ط١، أول شوال المكرم ١٤٠٦ هـ، طباعة أفست نشاط أصفهان، الناشر : مكتبة الامام أمير المؤمنين علي (ع) العامة – أصفهان.
- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة (آل البيت): الفقيه المحدث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (تـ ١١٠٤هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، ١٤١٤هـ، مهر – قم، الناشر : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث بقم المشرفة.
- الولاية الإلهية الإسلامية (الحكومة الإسلامية زمن حضور المعصوم وزمن الغيبة) : سماحة آية الله الشيخ محمد المؤمن القمي، د.ت، ط٢، ١٤٢٨هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- الينابيع الفقهية: أشرف على جمع أصولها الخطية وترتيبها حسب التسلسل الزمنى، تحقيقها وإخراجها وعمل قواميسها على أصغر مروارید، ط١، ١٤١٠هـ.

الرسائل الجامعية:

- لغة الشعر عند أحمد مطر: مسلم مالك الأسدي، كلية التربية– جامعة بابل، ١٤٢٨هـ.

المجلات والدوريات:

- مجلة بيان: عدد٢٣٨: تصدر عن المنتدى الإسلامي، (رقم الجزء، هو رقم العدد. ورقم الصفحة، هي الصفحة التي يبدأ عندها المقال في العدد المطبوع).
- مجلة تراثنا: مؤسسة آل البيت، د.ت، د.ط، ١٤٠٥هـ، نمونة– قم، الناشر : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث – قم المشرفة.

الشبكة المعلوماتية العالمية:

- الشبكة المعلوماتية العالمية: www.aqaed.com، جواب سؤال عقائدي حول حقيقة حديث النجوم.
- الشبكة المعلوماتية العالمية: www.ar.wikipedia.org.com، مقال حول البصرة وتأريخها.
- الشبكة المعلوماتية العالمية: www.ar.wikipedia.org.com، مقال حول الجاموس وصفاته.
- مقال على الشبكة المعلوماتية: mawdoo3.com

The summary is in English

Praise be to God for His bounties, to Him be gratitude for His affliction, and the grace for His giving. Glory be to Him who was a hidden treasure, and Glory be to Him who was an eternal light.

The concerted efforts of the infallibles, peace be upon them, whether at the cultural level or at the political level, have made them the focus of the ambitions of some, not with their thought, asceticism and culture, but with their greed for their sacred legislative position.

In the signatures of the infallibles, peace be upon them, there is a huge cultural quantity that has enriched the arena with various data. In every aspect of life you find that they have a long history Therefore, their signatures, peace be upon them, included jurisprudence, politics, beliefs, medicine, miracles, strange issues and rulings, as well as social directives that anchor the nation to safety, and raise it a civilized ladder that saves it from the swamps of ignorance and backwardness.

The thesis consisted to tow chapters, the first carried the substantive aspect, while the second chapter was concerned with the technical aspect. In the first chapter of the objective aspect, the researcher dealt with religious signatures, while the other included various political and social signatures.

As for the second chapter, the first concerned with the words and their branches, and the second chapter dealt with the various issues, while the third chapter was concerned with the study of the subject of semantics, and the two chapters have already been mentioned, a preface was mentioned in it from its essence, and they were added by a conclusion, the researcher spoke about most of what he reached To the study path, then a list of sources and references.

Ministry of Higher Education and Scientific research

Karbala University

College of Islamic Sciences

The department of Arabic language.

Signatures of the infallible imams, Peace be upon them until the end of the third century AH Technical Objective Study

A letter submitted by the student:

Muhammad qassem hashem Al-Husseini

To the Council of the College of Islamic Sciences - University of karbala it is part of the requirements for obtaining a master's degree in the language and literature of the Qur'an

Under

The supervision of Pr. dr

Muslim Malik Beer Al-Asadi